قرآنيات (١)

وقفات مع الإنسان في القرآن

الدكتور
فايز الربيع

القرآن الكريم



بسم الله الرحمن الرحيم

قـــرآنـــيـــات (١)

وقفات مع الإنسان في القرآن

قرآنيات (١)

وقفات مع الإنسان في القرآن

الدكتور
فايز الربيع

الطبعة الأولى: 1431هـ - 2010م



المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (4203 / 9 / 2009)

225

الربيع، فايز محمد

وقفات. الأخطل وجرير والفرزدق/ نبيل علي حسنين. عمان: دار كنوز المعرفة، 2009

( ) ص.

ر.أ: (4203 / 9 / 2009)

المواصفات: / القرآن الكريم// الثقافة الإسلامية/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 079 - 5



دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري

تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+

موبايل: 5525494 79 962+ - ص. ب 712577 عمان

الإيميل: dar_konoz@yahoo.com

تنسيق وإخراج: صفا نور البصار 00962 79 6507997 safa_nimer@hotmail.com

الفهرس

مقدمة.......... ٧

الوقفة الأولى: مع الإنسان.......... ١٥

خلْق الإنسان.......... ١٢١

غائية الخلق.......... ١٣٩

الإنسان والفطرة.......... ١٤٩

الإنسان والاستخلاف.......... ١٦٣

علاقة الإنسان مع الكون.......... ١٧١

العقل والوحي ودورهما في الوصول إلى الحقيقة.......... ١٨٥

الإنسان وحرية الاعتقاد.......... ٢١٩

وقفات مع النفس الإنسانية.......... ٢٤١

النفس الإنسانية وجانبا الخير والشر.......... ٣٠١

النفس الإنسانية والموت.......... ٣٢٧

السيرة الذاتية للمؤلف.......... ٣٣٣

مقدمة

قصة هذا الكتاب وعنوانه، تعود لأكثر من أربعة عشر عاماً، يومها كنت سفيراً في اليمن، وبالرغم من مشاغل العمل الكثيرة، فلم أنسى مهمتي الأساسية في الحياة، فإتقان العمل جزء من العبادة، والصدقة الجارية تكون بعلم ينتفع به، ولذا كانت فكرة هذا الكتاب واستقر في ذهني أن أسميه (الإنسان في القرآن).

بدأت بجمع الآيات من القرآن الكريم التي تتحدث عن الإنسان، والناس، وذلك من خلال القراءة المتأنية للقرآن. ولكن الفكرة لم تتم وبقيت الآيات التي جمعتها والتي لم تغطي القرآن الكريم كاملاً مكتوبة في كراسٍ لونه أصفر، في العام الماضي، عاودتني الفكرة، وشجعني عليها أنني اتفقت مع نسيبي أن نتقاسم مادة هذا الكتاب، وشجعني أكثر أنه أعطاني رسالة دكتوراه استفدت منها كثيراً عنوانها (طبيعة النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم وانعكاساتها التربوية)، كما زودني بثلاثة من كتبة معالم في الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي، وأسرار الوجود، والتصور الإسلامي للوجود، واستفدت منها أيضاً في بعض العناوين والمحاور. واتفقنا أن نتقاسم الكتاب، وأخذت الجزء المتعلق بي، وأكملته، وسلمته للقراءة، وسافرت في حينها، وانتظرت أن نكمل العمل سوياً، ولكن الجزء الذي أعطيته، رجع كما هو، وهنا قررت أن أستمر لوحدي في إخراج هذا الكتاب مثمناً كل ما استفدته من كتب ومراجع ومصادر.

كان الفصل الأول وهو الذي جاء الكتاب على عنوانه، ليس كما أريد وهنا بدأت في استكمال هذا الفصل ووضعت له عنواناً الوقفة الأولى مع

الإنسان، استعرضت فيه الإنسان ورحلته مع الخلق والتكليف، والآيات التي تحدثت عنه، والحقوق التي أعلنها القرآن الكريم له، والتي أسميتها (ضرورات)، دلالة على أهميتها وأنها أكثر من الحقوق وهذه الضرورات تقدمت على كل المواثيق الدولية التي تحدثت عن حقوق الإنسان. أكدت في هذا الكتاب على حقيقة واضحة، أن الإنسان الذي نتحدث عنه وخاطبه الحق عز وجل، هو نفس الإنسان منذ آدم إلى أن يرث الله الأرض وما عليها وأن هذا الإنسان لم يتطور من شيء آخر، بل خُلق في أحسن تقويم، وكرِّم أيّما تكريم.

والله سبحانه وتعالى عبر مسيرة هذا الإنسان لم يتركه لوحده بل بصرّه بعدوه المتصل بدءاً من إبليس ومن ثم ذريته، بدءاً من آدم ومن ثم ذريته إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

وبما أننا نتحدث عن نفس الإنسان فإننا نتحدث عن صفات وطبائع وغرائز موجودة، بصورة واضحة، أو غير واضحة لنا، ولكنها موجودة، قد تتغير سبل إشباعها وتتبدل، ولكنها موجودة في هذا الإنسان منذ أن خلق، وعدد القرآن صفاته، ومكوناته، وأخلاقه أيضاً منذ أن خلق.

إننا عندما نتحدث عن الإنسانية بصفة الجمع، أو الناس بصفة الجمع، في إطار الرسالات هو غير حديثنا عن (الإنسان) بصفة المفرد، فجميع الرسالات السماوية السابقة تحدثت عن (الإنسان)، القوم، العشيرة، المكان، الزمان، ولم تتحدث عن الإنسانية بمفهومها الشامل، أو العالمين، الرسالة الوحيدة التي جاء خطابها للإنسانية والعالمين، على صفة الشمول هي رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- وذلك كونها الرسالة الخاتمة، التي ختمت النبوات، واشتملت على محاورها من نبعها الأصيل وأكملت المسيرة التي يحتاجها الإنسان كمنهج حياة في الدنيا، وطريق سعادة في الدارين الدنيا والآخرة. مكان الإنسان في القرآن هو أشرف مكان، وصورة الخالق في القرآن الكريم هي الصورة التي يستحقها هذا

الخالق، خالق الإنسان والكون، كل الكون وكل الإنسانية، ولـيس رب عـشيرة أو قوم، إنها فاتحة الرشد في حياة الإنسانية الخالدة.

أن هذا الإنسان هو التقاء عدة أكوان متداخلة ومتراكبة عند ظهوره في أي منها على حسب أحوال عليا تحدد حركته وحركتها.

هذا الإنسان كان لـه علـى مـدار التـاريخ منهجـاً ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ «المائدة:٤٨»، وهذا المنهج وهذه الـشرعة هـي الـتي يريـدها الله سـبحانه وتعالى فعبادة الله ليست منهاجاً بشرياً بل هي منهاج إلهي، يحدد كيفيتها والقصد منها الله سبحانه وتعالى حتى تكون مقبولة، من هنا كانت الآيات الـتي عالجـت الطبيعة الإنسانية وكيفية التعامل معها أكثر من خمس آيات القرآن الكـريم. لأن الأرض خلقت مـن أجـل الإنـسان، والرسـالات كانـت مـن أجـل الإنـسان. والإنسان مخلـوق لهـدف، عبـادة الله وعمـارة الأرض وبالتـالي تـصبح مـسألة الانقطاع عن الدنيا والانعزال ليست من صلب فهم هذا الدين، ومن هنا أيـضاً كانت ميزة الإنسان بحرية الاختيار حتى تكـون لـه أفـضلية، فليـست القـوة أن تقول لشيء أنا لا أريده وهو غير موجود إنما القوة أن تترفع عنه، وهو موجود، لأن الله أمرك بهذا، ومن هنا كان خلق التكوين، مختلف عن خلق التشريع، بين الملائكة والبشر. وإن الإنسانية أشد ما تكون ضرورة لأن تقرأ عن هذا الإنسان من القرآن، لأنها الصورة الحقيقية المشخصة من خالق هذا الإنسان.

ولقد تحدثت عن خلق الإنسان كما صوره القرآن الكريم بمراحله المختلفة ولا أزيد إذا قلت إن القـرآن الكـريم قـد سـبق كـل العلـوم في تفـصيل خلـق الإنسان ابتداء من مكوناته من الطين، إلى نفخة الروح، ومن ثـم طبيعـة الخلـق والتكوين بالتزاوج وتقدير الله لهذا الخلق بين الرجل والمرأة.

ثم تحدثت عن غائية الخلق وبينت لماذا خلق الإنسان، وأن العبادات ليست قيوداً على الإنسان إنما هي حرية له، وأن الحرية الإنسانية تتناسـب طردياً مـع مقدار العبودية لله سبحانه وتعالى.

فطاعة الناس لله هي طاعة في رحاب حريتهم، باقتناع لا بإكراه وهذا يؤدي إلى تطور العلاقة بين الإنسان والإنسان في مجتمع من المفروض أن تسوده قيم المحبة والتعاون والأمان والاستقرار، ومشيئة الإنسان تشمل الأساسيات التي يؤدي من خلالها دوره في الحياة.

أما الفطرة، فهي ميل الإنسان واستعداده لقبول الحق، وهي حالة الانسجام بين المعتقد الصحيح، وفطرة الإنسان، فهي التي فطر الله الناس عليها، لا تبديل لخلق الله. في الحياة هناك سعيد وأقل سعادة، وأسعد، وهناك شقّي وأقل شقاوة وأشقى وهناك متأرجح بين السعادة والشقاوة، فالأسعدون استقرت فطرتهم على الخير، وهم قويوا اليقين، رفيعوا الإيمان، والأشقون هم الذي اختاروا طريق الشر.

إن معرفة الإنسان ليست توقيفية كما قالت الملائكة، وإنما استنباطية وقياسية وقابلة وتابعة ومهمة وذكية وقادرة، إن الفطرة عندما تقبل الحق إنما تستقيم مع نفسها، وعندما تبتعد عن الحق تتصادم مع نفسها، فالنار أصلا لم تعدّ إلا للكافرين ولم تعد للمؤمنين والموحدين وأصحاب المنهج السليم.

ثم تناولت قضية الاستخلاف، حيث جاء الإسلام ليكون الخلاصة الممتدة عبر مسيرة الأنبياء والرسل وجاء الإعلان عن الخلق مرتبطاً بالإعلان عن المهمة، مهمة الاستخلاف المرتبطة بالعمل والإبداع ومجانبة الفساد في الأرض وتلقي القيم والتعاليم عن الله والالتزام الجاد بها من خلال ممارسة الجهد البشري. وإذا وضعنا ذلك على شكل معادلة قلنا أن هناك أطراف في عملية الاستخلاف الله هو المُستخلِف والإنسان هو المُستَخلَف، والمنهج هو كتاب التكليف، والرسل هو واسطة التبليغ، بهذا نفهم أن منهج الاستخلاف له أسسه ومرجعيته، وليس متروكاً في مراميه وأهدافه ومفاصله الأساسية للعبث أو للصدفة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]

إن الوجود في العقيدة الإسلامية يقوم على ثنائية طرفاها وجود إلهي هو معد الخلق والتدبير ووجود كوني يتجلى في الدقة والنظام والغائية مما هو هدى لوحدانية الله وكماله المطلق، تلك الوحدانية التي هي حجر الزاوية في إفراده بالعبودية والربوبية، وهي حجر الزاوية في رسالة الرسل، ومنهج حياة الإنسان، ومنها تنطلق تصورات الإنسان السليمة عن الإنسان والكون والحياة ثم تحدثت عن علاقة الإنسان مع الكون وبينت أن هذه العلاقة ليست علاقة تضّاد أو تصادم وإنما هي علاقة ارتفاق ومؤانسة، وكشف وإبداع، وتذليل وسهولة في التعامل، فالإنسان مخلوق الله، والكون مخلوق لله، وبالتالي فالعلاقة ليست علاقة صراع على أي مستوى كما بررتها الفلسفة اليونانية القديمة وتابعتها الحضارة المادية الحديثة.

ثم تناولت العقل والوحي ودورهما في الوصول إلى الحقيقة، عقل فهم وفكر يقلب في وجوه الأشياء وبواطن الأمور، عقل رشد بين الهداية والضلال، عقل رؤية وتدبير، عقل بصيرة تنفذ وراء الأبصار، عقل ذكرى يأخذ من الماضي والحاضر وتتجمع لديه العبرة فيما سيكون، عقل موصول بحجج التكليف أن العقل حامل معرفة وطاقة تجريد، ومركز للتفكر والأحكام، وملكة متعالية شكلت التفوق النوعي للإنسان بوصفه كائناً فكرياً، ومن هنا وردت كلمة العقل ومشتقاتها صراحة في القرآن الكريم في حوالي (٥٠) موضعاً معظمها كان في موضع المدح، أما الوحي فهو كلمة الحق التي أوحى الله بها للأنبياء والرسل، كي يبلّغوا ما أمر الله، وهو الذي يبصّر الإنسان بغاية وجوده ومكانته في هذا الوجود ومصيره بعد هذا الوجود وبذلك هو المصدر اليقيني لهذه المعلومات.

وعندما تناولت قضية العقل في القرآن الكريم، تناولت محاورها المختلفة من مرحلة التبليغ والتجريب إلى المرحلة الحسية، فالتفكير والتفكر، فالمرحلة التركيبية، ثم الآيات والمعجزات، فتلبية الطلبات، فالمقارنة وأخيراً مرحلة

التحدي وانسجاماً مع كل ما سبق، تحدثت في فصل خاص عن الإنسان وحرية الاعتقاد، وبينت أن لكل إنسان الحق في أن يعتنق العقيدة التي يشاء وليس لأحد أن يجبره أو يكرهه أو يحمله على ترك عقيدته أو تبديلها إلا بقناعته، وبما أن الدين وحرية الاختيار فيه هي قضية الدنيا الكبرى وقيمة الحياة الأولى، لذلك كان البحث فيه من أشرف مطالب النفس وأعلاها وإشباع هذا الجانب بالبحث يحقق رغبة سامية لدى النفس الإنسانية والإنسان منذ أن خلق تركت له حرية الاختيار، وذلك لأنه أعطى العقل القادر على التمييز، وفي نفس الوقت جاءت الرسل لتبين للناس المنهج الذي أراده الله، وعليه أن يختار بين إتباع هذا المنهج أو سواه بإرادته. ولكن هذه الهداية المنزلة على الخلق هي حجة لله على الخلق يوم القيامة.

لقد خلط بعض الناس بين مشيئة الله سبحانه وتعالى، وعلمه الأزلي لكل ما يجري في ملكوته وقضاء الله وقدره، ولا تعارض بين مشيئة الله وعلمه واختيار الإنسان فالأمور التي تعد غيباً بالنسبة للإنسان هي معلومة لله منذ الأزل ثم تناولت النفس الإنسانية والتي تكررت ومشتقاتها في القرآن الكريم مائتان وتسع وخمسون مرة وبينت أنواعها وهي كل مركب من جسد وروح ومنها النفس الأمارة، واللوّامة، والمطمئنة، والزكية، والحوازية، والظالمة والمجاهدة، والمريضة، وأكدت الآيات أن النفس فيها جانبان جانب الخير وجانب الشر، والنفس الإنسانية مخلوقة، ومخلوقة لهدف، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى. والذي هو محور حياة الإنسان على ظهر الأرض، وطبيعة المنهج الذي يلتزم به الإنسان هو يحدد إبتداء ماهية الخير والشر وطرق تجنبهما واكتسابهما، وحددّ كثير ممن بحثوا هذا الموضوع العناوين التي تجعل من الإنسان خيرا وشراً. وانسجاماً مع المنهج الإسلامي، وتتبعنا للنفس والإنسان والروح في القرآن الكريم نجد أن بذرة الشر بدأت عندما نُصبت العداوة لهذا المخلوق الجديد (آدم) من قبل (إبليس)، للحصول على درجة الخلود، وبالرغم من تنبيه الخالق

عز وجل لآدم، إلاّ أن هوية الاختيار، وضعف النفس، جعلتا آدم يتبع مرحلياً وسوسة الشيطان، إلى أن استفاق من غفلته، وطلب التوبة، واستجاب له الله سبحانه وتعالى، فمعرفة من هو العدو هي بداية التمييز بين الخير والشر وأول عدو مستمر للإنسان هو (إبليس) (الشيطان)، وميزة الإنسان أنه قادر على الحس مع وجود القُبح، وقادر على الخير مع وجود الشر، ومطالب بالخيرات وهو ممتحن بالشرور، إنّ القداسة ليست أن تكون ناراً وأنت نور، أو نور وأنت نار" إنما القداسة أن تكون ناراً أو نوراً أو أنت تراب، وأن تُسبح وأنت قادر على الفساد والعدوان، أن الغواية والتزيين، وهي تحسين مظهر الأشياء، حيث يتراءى الخير شراً والشر خيراً، هي واحدة من طرق إبليس، وهما جانبان موجود في النفس البشرية، كي يكون للاختيار طعم، وللنتيجة معنى وللجنة ثمن، وللنار ثمن ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١)﴾ «البلد ١٠ :١١». والنجد في اللغة المكان المرتفع، والنجدان الخير والشر.

إنّ عقد الخالق مع الشيطان كان ولا يزال جزءاً من واقع النفوس الشريرة، والتي لا يستقر لها قرار وهي ترى الطهر يشيع في المجتمع يذكرها ويصطدمها بواقعها الشرير.

وكما يتلاوم الأشرار مع إبليس الذي يتخلى عنهم يوم القيامة فإنهم يتلاومون أيضاً مع بعضهم البعض، وكلٌّ يطلب للآخر ضعفاً من العذاب لمن يعتقد أنه كان سبباً في ضلالته. إن شهوات حب النفس، والمال والبطن والفرج، كانت ولا تزال سبباً من أسباب تمكن الشر في النفوس وابتعادها عن جانب الخير إن هناك رايات أسمها رايات (الخير)، وهناك رايات اسمها (رايات الشر)، ولعلّ كثرة وجود رايات الشر لا يعنى عدم وجود رايات للخير، والمطلوب من المؤمن أن يرفع راية الخير في كل مكان يوجد فيه، لأنه سيجد أن هناك من يجب أن يستظل بها، فالخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة، كما يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

هذا الإنسان، وهذه النفس مهما طال أجلها، فإنها إلى نهاية، ولم يكتب الخلد لبشر، عادياً كان أم نبيّا، فالكل له طريق واضح، سيسلكها، شاء أم أبى، والذي يكونون في جنب الله، يعتبرون الموت بداية رحلة، أعدّ لها بعناية كالمسافر الذي يعد لرحلته الشاقة، ما يحتاجه من مستلزمات السفر، الموت حقيقة، والله قدمّه على الحياة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢] وقد صور القرآن الكريم الحالات التي تصيب النفس الإنسانية إزاء حقيقة الموت، بين النفوس المؤمنة والمطمئنة، أو الكافرة والمنافقة. إنّ قضية الموت لا تعطل عمل الحياة، إن من تمام إدراك حقيقة الموت وما بعده إدراك لحقيقة الإنسان في الحياة وما ينعكس على الأبعاد التربوية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية وغيرها.

وبعد، فهذا الكتاب هو الأول في سلسلة (قرآنيات) أولها الإنسان في القرآن، وسيتلوها بإذن الله (الخوف في القرآن) (والبشارة في القرآن الكريم) (والروح في القرآن الكريم) و(الكثرة والقلّه) في القرآن الكريم إن بقي في العمر بقية وفي النفس همّة، وأسأل الله أن تكون هذه السلسلة مما ينفع بها الناس وأن تكون أجراً وذخراً في ميزان حسناتنا يوم القيامة إنه سميع مجيب.

د. فايز الربيع

الوقفة الأولى: مع الإنسان

إنسان القرآن هو الإنسان الذي سمعنا عنه، ونراه، عبر القرون، ولعل مكانه في هذا القرن أوفق وأوفق من مكانه في كثير من القرون، إنه سؤال مستمر من أنا، ولماذا جئت وما هي مهمتي، وإلى أين أنا ذاهب، وهل هناك حساب وعقاب، وجنه ونار، ما مكانتي في الكون، ما هو مكاني في هذه السيارة الأرضية بين خلائقها من الأحياء، ما مكاني بين أبناء النوع البشري وبين كل جماعة من هذا النوع الواحد، أو هذا النوع الذي يتألف من جملة أنواع يضمها عنوان هو (الإنسان).

إن هذه الأسئلة هي التي راودت الإنسان عبر مسيرته البشرية نقرأ لها أجوبة عديدة، نقارنها بين مجهود الإنسان في الإجابة عليها وبخاصة عندما يتعلق الأمر بتحديد مهمات الإنسان الأساسية في الحياة وعلاقته مع الكون ومن ثم انتهاء حياته، وبدء حياة جديدة، لم يعاين معالمها، وبين الإجابة عندما تكون مصدرها الوحي الإلهي.

هنا تأتي العقيدة الدينية لتجيب الإنسان بوضوح على هذه الأسئلة، تجمع له صفوة عرفانه بدنياه، وصفوة إيمانه بغيبه المجهول تجمع له زبدة الثقة بعقله، وزبدة الثقة بالحياة، حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان.

إن جواب الإنسان بدون عقيدة على هذه الأسئلة، يحل مشكلة الزمن الحاضر نسبياً ولا يتعداها إلى مشكلة الأبد، مشكلة ما مضى وما أتى به الدهر وما يأتي إلى غير نهاية. هذه العقيدة الدينية لا توجد اليوم لتنبذ غداً، ولا توجد

للأيام للعارفين دون الجاهلين وللعاملين دون الخاملين، ولمن يطلبون الخير للناس دون من يطلبون الخير لأنفسهم، ولمن يعتقدون دراية ومحبة دون من يعتقدون تسليماً ورهبة، ولمن يسعون سعيهم إلى العلم والإيمان دون من يقعدون في مواطنهم منتظرين. وقد يقعدون وهم يجهلون أنهم قاعدون، لا يعلمون ما الخير، وما المنتظر، هذه العقيدة، قوامها دهور وأمم ومعايش وأمال، ونفوس خلقت ونفوس لم تخلق، ونفوس يخلق لها تراثها قبل أن يصير إليها، وسبيلها جميعاً أن تهتدي إلى قبلة واحدة، تنظر إليها فتمضي قدماً، أو تقعدها في الأفق فهي أشلاء ممزقة – كأنها أشلاء الجسم بين مفارق الطريق.

إن القرن الواحد والعشرين والقرن الذي سبقه، منذ مطلعها يعرضان العقيدة بعد العقيدة على الإنسان والإنسانية، ولا نعلم أنه عرض عليها حتى اليوم قديماً معاداً، أو جديداً مبتدعاً هو أوفق من عقيدة القرآن، وأوفق ما فيها إنها غنية عن الاختراع والامتحان، وأنها على شرط العقيدة الدينية من بنية حية، شملت ملايين الخلق وثبتت معهم وحدها في كل معترك زبون، يوم خذلتهم كل قوة يعتصم بها الناس ما أحوجنا اليوم أكثر من أي وقت مضى أن نقلب صفحات القرآن الكريم لنرى صنوفاً من نظرة الخالق إلى الإنسان، نفساً وروحاً وجسماً، خلقاً ومآلاً، بداية نهاية، موتاً وحياة وخلوداً، استخداماً ومسؤولية وهي جماع ما أتت به الرسالات السماوية السابقة، وحض عليه النبيون كلهم، ابتداء من آدم عليه السلام ومروراً بصفوتهم وكتبهم ورسالاتهم فالنبع واحد والهدف واحد والرسالة واحدة. الإنسان وسعادته في الدراين الدنيا والآخرة.

أن المنصف بين النصائح لا يستطيع أن ينصح لأهل القرآن بعقيدة في الإنسان والإنسانية أصح وأصلح من عقيدتهم التي يستوحونها من كتابهم – وأن القرن العشرين انتهى وبدأ القرن الواحد والعشرين وسينتهي بما استحدث من مبادئ ومذاهب ولا ينتهي ما تعلمه أهل القرآن من القرآن.، لقد طويت

صفحات من هذه المذاهب وستطوى صفحات جديدة من مادية، واشتراكية، وماركسية، ورأسمالية، وعقلية، ووجودية، وداروينية، وغيرها، لقد استمعنا إلى المادية التاريخية وهي تحدد عملة الإنسان بأنها اقتصادية في سوق الصناعة والتجارة، تعلو وتهبط بمعيار الطلب والعرض وصفقات الرواج والكساد، واستمعنا إلى الفاشية، والعقلية، التي قالت بفردية الإنسان، وبرهان وجوده أن يفعل ما استطاع من نفع أو أذى كلما أمن المغبة من سائر الأفراد والأحداث. سمعنا أن الإنسان يولد بذنب غيره، ويبرأ من الذنب بكفارة غيره، ويمضي به اللعنة والنعرة بقدر من الأقدار لا نصيب له فيه من عصيان أو طاعة ومن إباء أو اختيار، وسمعنا أن الإنسان هو الخليفة المسؤول به جميع ما خلق الله، يدين بعقله فيما رأى وسمع ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب.

والإنسان من أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد وإله واحد أفضلها من عمل حسناً واتقى شيئاً وصدق النية فيما أحسنه وأتقاه الإنسان مخلوق مسؤول في القرآن الكريم ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١]

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤]

أن مناط المسؤولية قائمة على التبليغ والعلم والعمل، فلا تتحقق التبعة إلا بعد التبليغ، ولا يتحقق العمل، إلا بعد العلم، ولا يصح العمل إلاّ إذا كانت نيته خالصة لله سبحانه وتعالى.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]

إن أول فاتحة للعلم هو ما تعلمه آدم عليه السلام ليكون عنواناً للذرية ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

[البقرة٣١ :٣٢]

والعمل مشروط بالتكليف وضمن الكلفة والجهة والسعة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة٧ :٨]

إن الإنسان هو أكرم الخلائق بهذا الاستعداد المتفرد بينها من ذي حياة أو غير حياة.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]

هذا الإنسان من بين غيره من الخلائق يوصف في القرآن الكريم بصفات لا يوصف بها غيره ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٧] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢]
﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة:٥] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات:٦]
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين٤ :٥].

هذا الإنسان كائن مكلف يحمل أمانة، والقرآن كتاب تبليغ وإقناع وتبين، توافقه تام بين أركانه وأحكامه عقائده وعباداته، حجته ومقصده، كل ركن من أركانه يتنزل فيه بأقداره ويوافق في تفصيله سائر أركانه التي تتم به أو يتم بها على قدر مبين إن التبليغ يتناسب فيه البيان على حساب الأحكام والأركان، وتبليغه على قدر فريضته، عن بيان مقدور لا محل فيه لغرض المصادفة، بل لا محل فيه لتجاهل القصد مع رسالة من رسالات التبليغ.

مكان الإنسان في القرآن هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة وفي ميزان الفكر وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات هو الكائن المكلف، هو كائن أصوب في التعريف من قول القائلين (الكائن الناطق) أو (الحيوان الناطق) ما يحلو للبعض أن يعرفه من الفلاسفة هو أصوب من

الملك الهابط، أو الحيوان الصاعد، ليس هذا النطق بشيء، إن لم يكن هذا النطق أهلاً لأمانة التكليف، وليس الملك الهابط منزلة تهدي إلى طريق الصعود أو الهبوط، وليس الحيوان الصاعد بمنزلة الفصل بين ما كان عليه وما صار إليه، ولا بمنزلة التمييز بين حال وحال في طريق الارتقاء.

إنما الكائن المكلف شيء محدود بين الخلائق بكل حد من حدود العقيدة أو العلم أو الحكمة وحادث من حوادث الفتح في الخليقة موضوع في موضعه المكين بالقياس إلى كل ما عداه. أن فكرة الإنسانية العامة وفكرة الإنسان المسؤول المحاسب على أمانة العقل والضمير تجلت في أسمى صورها في القرآن الكريم. أن أمانة النبوة لم تفرغ من مهمتها كما أراد الخالق قبل أن يوجد الإنسان الذي يخاطب بخطاب العقل ويحاسب بحسابه ويحمل تبعاته على عاتقه ويشترك على سواء بينه وبين إخوانه من بني البشر في عبادة إله واحد هو رب العالمين. وليس بالرب الذي يخلق نعمته لسلالة واحدة من خلقه – أو لعشيرة واحدة يدركها الخلاص بفضل لم تفضله وحساب لم تصنعه في موازينها بعمل يمنيها. فإذا سمى ختام النبوة باسمه الحق في تاريخ الإنسان، فهو فاتحة الرشد في حياة الإنسانية الخالدة مثل عهد الرشد الذي أخرجته القرون الوسطى بسبعة قرون.

إن استعراض الآيات التي وردت في القرآن الكريم حول الإنسان تعطي تصوراً عن صفات هذا الإنسان – السلبية والإيجابية، حتى لا نفاجئ بهذه الصور الموجودة في مجتمعاتنا. ففي الوقت الذي كان القرآن فيه ينزل والرسول -صلى الله عليه وسلم- يربي، وهو بين ظهراني البشر- كانت هذه الصفات موجودة وقد أوضح القرآن الكريم في أكثر من مناسبة كيف تم الانحراف وما هي أسبابه. بداية هذا الإنسان وإن تظاهر بالقوة والجبروت والعظمة والتكبر والظلم والطغيان حتى وصل به الأمر أن يقول عن نفسه أنه هو الله، فهو واحد

تجري عليه سنن الخلق من ولادة وحياة وموت، فلم يسجل لأحد أنه تخلد مهما طال عمره.

هذا الإنسان ضعيف ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]

وهو متقلب في حكمه حسب الظرف، ضراً أو نفعاً- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٢]

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت:٥١]

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى:٤٨]

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر١٥:١٦]

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود:٩]

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:٤٩]

وبالرغم من كل النعم التي أنعم الله بها على هذا الإنسان. الذي خلقه ولم يك شيئا، وجعل له السمع والأبصار والأفئدة، وبدلاً من السير على القاعدة الطبيعية وهو شكر المنعم إذا أنعم فإن الإنسان يقابل الخالق بالكفر والجحود

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج:٦٦]

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى:٤٨]

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:٦]

ولقد حذر القرآن الكريم من الظلم في كثير من المواضع، والله سبحانه وتعالى قد أخرج الظالمين من دائرة محبته وعطفه، جعلهم في صف الكفار، وقرن الظلم بالكفر في كثير من الآيات. وإن أكبر ظلم هو ظلم الإنسان لنفسه يقول تعالى ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج:٦٦]

هي ثنائية متقابلة، حتى لا تظلم الحياة، وتسود طرقها – ثنائية تترك مجالاً للخير والشر، الكرم والبخل، وبالتالي فإن صفة (القتور) موجودة في النفس البشرية.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء:١٠٠]

وهو مجادل – ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤]

وهو هلوعاً جزوعاً ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج:١٩]

ويستثنى من هذا الضعف من أدى حق العبادة (إلا المصلّين) الإنسان في المحصلة النهائية مسؤول عن معرفة نفسه، حتى ولو اعتذر بكل المعاذير ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة:١٥] لأنه مسؤول في النهاية عن أعماله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦]

وفي سورة قصيرة وضع القرآن الكريم ميزان الحضارة ومهمة الإنسان فيها – ومنهجها ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر١ :٣]

إن منهاج المدرسة الإسلامية –الممتد عبر أفق الزمن– منذ آدم عليه السلام وحتى محمد عليه الصلاة والسلام– واحد في أصله ونبعه ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة٣٨ :٣٩] وتتابع نزول الرسل واحداً بعد الآخر ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء:١٦٥].

إن الإنسان لا يمثل في الواقع إلا أحد المكمات في هذا الكون شأنه في ذلك شأن المخلوقات الأخرى، بل وشأنه في ذلك أيضاً شأن القوانين الطبيعية نفسها، ولكن الله سبحانه وتعالى قد قضى بأن يكون هذا المخلوق ذي طبيعة مغايرة، ونعنى بذلك أن الإنسان لا يمثل نفساً ذات امتداد محدود في الزمان والمكان فحسب –بل هو في الواقع– يمثل وجوداً تلتقي فيه حدود عدة عوالم أو أكوان مختلفة ومتداخلة مع بعضها البعض أو بمعنى أدق أن الله سبحانه وتعالى قد قدر للإنسان خلقاً لا ينتمي إلى كون واحد محدد –بل خلق الإنسان كحدود التقاء لعدة أكوان متداخلة ومتراكبة، حيث يتمدد ظهوره في أي منها على حسب أحوال عليا تحدد تحركه وحركته فيها. وهذه الأحوال هي قوانين سرمدية لا نعلم عنها إلا شذرات متطايرة من محيط هائل من المعرفة الكلية أو جانب ضئيل من العلم الإلهي اللامتناهي، وليس معنى هذا أن القوانين غيبية

بشكل مطلق، ولكنها قوانين نستطيع أن نمسها من بعيد- وتحت ظروف خاصة جداً، وكما يخبرنا به الله تعالى في قرآنه المجيد.

لو سألنا أنفسنا سؤالاً بدهياً -ما هو الإنسان- هذا السؤال حاولت الفلسفة أن تجيب عليه - حيث قال ديكارت (أنا أفكر إذن أنا موجود) ويا لها من معرفة كانت غائبة حقاً - فلم نكن أننا نعرف أننا موجودين حتى قال لنا بها ديكارت. ولكن فيلسوف آخر يقول (أنا أفكر إذن أنا موجود) فرضية خاطئة - حتى أصبحنا حسب رأي الفلاسفة هل نحن موجودون أم لا.

إن عبادة الله ليست منهاجاً بشرياً بل هي منهاج إلهي، يحدد القصد منها والغاية الله سبحانه وتعالى - لذا اقتضى الإخبار عنها من خلال رسله عليه صلوات الله وسلامه.

ومن هنا كان مجموعة الآيات التي عالجت الطبيعة الإنسانية حوالي ١٠٩٣ آية أي ما يعدل خمس آيات القرآن الكريم كان منها ٥٦ آية تتعلق بخلق النفس الإنسانية و١٥ بمفهومها (٢) بالفطرة، و١٨٢ بالحرية الإنسانية و(٢٧) الغاية من خلق الإنسان و ٥٣ الفروق الفردية و (١١٧) القدرات (١٦١) حالات النفس اعتقاداً وسلوكا و (١٤٠) الذات الإنسانية وحب الشهوات و (٦٤) الإنسانية والموت و (١٢) الذات الإنسانية والبرزخ، و (٤٧) الذات الإنسانية والبعث و (١٠٦) الذات الإنسانية والخلود.

أن هذا الإنسان المكرم ابتداءً هو بما يحمل في ثناياه من نفخة من روح الله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:٢٩] وهي نفخة مستمرة لا تتعلق بآدم وحده وإنما بذريته ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة ٨ :٩].

وهذا التكريم لهذا المخلوق جاء في صورة أولى حيث أمرت الملائكة بالسجود له ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤]

وإذا كانت البشرية قد اختزلت في آدم ونحن منه، فإن السجود يعني في دلالته لذرية من بعده. فتصور أيها المخلوق أن الملائكة قد سجدت لك، وأنت تتعالى أن تسجد لله سبحانه وتعالى، أن هذا الإنسان مكرم على كل المخلوقات ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء:٧٠]

ومن مظاهر التكريم أنه خلق في أحسن تقويم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين٤ :٦]

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التغابن:٣]

هذه الصورة الجميلة للإنسان التي طلب عندما تنظر إليها أن نقول (اللهم كما حسنت خلْقي فحسّن خُلقي).

ومن مظاهر التكريم التزويد بالعلم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة:٣١]، ولكي يستمر هذا العلم وتستمر مهمة الاستخلاف فإن العلم مستمر والزيادة فيه واجبة ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق:٥].

إن مصدر العلم تمتزج فيه على أقدار مختلفة، العلم الذي مصدره الأنبياء ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء:١١٣]، والمصدر الثاني كتاب الله المفتوح ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨]. وهذه الأدوات (السمع والبصر والفؤاد) هي مفاتيح للعلم،

ومن مظاهر التكريم استخلافه في الأرض، وقد تعرضنا لقضية الاستخلاف في فصل خاص.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠]

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية:١٣]

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾ [لقمان:٢٠]

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٩]

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [طه:٥٣]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج:٦٥]

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام:١٤٢]

لقد طوّع الله لنا السهول والجبال ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف:٧٤] ومهد لنا الأرض ﴿وَهُوَ

﴿ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد:٣]

ولقد أمدنا بالخيرات والجنان ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل:١٣]

ومع كل هذا التكريم والتسخير والتسهيل والتفضيل فلقد اختار أكثر الناس طريقاً غير طريق الحق.

فأكثر الناس لا يؤمنون ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر:٥٩]

وأكثر الناس لا يعقلون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحُجُرات:٤]

وأكثر الناس فاسقون ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد:٢٦]

وأكثر الناس لا يعلمون ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠]

وأكثر الناس للحق كارهون ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزُّخرُف:٧٨]

وأكثر الناس كافرون ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم:٨]

وأكثر الناس غافلون ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس:٩٢]

وأكثر الناس مشركون ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:١٠٦]

وأكثر الناس لا يشكرون ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر:٦١]

وأكثر الناس يجهلون ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام:١١١]

وأكثر الناس لا يسمعون ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فصلت:٤]

وأكثر الناس معرضون ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء:٢٤]

أكثر الناس ضالون ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات:٧١] وهذا قد يكون وصفاً لصورة أرادها إبليس عندما قال ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص٨٢ :٨٣]

لقد اشتملت شهوات كثيرة في الناس حتى وصل بعضهم إلى ما وصل إليه واستحق هذا الوصف القرآني ومن أبرز هذه الشهوات شهوة حب النفس، وحب المال، وشهوة البطن، والفرج.

يقول لنا القرآن الكريم إن شهوة حب النفس تدفع صاحبها إلى الكبر والتعالي على الناس، وقد أدى الكبر إلى قتل الأنبياء، والصد عن عبادة الله والإيمان والعمل الصالح، والتكذيب بآيات الله، والتشكيك وعدم التصديق، والكفر بما أنزل الله، والعدوان على المخالفين وعدم الاعتبار والاتعاظ، والابتعاد عن إتباع الحق، وعدم الإيمان باليوم الآخر، وعدم الإيمان بالتوحيد، والمجادلة، وادعاء الفوقية ويصرف الكبر صاحبه عن التوبة والاستغفار وسماع دعوة الحق والرياء والنفاق، وحب المدح، والشح والبخل.

أما شهوة حب المال والتملك، فهذه ابتداء شهوة فطرية في الإنسان تحتاج إلى تقويم وتهذيب، والأموال والأولاد من نعم الله على الإنسان – وهي وسيلة لغاية، ولم يجعلها غاية في حد ذاتها. ولقد تعرضت الآيات القرآنية إلى وسائل كسب المال، والملكية وأكدت على صورتها الشرعية والابتعاد بها عن طرق المال الحرام. أما شهوة البطن، فلا يستغني عنها بشر، لأن بها قوام حياة الإنسان ولكن يجب أن لا تتحول إلى غاية قائمة بذاتها، يلهث الإنسان وراءها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة:١٦٨]

أما شهوة الفرج، فهو أمر فطري عند الرجل والمرأة لتحقيق غاية سامية وهي استمرار النوع البشري، وكل انحراف عن الطريق السليم والقويم والذي أقره الشرع وبينته الشرائع السابقة واستقرت عليه الأعراف السليمة يؤدي بالأمم إلى مزالق وانحرافات وهلاك وأمراض.

أن النفس الإنسانية (الإنسان) مخلوقه لخالق، وهي جنس قائم بذاتها منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، وإن الطبيعة التي حملها آدم عليه السلام هي نفس الطبيعة التي يحملها الإنسان المستمر في الوجود إلى يوم القيامة، فهي ليست امتداداً لأي سلالة حيوانية (إن الجسم والروح) هما عنصرا التكامل في النفس الإنسانية والتكوين المادي للإنسان تكوين أرضي، وروحه نفحة من روح الله- مما جعله كائناً متميزاً. ولم يثبت أنها أي هذه النفحة قد أعطيت لأحد من خلق الله، والروح أمرها مطوي عن الإنسان ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:٨٥]، فالروح مكون من مكونات النفس الإنسانية ولا يمكن تربيتها بمعزل عن المكون المادي للنفس الإنسانية، من هنا يجب الاهتمام بكل مكونات النفس الإنسانية. إن الإنسانية كلها مهما اختلفت أوطانها وأنواعها وأعراقها وأزمانها تنتمي إلى نفس واحدة هي آدم عليه السلام ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ

مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ ﴿١٨٩﴾ [الأعراف:١٨٩] إن الخلق هو من أجل التعارف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ [الحجرات:١٣]، وهذا يجعلنا نطرح هذا الشعار (لتعارفوا)، والتركيز على حوار الثقافات فالثقافات تتحاور للوصول إلى عالم أفضل من التعاون، تتلاقى فيه الحضارات وتتكامل.، وهنا نتوجه نحو العالمية.

إن الإنسان قد خلق لهدف، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى وعمارة الأرض ضمن منهج الله. فإذا وضعنا معادلة رباعية الأضلاع استطعنا القول أن هناك الله المُستخلِف وأن هناك الإنسان المُستخلَف، وأن هناك الرسل واسطة المنهج، وأن هناك المنهج الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى.

لقد خلقت حواء من آدم (وخلق منها زوجها)، وهذا يعكس طبيعة التصور الإسلامي للمرأة، وبالتالي تتكامل الحياة بين الرجل والمرأة، ويتراحم الناس بدلاً من أن يتباغضوا.

أن معرفة دور الإنسان في الأرض هو جزء من عملية التصور الإسلامي للوجود ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ [الأنبياء:١٠٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴿١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣]

لقد ميز القرآن الكريم بين النفس والروح، وهي أي الروح مكون من مكونات النفس الإنسانية وهذا الرأي مخالف لآراء كثير من الفلاسفة، وهي من الأمور التي استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمها، ولا يوجد صراع بين الروح والجسد، فكل يؤدي الدور الذي ركب منه، والعلاقة بينهما تكاملية، فلا وجود للنفس بغير الجسد، ولا وجود لها بغير الروح. فالروح مكانها الجسد.

أن التقسيمات التي دارت حول الإنسان من تقسيمه إلى جسد وروح، هذا التقسيم لا يعطي تفسيراً متكاملاً للطبيعة الإنسانية لأن التفسير المنسّق مع

الآيات القرآنية يوضّح أن النفس الإنسانية كيان واحد فيه جانبين متكاملان (الجسد والروح).

إن هذا الإنسان بحسب النص القرآني قد خلق لغايات محددة هي جزء من التكامل في تكوينه (عبادة وإعمار) (خلافة وعبادة) وبالتالي تصبح مسألة الانقطاع عن الدنيا والزهد بمفهومه الانعزالي ليست من صلب الفهم لهذا الدين. وهي لم تكن كذلك في السلوك الحضاري للمسلمين. كما أن المفهوم المتكامل للحضارة هي التي تجعل الحضارة التي توضع في خدمة الإنسان موجهة بالقيم، ويتضح ذلك من خلال الآيات التي عرضها القرآن الكريم حول حضارة الأمم السابقة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾ [الفجر٦ :١٤]

إن قصة خلق الإنسان منذ البداية تحكي قصة التكريم، ولنا أن نتصور بشرياً عائلة غنية، ليس عندها أولاد، وبعد يأس رزقوا بمولود ذكر، جميل الخلقة، في أحسن تقويم كم سيكون سرورهم، لابد أنهم سيوزعون الهدايا على الجيران والعمال، ويكرمون المستشفى والأطباء، وهكذا، ولله المثل الأعلى، لقد احتفلت الملائكة بهذا القادم الجديد المكرّم، الذي ما أن يتنكب عن الطريق التي خطها الله، حتى تبدأ تعاسته وآلامه.

إن حقيقة خلق الإنسان واضحة، والقرآن لم يتحدث عن أي من المخلوقات كما تحدث عن خلق الإنسان لأهمية هذا الحدث.

إن استحضار هذا المشهد وهو سجود الملائكة للإنسان يجعلنا نتعامل باستمرار مع هذه النفس الإنسانية باحترام، إن العدالة الإلهية التي كرمت هذا الإنسان تقتضي أن يتحمل الإنسان حقيقة أعماله وتبعة تصرفاته، فلا عذر لمن يتنازل عن حريته، بأي حجة من الحجج ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا

﴿فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء:٩٧]

إن كل البشر يرتبطون بالحق عز واجل برابطة واحدة هي رابطة العبودية، ومن هنا كانت أنساب الدنيا – حتى مع اتصالها بالصالحين إن كانت ليست على سويتهم لا تعني لهم من الله شيئا، جاء ذلك في قصص الأنبياء، من إبراهيم إلى نوح، إلى محمد عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبالتالي لا يغنى النسب شيئاً إن لم يكن صاحبه على طريق الحق. وقد أشار الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذلك (لا يأتيني الناس بأعمالهم، وتأتوني بأحسابكم يا فاطمة محمد لا أغنى عنك من الله شيئًا).

إن معيار الحق والصواب عند الإنسان هو ما قرره الله سبحانه وتعالى وليس ما يقرره الناس وفق أهواءهم، ومن هنا تعرضنا لكلمة أكثر في القرآن الكريم ووجدنا ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف:١٠٣] ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ:٢٠]

إن الإنسان ليس نمطاً متصلاً لا يتغير، ولو كان كذلك، لما آمن الكافر، ولما كفر غيره، أن النفس الإنسانية يمكن أن تكون نفساً لوامّة، تحس بمسؤوليتها وتقوم بواجبها.

لقد بث القرآن الكريم نداءاته المختلفة حول الإنسان، والناس والنفس والروح، ومن استعراض مجمل الآيات التي تحدثت عن الناس بصفة العموم نجد أن هذه الآيات قد ركزت على محاور كثيرة فلو أخذناها ابتداء من سورة البقرة لوجدنا أن كلمة الناس قد وردت في حوالي ٢٥ خمسة وعشرين آية، استعرضت هذه الآيات ابتداء صفات المؤمنين، وصفات المنافقين، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة:١٣]

لقد اعتبر هؤلاء المنافقون أن الإيمان، هو من صفة السفهاء مع أن الحقيقة أن الذي يرغب عن الإيمان هو الذي سفه نفسه ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة:١٣٠]، إن العبادة هي مطلب الدنيا والآخرة، وهو خطاب لكل الناس ولاحظ أننا هنا نتحدث عن خطاب للناس وليس للمؤمنين أو المسلمين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١]

إن القرآن يوجه نداءً إلى الإنسان بأن يستفيد هو أولاً من الخير الذي يتحدث عنه، وهذا أمر طبيعي ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٤]

والدار الآخرة، ومكوناتها، (وهنا نشير إلى مكون الجنة) فهي ليست لجنس دون آخر ولا لفرد دون آخر، إنها لكل الناس الذين يسيرون طريق الهداية ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة:٩٤]

إن الحرص هو جزء من واقع الإنسان على الحياة، ولكن لمن يتنكب الطريق أكثر – فالإنسان الحريص على الحياة، هو الذي لا يعتقد اعتقاداً حقيقاً بالآخرة، وإلا لما كان هناك تضحية في سبيل مبدأ أو عقيدة أو دفاعاً عن أرض أو عرض ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦]

وبالرغم من التنبيهات المختلفة للإنسان من عداوة الشيطان لكن هذا الإتباع وصل إلى درجات متفاوتة ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة:١٠٢]

لقد قلنا أن الخطاب القرآني يتحدث عن نماذج من الناس وهذا نموذج آخر يؤكد الصفة السابقة التي ذكرناها صفة (السفه)، ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة:١٤٢]

وإذا وصلنا إلى منتصف سورة البقرة – وجدنا أمراً مقدراً الآية التي تتحدث عن (الأمة الوسط) – تأتي تماماً في منتصف سورة البقرة من حيث ترتيب الآيات – لتؤكد وسطية المنهج الإسلامي في التعامل مع الإنسان، والناس، والأمة...). والوسطية في المفهوم الإسلامي تعني المنهج الأعدل والأقوم والأعمق والأقوى، وتعني منهج الإعداد والنفير الحضاري ووضع الأمة الإسلامية في مركز الصدارة بين الأمم، ديناً وخلقاً واعتقادا وسلوكا وحضارة، لأن الشاهد يجب أن يكون في مرتبة أعلى من المشهود له، حتى يستطيع الشهادة له وتزكيته.

في الآية التي تليها عن الناس، أجد فهماً ربما يختلف عما نتداوله في قضية (اللعن)، تقول الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة:١٦١] فلعن الكافر مباح، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة:٧٨] وهذا بالطبع مختلف عن لعن المسلم للمسلم.

إن الخطاب القرآني –الموجه للناس، يميز بين أنواع الناس– حتى في مستوى الإدراك والفهم، والدين يحتاج إلى الأذكياء، العقلاء، لفهمه وخدمته، ويحتاج ابتداء للوصول إليه، وصولاً إلى فهم مكونات الكون، وربطها مع الإيمان إن الثنائية القرآنية في الخطاب الموجه للناس تقوم في

الغالب على ربط القضية الإيمانية، بالقضية الكونية، لتضع الإنسان في قلب الطبيعة وأسرارها، حتى يقوم بالواجب بمهمة الاستخلاف التي تعتبر محور حياته واستمرار وجوده. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة:١٦٤]

هذه دعوة للتفكر والتدبر في خلق السماء والأرض، وفي آيات الليل والنهار، وفي البحر، وما فيه من منافع، والماء الذي أنزله وينزله الله من السماء يحي به الأرض بعد موتها، وأنواع الدواب التي تسير وتدب على الأرض، واتجاه الريح، وربطها بالسحاب لآيات لقوم يعقلون.

فإذا كان الله هو الخالق، المتصرف، المتدبر، للسماء والأرض، لليل والنهار، للحيوان والنبات والإنسان، فمن هو أحق بالعبادة والإتباع، هل يمكن أن يتخذ الإنسان لله ندًا: الآية تقول كذلك ولكنها تشير إلى أن ذلك من طبع بعض الناس، حتى يكون هناك دائماً معسكران، معسكر للخير يتبع أمر الله، ومعسكر للشر يتبع أوامر الشيطان، وهذا بالطبع مختلف عن المحاور الذي تطلقها بعض الزعامات الغربية عن محوري الخير والشر، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾ [البقرة:١٦٥]

من الطبيعي والإنسان يعيش على هذه الأرض أن تحكمه قوانين هذه القوانين إما أن تكون سماوية أو بشرية، والله يجعل الحلال والحرام من اختصاصه وليس من اختصاص أحد سواه لأن هذا يؤكد الربوبية له وحده، وكما هي الآيات في معظم مفاصلها، تحذر الواحدة تلو الأخرى، من أسس البلاء، وأصل المشكلة مع الإنسان وهو الشيطان، ولقد ذرأ الله للإنسان في الأرض من الحلال الطيب ما يكفيه، وحدد له بعض الأشياء التي حرمها عليه

وطلب منه أن يبتعد عنها، وهنا يأتي السياق القرآني ليتحدث عن (خطوات الشيطان) أي أن الشيطان يبدأ مع الإنسان خطوة، خطوة. حتى يقع في المحذور، يزيد له، ويحثه، ويوسوس له وقد جاءت الآية في خطابها العام للناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ «البقرة:١٦٨» يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين).

إن الإنسان وهو يعيش على هذه الأرض، يحتاج إلى التعامل بأنواعه المختلفة، حتى تسير عجلة الحياة على الأرض، وإذا كانت هذه العجلة بحاجة إلى قيادة، ونظام يحكمها، حتى لا تحدث أثراً سلبياً، جاءت التوجهات الإلهية لتحدد مساراتها، من علاقات مالية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية والاقتصاد دائماً والمال وما يتبعهما يشكلان جزءاً من أساسيات الصراع البشري بين الأفراد والأمم والجماعات، ومن هنا جاءت الآية لتؤكد على المسار الصحيح لاستكمال المال وحركته وهدفه ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾ «البقرة:١٨٨» وهي بذلك تشير أيضاً إلى نوع الرشوة الذي يترتب عليه أكل أموال الناس بالإثم، أي بدون وجه حق.

إن حركة الإنسان على الأرض إن لم تكن مضبوطة بقواعد، وأساس هذه القواعد التوجيهات الربانية فإن الأرض تتحول إلى غابة يأكل فيها القوي الضعيف، وميزة القانون الإسلامي أن يربي من الداخل ويصدر توجهاته في ظل القناعة والرضى، وينفذ دونما رقيب، ولا أقول أن القانون الوضعي لا يؤدي دوره ولكنه يبقى ضعيفاً أمام ثنائية الجزاء التي يتمتع بها القانون الإسلامي.

تستمر النداءات للناس في سورة البقرة ونحن نتبع هذه النداءات، لتؤكد على أن واحدة من أهداف العبادات هي المساواة بين الناس يتجلى ذلك في كل خطوات الحج، من لباس وشعائر.

كانت قريش في السابق، تجعل لنفسها إفاضة خاصة بها، لا تشترك مع غيرها، عنوانا لسيادتها، وسدانتها للبيت جاءت العبادة، ليقف الناس صفاً واحداً في الصلاة، وصياماً واحداً في رمضان، وحجاً واحداً، فيه نفس الشعائر أو المظاهر للغني والفقير، للسيد والمسود، للحاكم والمحكوم ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ «البقرة:٢٠٠» إن الذين أدوا فريضة الحج، ليشعرون بهذا النداء الإلهي مطبقاً على أرض الواقع بين المسلمين من مختلف أصقاع الدنيا، وهم ينفرون من عرفات، يرمون الجمرات، مساواة ما بعدها مساواة أمام أعتاب المولى عز وجل.

الناس في القرآن الكريم أصناف وقد تحدثنا عن كلمة (أكثر) في القرآن الكريم – والمسلم الذي يتلقى تعاليمه من الله، يربي في داخل هذا الإتباع، وهذه القناعات، قد يكون الإنسان معسول الكلام، قد يكون حسن المظهر، وقد يلبس لباس المتقين، قد، وقد...ولكن القرآن الكريم يفضح أساليب هؤلاء الناس قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، ويقول تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ «البقرة:٢٠٥» وبالرغم من أن لكل آية أو مجموعة من الآيات، أسباب للنزول وقتت لها، بأحداث مرت، مع البشر، وفي زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم– فإن هذا حكماً قائماً إلى يوم القيامة.

إنسان، بمظهر جميل، ولسان جميل، يتمسكن حتى يتمكن فإذا أصبح صاحب جاه، وسلطة، وولاية، كشر عن أنيابه وغرسها في لحم ودم المسلمين، لأنه أصلاً، كان ينتظر هذه اللحظات فهو في داخله فاسد، وفي أعماله مفسد، ولو تظاهر بالإصلاح وما دمنا نتحدث عن الإصلاح، فإننا نقول، إن الإصلاح

يحتاج إلى مصلحين، والمصلحون لابد أن يكونوا صالحين، ولا يمكن للفاسدين أن يكونوا مصلحين، لأن نظرتهم إلى الإصلاح تأتي من مدخل الفساد الذي يحملونه، ألم يقل فرعون ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ [غافر:٢٩] فرعون يهدي إلى الرشاد، والذئب هو المأمون على الحمل.

بالمقابل هناك صنف آخر من الناس كما تتحدث الآيات في سورة البقرة عن الناس ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ [البقرة:٢٠٧].

الشراء هنا بمعنى البيع، أي يبيع نفسه في سبيل الله، وهناك مجالات وطرق وقواعد وأحكام لهذه الصفقة أن تكون في سبيل الله، وهنا يربح البيع، ويكون الأجر ما لا يستطيع إنسان أن يتخيله، وبخاصة إذا كانت الشهادة في سبيل الله هي عنوانه. ومن لا يستطيع أن يصل إلى هذه المرحلة فهناك مراحل أخرى، الوقت في سبيل الله، الكلمة في سبيل الله، المال في سبيل الله، الحب في الله، البغض في الله.

ولقد أطلق الخوارج في التاريخ الإسلامي على أنفسهم (الشراه) أي الذي اشتروا أنفسهم في سبيل الله. أحياناً قد يعتقد الإنسان أنه اشترى نفسه في سبيل الله، إن القتال هو واحد من صور الجهاد، والجهاد مفهوم أشمل، يتناول كل الأفعال التي يجاهد الإنسان فيها، وعندما سئل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الرجل يقاتل حمية، أو عصبية، أو شجاعة، أيهم في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله.

إن الله سبحانه وتعالى يريد أنْ يوجه القلوب إليه خالصة، حتى تنال الثواب العظيم، ولعلّ حب إبراهيم عليه السلام لإبنه إسماعيل، ومخالطة هذا الحب، الحب لله بدرجة بسيطة، أدخلت هذا النبي العظيم، في ذلك البلاء العظيم، ولأنه أمّه، قانتا لله، نجح في ذلك الامتحان.

لاشك أن متع الحياة الدنيا من نساء وبنين، وذهب، وفضة تعمل عملها في النفس الإنسانية، ولعلّ المصافي المستمرة للقلوب والغسل المستمر لها، هي التي تسدد الطريق نحو مرضاة الله.

تستمر الآيات لتنير لنا مسيرة البشرية، بدءاً كان الناس أمة واحدة أي جماعة واحدة، ولكنهم لم يبقوا كذلك، ولن يبقوا كذلك، تختلف الآراء، والأهواء، والعقول، والتوجهات، البعض يبقى موحداً والبعض يشرك، والبعض يلحد، ولابد من إعادة التوجيه، تلو التوجيه، لتصحيح مسار البشرية، التي خلقها واحد، وأصلها واحد، وتكونيها واحد، هو الإنسان، بدءاً من آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة:٢١٣]

إن الكتب السماوية، والرسل الذين جاءوا بها، كانت تصحّح المناهج والتصورات، جيلا بعد جيل، وكانت تتحدث عن نبي خاتم، وعن صفاته، وعن منهجه، وكان اليهود تحديداً يتوقعون أن يكون هذا النبي من بينهم، جرياً على عدد *الرسل الذين جاءوا إليهم*. وقد وضحت *الآيات في أكثر من موقع أنهم* يعرفون هذا الرسول كما يعرفون أبناءهم، ولكنه (بغياً بينهم)، وتطاولاً وتجاوزاً أنكروا ما عرفوا من الحق، ولكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- مضى في منهجه، ودعوته، وانتشر بالرغم من كل العداء، ويبشرنا الله سبحانه وتعالى، بأنه سيظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

إن الإنسان وهو يتحرك على هذه الأرض يواجه مشكلات، وله مصالح متنوعة، وقد يحدث خصام بين الناس، وكلنا نقع في جزء من هذه الإشكالات. نحتاج إلى تأكيد صحة ما نحن فيه، حتى في حالات البر والإصلاح، فنحلف

بالله، والله يقول لنا ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٢٤]، والقرآن يفرق بين إيمان اللغو، وإيمان البينة المؤكدة ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة:٨٩]، ومن هنا كانت الكفارة لليمين التي يرجع عنها صاحبها، وقد نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الشخص الذي يبيع بضاعته بالحلف، وتحدثت كتب الفقه عن أنواع الإيمان، ومنها اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار.

إن الفضل دائماً لله، على خلقه، فضل الخلق، وفضل التكوين في أحسن تقويم، وفضل الإنشاء، من العدم، وفضل السمع والبصر والفؤاد، فضل النعم في الأرض وفي البحر وفي السماء، فضل الحياة، فضل المال والولد، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [إبراهيم:٣٤].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١] في هذه الآية مجموعة من القواعد التي لا تتغير بتبدل الأزمان والأمكان، النصر والهزيمة بإذن الله، والضعيف مع الإيمان والأعداد ينتصر، والملك لابد أن يكون معه حكمه ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ - ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾. سنة المدافعة سنة كونية، والمدافعة في سبيل الله هي انتصار للحق، والناس من طبيعتهم أنهم منقسمون بين خير وشرير، والشر لا يمكن أن يجتمع مع الحق، والحق لابد له من مدافعة الباطل، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء:١٨] ﴿وَقُلْ جَآءَ

ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١]، وتتابع الآيات في سورة البقرة الحديث عن الناس ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة:٢٦٤]

هذا النسيان يعود بعده الإنسان إلى التذكر إذا حز به الأمر أو وقع في ضـــــائقة ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام:٤١].

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزُّمَر:٨]

إن الطريقة المثلى لمعالجة هذا الضعف البشري –وأقصد به النسيان– للمهمات الأساسية في الحياة هي ذكر الله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٤].

تتحدث الآية عن الإنفاق، وهو إنفاق في سبيل الله، أي هناك إخلاص في النية، والناس أنواع في ذلك، وحب الظهور جزء من النفسية الإنسانية،

لاحظنا فيما أن الإنسان مكون من مادة وروح، وأن الروح هي مقوم الحياة الإنسانية، والطبيعة الإنسانية، محايدة إزاء الخير والشر وهي حرة قادرة على الاختيار وأن الإنسان خلق بطبيعة مزدوجة وهو يتأثر بما حوله، وهو خليفة الله في الأرض، ولديه استعدادا للتعلم، بعدما خلق، لا يعلم شيئاً، وهو جزء من الكون، ومخلوق من طين الأرض وفيه نفخة علوية، وعقله مناط التكليف، وهو حر ومسؤول (تلازم الحرية والمسؤولية) والحرية، فطرة في طبيعته وجزء من إنسانيته، والاستخلاف هو على شرط الله وعهده، وطبيعته

سمحة وبسيطة – فيها الثنائية ولكن فيها التوازن والتكامل والإنسان مخير في مواقع ومسير في مواقع أخرى أو ما أطلقنا عليه (إجبار الاختيار).

وأن الإنسان الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى ليكون سيد الأرض سخر له كل ما فيها ليقوم بمهمة الاستخلاف، وأعطاه مزية الاستمرارية في العلم بدءاً من أنه لا يعلم شيئاً، إلى أن يكون لديه العلم الكافي الذي به تستقيم حياته على الأرض.

لقد سخر الله للإنسان الأنعام، وطوّع السهول والجبال وسمى الأرض (ذلولا)، أي كالدابة سهلة الانقياد، وأمده بالخيرات وطلب منه القيام بمهمة العبادة والاستخلاف ومع ذلك تصيب الإنسان سمات تودي به إلى عدم الانتباه إلى كل هذه الأمور ومنها:

التظاهر: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] ومن الناس فريق يتردد متحيِّراً بين المؤمنين والكافرين، وهم المنافقون الذين يقولون بألسنتهم: صدَّقنا بالله وباليوم الآخر، وهم في باطنهم كاذبون لم يؤمنوا.

الاستعلاء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة:١٣]

وإذا قيل للمنافقين: آمِنُوا – مثل إيمان الصحابة، وهو الإيمان بالقلب واللسان والجوارح –، جادَلوا وقالوا: أنُصَدِّق مثل تصديق ضعاف العقل والرأي، فنكون نحن وهم في السَّفهِ سواء؟ فردَّ الله عليهم بأن السَّفهَ مقصور عليهم، وهم لا يعلمون أن ما هم فيه هو الضلال والخسران. ومع ذلك تستمر الآيات لتؤكد على الهدف الذي خلق الإنسان من أجله، وهو عبادة الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

نداء من الله للبشر جميعاً: أن اعبدوا الله الذي ربّاكم بنعمه، وخافوه ولا تخالفوا دينه؛ فقد أوجدكم من العدم، وأوجد الذين من قبلكم؛ لتكونوا من المتقين الذي رضي الله عنهم ورضوا عنه. وإلا فإن مصير الإنسان هو في النار التي أعدت للكافرين: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ [البقرة:٢٤]

فإن عجزتم الآن – وستعجزون مستقبلا لا محالة – فاتقوا النار بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وطاعة الله تعالى. هذه النار التي حَطَبُها الناس والحجارة أعدَّتْ للكافرين بالله ورسله، والآيات تطالب الإنسان بأن يستفيد من الخير الذي يطلبه هو من الناس. ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤)﴾ [البقرة:٤٤]

ما أقبح حالكم وحالَ علمائكم حين تأمرون الناس بعمل الخيرات، وتتركون أنفسكم، فلا تأمرونها بالخير العظيم، وهو الإسلام، وأنتم تقرءون التوراة، التي فيها صفات محمد صلى الله عليه وسلم، ووجوب الإيمان به!! أفلا تستعملون عقولكم استعمالا صحيحاً. والجنة مفتوح بابها لكل الناس وليس لفئة خاصة.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤)﴾ [البقرة:٩٤]

قل –أيها الرسول– لليهود الذي يدَّعون أن الجنة خاصة بهم؛ لزعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس، وأنهم أبناؤه وأحباؤه: إن كان الأمر كذلك فادْعُوا على الكاذبين منكم أو من غيركم بالموت، إن كنتم صادقين في دعواكم هذه، وهذه الفئة من الناس بالرغم من هذا الادعاء فإنهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)﴾.

والغفلة قد تصيب الإنسان في الحياة الدنيا ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)﴾ [الأنبياء:97]

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)﴾ [الروم:7]

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)﴾ [ق:22]

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136)﴾ [الأعراف:136]

تأخذ هذه الغفلة عند الإنسان وجهاً مختلفة، هناك الغفلة عن أصل الخلق، والفطرة، الغفلة في الحرب الغفلة عن ذكر الله ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)﴾ [الكهف:28]

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205)﴾ [الأعراف:205]

إن الغفلة تؤدي إلى النسيان، أو يؤدي النسيان أحياناً إلى الغفلة ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115)﴾ [طه:115]

والإعراض عن ذكر الله يؤدي إلى النسيان ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)﴾ [الحشر:19]

ولتعلمَنَّ -أيها الرسول- أن اليهود أشد الناس رغبة في طول الحياة أيًّا كانت هذه الحياة من الذلّة والمهانة، بل تزيد رغبتهم في طول الحياة على رغبات المشتركين. يتمنى اليهودي أن يعيش ألف سنة، ولا يُبعده هذا العمر الطويل إن حصل من عذاب الله. والله تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم وسيجازيهم عليها بما يستحقون من العذاب.

وبالرغم من العداوة التي نبه الله لها الإنسان من هذا الشيطان فإن العداوة بينهما تستمر ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[البقرة:١٠٢]

ويكون السفه من صفات هذا الإنسان، وهي صفة تؤدي به إلى النيل من المؤمنين كما حدث في موضوع تحديد القبلة ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة:١٤٢]

لقد تحدثنا عن الأمة الوسط- وهي الأمة الشاهدة على الناس وقلنا أن من صفاتها أن تكون دائماً في مرتبة أعلى من الأمة أو الأمم المشهود لها، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣]

ونتابع الآيات في سورة آل عمران وهي تتحدث عن الناس سنجد أن لفظ الناس إما يأتي بخطاب عام للبشرية، وبغض النظر عن الدين، وإما يأتي مخصصاً للناس بصفتهم مؤمنين لنرى مثلا في قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران:٩].

فالخطاب هنا للناس كافة وبغض النظر عن الدين والجنس وعندما تتحدث الآية عن أصحاب القسط في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران:٢١]

نجد الآية تتحدث عن الذين يأمرون بالعدل، أي أصحاب دعوة وإيمان واتباع أنبياء.

وفي قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران:٤١]

تتحدث الآية هنا عن مجموعة من الناس كانوا حول زكريا عليه السلام، وسياق الآية يشير إلى أنهم من أتباعه، وفي نفس السياق تتحدث الآية عن عيسى عليه السلام، الذي يكلم الناس في المهد ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:٤٦]، فهو أيضاً في سياق الخطاب الذي تحدث عن زكريا عليه السلام والناس هنا أصناف لم تحددهم الآية. وعندما يأتي السياق ليتحدث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام يكون أكثر تخصيصاً ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران:٦٨] .

تحدثت الآية عن أولى الناس بإبراهيم الذي اتبعوه، وهي تشير إلى الطليعة المؤمنة التي تناصر الرسل وهم الصنف الذين اتبعوه من الناس، وعندما يكون الحديث حول الظالمين، وهم الذين خصّهم القرآن الكريم بجزء كبير من الآيات، وهي واحدة من الصفات التي يكرهها الله سبحانه وتعالى تقول الآية ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [آل عمران:٨٧] وعندما يشير لفظ الناس هنا يشير إلى العموم.

إن الإيمان والهداية عنوان دعوة الرسل للناس، سواء كانت خاصة بأناس معينين، أم للبشرية كافة، ومن المعلوم أن العبادات في أصلها، مفروضة في كل الديانات وهنا تتحدث الآية عن ركن الحج، منذ زمن إبراهيم عليه السلام ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:٩٧] .

ومن الطبيعي أن يكون الحديث هنا، عن جزء من الناس وهم المؤمنون برسالة إبراهيم عليه السلام، ومن ثم برسالة سيدنا محمد -صلى الله عليه

وسلم-. فالحج كما هو معلوم ركن من أركان هذا الدين، والرسل بين إبراهيم عليه السلام، وبين محمد -صلى الله عليه وسلم-، كانت لهم عباداتهم وطرقها من صلاة وصيام وحج وغيره، وجاءت رسالة الإسلام لتبلور بشكل واضح هذه العبادات ديمومة واتصالاً ليلاً أو نهاراً.

تتحدث الآية التي بعدها عن بني إسرائيل ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران:١١٢] .

واضح هنا أن كلمة الناس عامة، وهي تشير إلى أفراد ودول، وواضح أيضاً تطبيقها العملي في حماية اليهود في العالم (حبل من الناس) قوة واتصال من الناس، والذلة هنا دلالة متعددة الأوجه، ومهما ظهرت قوة اليهود، فإن نهايتهم هي الذلة، ولعلّ صورة الرعب التي تتحقق نتيجة لوجود المؤمنين قد أشارت لها الآية الكريمة، وحبل الناس الآية تتمثل في احتضان كثير من الدول لمقولات اليهود وتبني آرائهم، وعندما يكتشف هؤلاء الناس مقدار الأذى الذي لحق بهم نتيجة اليهود، فإنهم سيتخلون عنهم.

إن سماحة الإسلام تتجلى في صورة التعامل اليومي والسلوك الفردي ولا قيمة لمعتقد لا يظهر أثره على جوارح الإنسان ومن هنا جاءت صفات المؤمنين الكثيرة ومن بينها العفو عن الناس، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤]، جاء الإنفاق في صور الحياة المختلفة (السراء والضراء)، وجاء كظم الغيظ ثم جاء العفو بعد ذلك، والعفو هناك لم تنص عليه الآية أن بين المؤمنين وإنما (عن الناس).

إن سنن الحياة لا تتغير، ولا تلوي أعناقها لأحد حتى ولو كان رسولاً موحى إليه، فما بالك لمحمد -صلى الله عليه وسلم- خير الخلق، ومنها عناصر

النصر في الحرب وأسباب الهزيمة قال تعالى ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، الآية هنا تشير إلى الناس والمداولة هي أسباب النصر والهزيمة والتمكين والضعف، والمداولة تعني عدم الثبات، وإمكانية التغيير، إذا تحققت شروط التغير جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن أسباب النصر والهزيمة في معركة أحد. إن معية الله قوة للإنسان، تعطيه المدد، وهنا تفرق الآيات بين الناس في مطلق النص وعمومه وبين الحقيقي بين الناس في جانب الباطل، والآخرين في جانب الحق.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران:١٧٣]

الناس هنا المثبطين، والمناوئين، وكلاهم لا يريدون خير للمؤمنين وعندما تنتهي سورة آل عمران ونبدأ بسورة النساء نأتي إلى مفتتح السورة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١] .

هذا واحد من النداءات الكبرى في الإسلام، وواحدة من الفصول المميزة في تاريخ البشرية، وواحدة من مفاصل النسب وامتداده، وواحد من نداءات المساواة التي تلغى الفواصل التي يتحدث عنها الناس، وواحدة من النداءات التي تتحدث عن العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة (وخلق منها زوجها)، وواحدة من ركائز العلاقة الاجتماعية المبنية على تنمية التراحم بين الناس وبخاصة الأقارب منهم.

إن الله يعلم بعلمه المسبق صراعات الإنسان المستقبلية والظلم الذي يلحق ببعض الناس من أقرب الناس إليهم يريد أن يذكرهم أن أباهم واحد، وأصلهم واحد، وهذه ميزة الدين الذي يتحدث عن الإنسان، والناس مطلق الإنسان، ومطلق الناس.

وعندما تحدثت الآيات عن النفس البشرية تحدثت عن واحدة من مطبّات الحياة وقالت ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾ «الحشر:٩»، وهنا تتحدث الآيات عن الإنفاق. والمال مهم للحياة، وجزء من زينة الحياة، والنفس البشرية تهّواه ومن هنا كان الذم للذين يبخلون، ويأمرون الناس بالبخل والذي يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الرزق من عند الله لا يمكن أن يكون بخيلا، وإذا كانت صفات الإنسان مكتسبة في الغالب وتلعب الأفكار والبيئة والعقائد دوراً في تشكلها أو تنشئتها أما بالاتجاهات الإيجابية والسلبية، فإن الآية هنا تتحدث عن جانب مهم في مسيرة الإنسان وهي قضية المال والإنفاق أن حب الظهور، والثناء، هي جزء من الصفات التي يمكن أن تستحكم بالإنسان، وتجعل عمله غير مأجور وهنا تتحدث الآية عن هذا الصنف من الناس ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ «النساء:٣٨».

أن عدم الإيمان ينعكس في ظلاله على النفس البشرية، تماماً كما ينعكس الإيمان فعندما يكون الإنفاق للسمعة والرياء، فإن ذلك من حبائل الشيطان التي تحبط عمل الإنسان.

هذه توجهات إلهية، للإنسان، والناس، وبيان طبيعة صفات كل معسكر من معسكرات الحياة، معسكر الذين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، ومعسكر الإيمان.

وعند الحديث عن صفات بعض الأمم أو بعض أفرادها وهنا الحديث عن اليهود، وصفاتهم وهو حديث مخصوص، أثبت الأيام كم هو عميق، وأصيل في نفوسهم، وكم هو واقع في حياتهم – والنقير كما أعلم هو الحبل الذي يكون في وسط النواه، على شكل خيط أبيض رفيع، فعندما يكون لهم الملك، والملك قد يعنى الحكم، وقد يعنى التملك والثروة، فإنهم لا يعطون الناس نقيرا وتتحدث الآيات عن صفات النفس البشرية، وفهم هؤلاء اليهود ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ

ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٥٤]

إن الله سبحانه وتعالى يقسم الفضل والنعمة بين خلقه أفراداً وأسراً وأمماً، فهذا الحسد الذي يأتي وراء هذه النعمة، فضلاً من الله وتبع ذلك بالحديث عن سيدنا إبراهيم وذريته، (الكتاب، والحكمة والملك العظيم)، لقد أعطى الله سيدنا داود سبحانه ملكاً عظيماً وكما قال سيدنا سليمان ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾، وأعطى الرسول -صلى الله عليه وسلم- الكتاب والحكمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وهذا فضل مقسوم من الله سبحانه وتعالى بين عباده، أي بين الناس أن دين الإسلام هو دين المساواة بين الناس، والحكم بالعدل فيما بينهم - لا يمنع العدل أن يتحقق القرابة، سواء كان له الحق أم عليه والأمانة التي يؤتمن الإنسان عليها واجب أداؤها حتى تستقيم الحياة بين الناس ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨]

إن الخطاب هنا أيضاً لم يكن للمؤمنين، لأن العالم لا يكون كله على سوية إيمانية واحدة، هناك المؤمن والكافر، وهناك بين المسلمين من هو غير مسلم. وحتى تستقيم الحياة لابد أن تسود العدالة والتي هي إحدى قيم الإسلام الكبرى ليس فقط بين المسلمين وإنما في العالم. ومن هنا كانت المقولة المشهورة (إن الأمم الكافرة تنتصر بالعدل، والأمم المسلمة تهزم بالظلم).

إن الإنسان عندما يبتعد عن حقيقة الإيمان يصبح الخوف من الناس أهم من الخوف من الله سبحانه وتعالى، ودائماً أقول إننا بحاجة إلى توحيد الخوف، أي توحيد مصدر الخوف، وهو الخوف من الله سبحانه وتعالى. وهنا يشير الحق سبحانه وتعالى إلى صنف من الناس ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء:١٠٨]

إن القرآن وهو يحدد الأبعاد الاجتماعية والنفسية حتى في أبسط دقائق التعامل بين الناس، ويحافظ على شعور الناس وهم يتعاملون مع بعضهم البعض، ويجد أن محور التلاقي والتشاور يجب أن يكون للإصلاح بين الناس، وهو فعلٌ من أفعال الخير ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤]

إنّ معيشة الإنسان على ظهر الأرض ليست متروكة سُدىً، للإنسان يتعرف كما يريد، هناك سنن للتمكين وسنن للاستخلاف، وقد كان من سنن الاستخلاف الإيماني، والتمكين في الأرض الارتباط بمنهج الله ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ وهناك منهج المدافعة المرتبط بمنهج الاستخلاف، كما خلق الله الإنسان وتكون من نسله الأمم فإن الله الخالق القدير، قادر على الاستبدال ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء:١٣٣]

لقد كانت قضية النفاق من أدق القضايا التي عالجها القرآن الكريم والمنافق أخطر من الكافر، لأن الكافر واضح في أسلوب تعامله، ونستطيع أن نتعامل معه من منطلق المعرفة والمواجهة. المنافق يخفي ما لا يعلن، وكما تم التفصيل في كتب الفقه، فهناك نوعان من النفاق، نفاق العقيدة ونفاق السلوك. وكلاهما خطر، ولكن الأول أكثر خطراً.

نفاق العقيدة يخرج من الملّه، فالمنافق الذي يقول لك أنا مؤمن وهو كافر، أمره خطير جداً، وقد عرف المنافقون على زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفصلت الآيات والأحاديث صفاتهم، مما لا مجال للخوض فيه كثيراً. ولكنني عندما أتعرّض لهذا الموضوع أقول إننا نحن العرب تفردنا من بين الأمم على الأرض أو أخذنا قصب السبق في النفاق وهو أمر أشار إليه القرآن الكريم

عندما تحدث في سورة التوبة عن الأعراب – وعن أهل المدينة، ووصف الأعراب بأنهم أشد كفراً ونفاقاً، ووصف أهل المدينة، بأنهم مردوا على النفاق، مما يعطينا مؤشر أن النفاق غير مرتبط ببعد مكاني، أي ليس مجرد سكن الإنسان منطقة يوصف بالمنافق، وتغير سكنه تزول عنه هذه الصفة. النفاق له أسباب، بعضها مرتبط بالمصلحة، والبعض بالتمسك بدين ما، وما يظهر في مجتمعاتنا مرده، إلى ضعف عقيدة التوحيد في نفوس الناس أو في نفوس المسلمين والمؤمنين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ «النساء:١٤٢» قضية الناس مهما كانت أصنافهم، وإرضائهم، على حساب العقيدة والسلوك القويم، هي التي تترك أثر النفاق في النفوس، وبما أن الله سبحانه وتعالى هو أغنى الشركاء، فإنه لا يقبل عن العمل إلا ما كان خالصاً.

إن الدين –أمر المنهج– أو الإسلام، لم يكن ديناً تعبدياً فحسب، وإنما هو دين للحياة، أو أن الحياة تقوم به وكان توالي الرسالات، دائماً لخير البشرية، جاء بعضها ليعالج قصوراً في مجال محدد، دونما شمولية العلاج لمناحي الحياة المختلفة، بينما نجد في الإسلام شمولاً في التوجيه الرباني، وهنا تتحدث الآية عن شمول المنهج في البعد الاقتصادي ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ «النساء:١٦١»

قضيتان من أخطر القضايا على الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية والحكم والسلوك (الربا وخراب الدنيا)

وذلك على ضوء الخراب الذي أصاب العالم مؤخراً من هزة اقتصادية، وبدأت الدول تنقص هامش الربا إلى صفر٪ لأنها أدركت أن الربا مشكلة. وأن تشتري بما لا تملك مشكلة، وأن تبيع ما لا تملك مشكلة، وأن ترهن بأكثر مما تملك وتقدر مشكلة. الربا قضية اقتصادية قديمة، جاء الإسلام ليحذر الإنسان منها، والقرآن أعطى تصويرا دقيقاً لهذه الحالة إذ أنه شبهها بأن الذين يأكل الربا

لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخطبه الشيطان من المسّ، وأنه معرض لحرب الله ورسوله هو أشبه بالمصروع، وهكذا نرى في حياتنا من مآسي جلها الربا على اقتصاد الدول. والرسول -صلى الله عليه وسلم- في آخر خطبة له في حجة الوداع. قال (إن كل ربا لدي موضوع تحت قدمي هذا) (وأول ربا أضعه ربا عمي العبّاس)، أي أن الموضوع ليس نظريا فحسب وإنما هو تطبيق عملي. والمجتمع الإسلامي قديماً مهما انحدرت أوضاعه لم يكن الربا واحداً من مناهجه الاقتصادية. إن الذي يأكل الربا ويتجرأ عليه، يتجرأ على شيء آخر، وهو كل أموال الناس بالباطل. وأي أكل بالباطل أكثر من الأكل بالربا، أو انتشار الفساد الاقتصادي، والرشوة بين الناس.

البلاغ الإلهي يسمى الإسلام – (الحق) – ويسمى البيان النبوي (الحق وعندما يتحدث عن الناس، إن يتحدث عن عمومية الرسالة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧٠]

الإيمان بالله هو الخير للإنسانية، والصد عن منهج الله هو الضنك ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾، ومن المعلوم أن إيمان كل الناس أو كفرهم، لن يؤثر على الله، إلها، حاكماً مسيطرا، له ملك السموات والأرض، ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، الله ليس بحاجة إلى إيماننا أو يضره كفرنا نحن بحاجة للإيمان، لأن ذلك في مصلحتنا في الدارين الدنيا والآخرة إن الإيمان ليس أمراً فيه من الطلاسم بما يحول دون فهمه، ولا يقول لك الرسول (اغمض عينيك ولا تفكروا واتبعني)، وإنما يقول لك أن هناك براهين دالة على صدق الوحدانية والوجود والألوهية ما عليك إلا أن تفتش فيها وعليها. القرآن نفسه (برهان) أي دلالة على صدق الرسالة من يحوي من معجزات في شتى المجالات، ستبقى دلالاتها مع تطور كل علم وكل جيل، والقرآن هو (النور)، الذي يضيء لك درب الحياة، هو الذي نقلك النقلة التصورية الاعتقادية،

والنقلة المنهجية، والنقلة المعرفة، وأخرجك من العقلية التسطيحية، إلى العقلية التركيبة، من عقلية من يعبد الحجر إلى عقلية من يعبد رب الحجر والشجر والموز. كما أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- نفسه هو برهان، وما جاء به من كلام هو برهان، وأعظمها هذا القرآن، بما يشهد بصدق الرسالة ويستدعي الإيمان والتسليم.

ويستمر المنهج الرباني في بيان التشريع الإلهي عبر كل الرسالات والتي تقوم أصلاً على التوحيد، وتصحح مسيرة الإنسان، وتريد له الخير، وتبين كم هو كريم على الله هذا المخلوق، فما خلقه ليتركه سدى أو ليعرضه للعقوبة قبل تعريضه للتكريم، أو ليعرضه للنار، وهو يعرض عليه الجنة.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢]

هنا يأتي الحديث مرة أخرى عن الإنسان، أو عن النفس مطلق النفس، موتاً وحياة. ويقرر الله سبحانه وتعالى أن ما تم إقراره على بني إسرائيل هو مقرر علينا، مادام المنهج واحد، ومصدر التلقي هم الرسل.

النفس التي تقتل بغير حق، قتلها، يساوي قتل الناس جميعاً. هذه النفس هبة من الله سبحانه وتعالى، وفي هذا السياق نؤكد الترابط الذي ذكرناه عند حديثنا عن النفس أن المقصود بالنفس هنا هو الإنسان (جسماً وروحاً)، هذه النفس لا يجوز ازهاقها، حتى من صاحبها، لأنها في الأصل ملك لله سبحانه وتعالى. هو خلقها وقدر أجلها، وهو الذي يأخذها، ويا أيها الإنسان، إذا قمت بأخذ هذه النفس فكأنما قتلت الناس جميعاً. وبالمقابل إذا أحييتها فكأنما أحييت الناس جميعاً. وكيف يكون الأحياء. يكون بعدة طرق الأحياء الاقتصادي، الاجتماعي، البدني، من فصلت فيه كتب الفقه ثم تتوالى الآيات وهي تتحدث

عـن المـنهج، والنـاس ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾ [المائدة:٤٩]

هذه الآية يمكن أن نكتب عنها لوحدها كتاباً كاملاً، قـضية الحكـم، ودور النبوة فيه، وضروري اكتمال المنهج في الحكم حتى يستقيم أمر النـاس وموقـف الناس من المنهج، ثم التعرف لكلمته أكثر التي تحدثت عنها في موقع آخر، والتي تشير غالباً إلى السلبية (أكثر الناس لفاسقون) (أكثرهم للحق كارهون) (ولكـن أكثرهم لا يؤمنون).

الحكم بما أنزل الله هو الخط الأحمر الذي لا يستقيم أمر الـدنيا إلاّ بـه، ولا يجوز لأحد أن يتجاوزه، إن كان عمداً فهناك حكم له، وإن كان تقـصيراً فهنـاك حكم آخر، والإنسان عندما يتبع الهوى، هـواه، أو هـوى غـيره، خربـت الـدنيا وأصبح الهوى إلها يعبد (أفرأيت من اتخـذ إلهـه هـواه)، (ولا تتبعـوا الهـوى أن تضلوا) (ونهى النفس عن الهوى). الإنسان له أهواء، والمجتمع لـه أهـواء، هـذه الأهواء، هي مقابل العدل الإلهي. العدل الإلهي مطلق، لأنه يتعامل بحيادية مـع النفس البشرية ومع الإنسان فالله ليس له هوى عند جنس دون آخر، وعند أمـة دون أخرى، وعند شخص دون آخر، كلهم هو إلههم وخلقهـم، ولكـن النـاس لهم هوى، هوى الجنس وعصبية، هوى المال هـو الـنفس، هـوى الجـاه، هـوى المصلحة، وهوى وهوى وبالتـالي يمكـن أن ينحـاز تبعـاً للـهوى في حكمـه أو منهجه أو قراره ولذا اقتضى التنويه (لا تتبعوا الهوى).، وكمـا أن هنـاك أمـوراً كبيرة، هناك أموراً صغيرة، وبما أن فيها حكم، فكلها عند الله مهمة، ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾. إن الـذنوب تـؤدي بالإنـسان إلى بدايـة الانحدار، وتوالي الذنوب تؤدي إلى توالي الانحدارات، والـذنوب الـتي تـصيب الإنسان المسلم، تدعوه إلى الهوى، وإلى عدم الإتبـاع، وإلى تـوالي تـشكل طبقـة

الران على القلب، هنا تتحدث الآية عـن ذلـك، وتطلـب العـودة الـسريعة إلى حضن الإيمان الدافئ.

إن مهمـة الرسـل تجـاه رسـالتهم هـي التبليـغ الكامـل للنـاس، أي إتمـام الرسالة، وما ينبغي لرسول أن يتخلف عن تبليغ منهج الله للناس، ولعلّ تأكيـد ما هو مؤكد. واضح في هذه الآية ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٧] ربما إذا استعرضنا بعض كتب التفاسير وجـدنا أهـواءً قـد دخلـت في تفسير هذه الآية، أنا هنا أريد أن أعتمد على النص القرآني، بتأكيد تبليغ المنهج من الله سبحانه وتعالى على يد المبّلغ محمـد -صـلى الله عليـه وسـلم-، ولعـلّ الرسول أثناء التبليغ، بل هو ما وقع فعلاً، أنه سيتعرض للأذى من الناس وهنا تأتي الضمانة الإلهية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وقد حدث فعـلاً عنـدما هـمّ الإعرابي بقتل الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وهو نائم تحت الشجرة فقـال الإعرابي من يعصمك مني قال الرسـول -صـلى الله عليـه وسـلم- الله، فوقـع السيف من يد الإعرابي.

أنا هنا أستعرض الآيات التي وردت فيها كلمة (النـاس) والنـاس في هـذه الآية هم أعداء المنهج أي غير المؤمنين، لأن الرسول -صلى الله عليـه وسـلم- لن يتعرض للأذى من المؤمنين.

وعندما يحدد القرآن الكريم مصدر العداوة للمؤمنين، يحدد أصنافاً من الناس، يبدأ القرآن بصنف مـن النـاس، هـم اليهـود ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة:٨٢]

﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ﴾، الناس هنا مطلق النـاس وبغض النظر عن الجنس والمكان. وهي قاعدة لابد أن تبنى عليها العلاقـات في

ميدان الحياة. السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية وغير ذلك. بما أن الله حدد مصدر وقوة أبعاد العداوة من الناس للمؤمنين فإن واجب المؤمنين الحذر. ولقد وضحت هذه العداوة منذ بدء رسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في مكة ومن ثم في المدينة، واستمرت مع التاريخ. إن هذا الموقف لا يعني مباداة الحرب أو العداوة مع اليهود كجنس أو اليهودية كدين، ولكنه تحذير من موقف حدث وسيحدث عبر التاريخ ولعلّ حاضر الأمة الإسلامية وعداوة اليهود لها، وتأليبهم الدول والساسة، على المسلمين وفلسطين ومأساتها شاهد على ذلك.

في الحديث عن الناس يسير القرآن مع الرسل عبر رسالتهم، هذا عيسى عليه السلام يكلم الناس في المهد وكهلاً، يقول تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة:١١٠] .

وقصة سيدنا عيسى معجزة، في خلقه ووفاته ويوم بعثه، ولعلّ الآية هنا تشير إلى كلمة (وكهلاً)، فعيسى توفى وهو شاب، فتكليمه للناس هو جزء من علامات الساعة الكبرى (وإنه لعلم الساعة).

إن الحياة في القرآن هي الحياة الحقيقية، وهي التي تتصل بمنهج الله والناس عندما يتنكبون منهج الإله، فكأنهم يعيشون أحياءً أمواتاً بدون أهداف.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢]

إن الحياة إنما تكون حقيقية ومنتجة وذات هدف بناء عندما تكون في ظلال منهج الله ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ - وعندما تكون الحياة يكون النور أي

المنهج، . (يا أيها الناس قد جاءكم نور من ربكم وشفاء لما في الصدور). إن الإنسان في خط سيره، لابد أن يحدد منهجاً له، فإن كان هذا المنهج إلهي وطبق تطبيقاً صحيحاً كان الفلاح في الدنيا والآخرة.

إن الافتراء على الله يأخذ صوراً مختلفة من الناس، وموضع التحليل والتحريم، وادعاء مصدريته يدخل الإنسان في دائرة الشرك يقول تعالى ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٤)﴾ [الأنعام:١٤٤] .

إن العلم في الحكمة والحرمة يجب أن يكون مصدره الله سبحانه وتعالى والناس بحكم طبيعتهم أحيانا قد يثقون ممن يدّعون تمثيل العلم في جانبه الديني، فمثلاً كان الأحبار والرهبان يدعوّن ذلك، وأنتقل هذا الأمر إلى المشركين، فحلّلوا وحرّموا -كما حرّم إسرائيل على نفسه ولم يكن هذا التحريم موجوداً في التوراة، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾،إن ظلم الإنسان لنفسه عندما يضل الناس كبير لأنه يتحمل أوزارهم وخطاياهم، فهو كان سبباً في ضلالهم، وبنفس السياق فإن الإنسان الذي يهدي الناس يُكتب له أجر هدايتهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

عند استعراضنا لمعظم الآيات التي تتحدث عن رسالة الرسل فإننا نجد قبل محمد -صلى الله عليه وسلم-، كانت الرسالات إما محصورة زماناً أو مكاناً، أو شعباً، فلم تكن هناك رسالة شاملة. هذا شعيب عليه السلام يتحدث عنه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:٨٥]

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ - الحديث هنا مطلق في قضية التعامل الاقتصادي أن الأرض في الأصل وما عليها كان صالحاً ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ والإنسان عندما يتدخل في الأرض (معنوياً أو مادياً) بدون منهج يؤدي تدخله إلى الإفساد، وما نرى الواقع البيئي اليوم، وقضايا الاحتباس الحراري والمناخ والتلوث في الجو والأرض والبحر كل ذلك من صنع الإنسان. إن المناطق التي لم تدخلها يد الإنسان والتي نطلق عليها المناطق البكر في العالم لا أروع ولا أجمل منها، وعندما تتدخل يد الإنسان، وتعمل وفق هواه، يدب الفساد على الأرض.

إن الله سبحانه وتعالى وهو يرسل رسله، يؤيدهم بالمعجزات ونحن نتحدث عن الإنسان والرسل والمعجزات، فإن هذه المعجزات كانت زمانية ومكانية، صلحت لمن رآها، ونحن الآن نسمع بها ونصدقها من خلال كلام الله، ونأخذ منها العبرة، لأن ما حدث مع أصحاب المنهج عبر التاريخ يتكرر مع الرسل وأتباعهم. هناك دائماً فريقان، فريق يتبع الحق وهم أتباع منهج الله، وفريق يتبع الباطل وهم أتباع الشيطان وحزبه، وأتباعه. والقرآن وهو يتحدث عن المعجزات يصور لنا موقف الناس في حالتين، الحالة الأولى وهم يبهرون مما رأوا لما قدم البشر، والحالة الثانية وهم يصدقون بالمنهج، لأن الذي يعرف سر صنعة السحر مثلاً هو الساحر، ففهما يرى أن ما هو أمامه ليس بسحر مبشر يتحول مباشرة إلى مؤمن وداعية ومنهاج عن الحق يقول تعالى قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾، وفي هذا أيضا دلالة على قدرة الإنسان من ناحية وعلى أن السحر البشري لا يؤثر في المضمون وإنما يؤثر في الشكل، بعكس ما جاء به موسى النبي الإنسان الذي أراد الله له معجزة حسية من جنس ما أرادوا من معجزة،

ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام ليبين أن من بين الناس أناساً، اصطفاهم الله سبحانه وتعالى وهم الأنبياء ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤]

لقد قلنا أن هناك فرقاً في الخطاب الإلهي عبر رسالات الأنبياء للناس بين أن يكونوا مجموعة، قوم، جنس، أرض، زمان مكان، وبين أن يكونوا (جميعاً)، مكاناً وزماناً جنساً وأقواماً وهذا الخطاب لا نجده إلا في رسالة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث يقول تعالى ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨]

أن ملكية الله للسموات والأرض بصورتها المطلقة، اقتضت زمانياً أن تقف الرسالات عند ربوة -ما بين ما كانت- وما ستؤول إليه من ميراث للرسل والبشرية -وهكذا- تقابلت عمومية الرسالة والمنهج للإنسانية، مع ملكية الله للسماوات والأرض، واتباع هذه الرسالة هو الهدى للناس والفلاح والصلاح لهم.

نعود مرة أخرى إلى كلمة أكثر في القرآن الكريم – وفي كل مرة تكون لها دلالة في هذه المرة ترتبط بالعلم علم الإنسان وعلم الله، وموعد الساعة يقول تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف:١٨٧]

أن معية الله دائماً تكون مع الرسل وأتباعهم، تتدخل في الوقت الذي تراه هي، في مفاصل الدعوات زماناً ومكاناً، والناس كما ذكرنا أصنافاً، وكثيراً ما تتحدث

الآيات عن الناس من باب الإخبار أكثر مما تحدث بطلب أمر أو نهي يقول تعالى ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال:٢٦]

أن من مهام الإيمان بالله أن يجعل العمل خالصاً له من دون الناس، في كل المحطات والمواقف سلماً أم حرباً إنفاقاً أو كسباً وفي معركة بدر كان هناك توجه إلهي يتحدث عن المقارنة بين الصف المؤمن والصف الكافر. قريش التي خرجت كانت تريد المهابة، والمزاودة على العرب، وتثبيت القيادة، ولذلك قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال:٤٧]،والناس هنا هم الذين كانت قريش تقصدهم في الجزيرة العربية.

إن مجريات الأحداث لا تسير إلا وفق إرادة الله سبحانه وتعالى، والبشر هم واسطة الحدث. في معركة بدر تجلى ذلك واضحاً، وكان هناك معسكران (قريش والشيطان) (محمد وأصحابه ومعية الله)، وحتى يكون قتال وفرقان يقول تعالى ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال:٤٨]

والناس هنا في ظاهر الآية يقصد بهم المسلمون، أي أنكم لا تستطيعون أن تغلبوا من الناس لقوتكم، وهم المسلمون.

واذكروا أيها المؤمنون نِعَم الله عليكم إذ أنتم بـ "مكة" قليلو العدد مقهورون، تخافون أن يأخذكم الكفار بسرعة، فجعل لكم مأوى تأوون إليه وهو "المدينة"، وقوَّاكم بنصره عليهم يوم "بدر"، وأطعمكم من الطيبات -التي من جملتها الغنائم-؛ لكي تشكروا له على ما رزقكم وأنعم به عليكم.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال:٤٧]

ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من بلدهم كبراً ورياءً؛ ليمنعوا الناس عن الدخول في دين الله. والله بما يعملون محيط لا يغيب عنه شيء.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)﴾ [الأنفال:٤٨]

واذكروا حين حسَّن الشيطان للمشركين ما جاؤوا له وما همُّوا به، وقال لهم: لن يغلبكم أحد اليوم، فإني ناصركم، فلما تقابل الفريقان، المشركون ومعهم الشيطان، والمسلمون ومعهم الملائكة، رجع الشيطان مُدْبراً، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا مدداً للمسلمين، إني أخاف الله، فخذلهم وتبرأ منهم. والله شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب توبة نصوحاً.

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣]

وإعلام من الله ورسوله وإنذار إلى الناس يوم النحر أن الله بريء من المشركين، ورسوله بريء منهم كذلك. فإن رجعتم -أيها المشركون- إلى الحق وتركتم شرككم فهو خير لكم، وإن أعرضتم عن قبول الحق وأبيتم الدخول في دين الله فاعلموا أنكم لن تُفْلِتوا من عذاب الله. وأنذر -أيها الرسول- هؤلاء المعرضين عن الإسلام عذاب الله الموجع والناس هنا إعلام عام، لكل من يصله التبليغ.

﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)﴾ [التوبة:٣٤]

يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن كثيراً من علماء أهل الكتاب وعُبَّادهم ليأخذون أموال الناس بغير حق كالرشوة وغيرها، ويمنعون الناس من الدخل في الإسلام، ويصدون عن سبيل الله. والذين يمسكون الأموال، ولا يؤدون زكاتها، ولا يُخْرجون منها الحقوق الواجبة، فبشِّرهم بعذاب موجع والناص هنا أيضاً خطاب عام، وفيه دلالة على أن الوساطة بين العباد والله سبحانه وتعالى ستؤدي إلى مثل هذه التصرفات.

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ [يونس:٢]

أكان أمراً عجباً للناس إنزالنا الوحي بالقرآن على رجل منهم ينذرهم عقاب الله، ويبشِّر الذين آمنوا بالله ورسله أن لهم أجراً حسناً بما قدَّموا من صالح الأعمال؟ فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي الله وتلاه عليهم، قال المنكرون: إنَّ محمداً ساحر، وما جاء به سحر ظاهر البطلان. والناس هنا أيضاً خطاب عام، وهذه دلالة على بشرية الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [يونس:١٩]

كان الناس على دين واحد وهو الإسلام، ثم اختلفوا بعد ذلك، فكفر بعضهم، وثبت بعضهم على الحق. ولولا كلمة سبقت من الله بإمهال العاصين وعدم معالجتهم بذنوبهم لقُضِي بينهم: بأن يُهْلك أهل الباطل منهم، وينجي أهل الحق ولكن أمر الله هو التأهيل إلى يوم يبعثون.

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس:٢١]

وإذا أذقنا المشركين يسراً وفرجاً ورخاءً بع عسر وشدة وكرب أصابهم، إذا هم يكذّبون، ويستهزئون بآيات الله، قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المستهزئين: الله أسرع مكراً واستدراجاً وعقوبة لكم. إن حَفَزَتنا الذين نرسلهم إليكم يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا، ثم نحاسبكم على ذلك. والناس هنا خطاب للمشركين.

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يونس:٢٣]

فلما نجاهم الله من الشدائد والأهوال إذا هم يعملون في الأرض بالفساد وبالمعاصي. يا أيها الناص إنما وَبالُ بغيكم راجع على أنفسكم، لكم متاع في الحياة الدنيا الزائلة، ثم إلينا مصيركم ومرجعكم، فنخبركم بجميع أعمالكم، ونحاسبكم عليها (والناس هنا خطاب للمشركين).

لا زلنا نتتبع الآيات التي وردت فيها كلمة الناس والإنسان وهم محور الرسالات: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٢٤]

إنما مثل الحياة الدنيا وما تتفاخرون به فيها من زينة وأموال، كمثل مطر أنزلناه من السماء إلى الأرض، فنبتت به أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض مما يقتات به الناس من الثمار، وما تأكله الحيوانات من النبات، حتى إذا ظهر حُسْنُ هذه الأرض وبهاؤها، وظن أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها، جاءها أمرنا وقضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات، والزينة إما ليلا وإما نهاراً، فجعلنا هذه النباتات والأشجار محصودة مقطوعة لا شيء فيها، كأن لم تكن تلك الزروع والنباتات قائمة قبل ذلك على وجه

الأرض، فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهَون به من دنياكم وزخارفها فيفنيها الله ويهلكها. وكما بيَّنا لكم -أيها الناس- مَثلَ هذه الدنيا وعرَّفناكم بحقيقتها، نبيِّن حججنا وأدلتنا لقوم يتفكرون في آيات الله، ويتدبرون ما ينفعهم في الدنيا والآخرة. (والناس أيضاً خطاب عام).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس:٤٤]

إن الله لا يظلم الناس شيئاً بزيادة في سيئاتهم أو نقص من حسناتهم، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أمر الله ونهيه (الخلق، خلق الله والله لم يخلقهم ليكلمهم ولكنهم هم يظلمون أنفسهم)، وقد بيَّنا في موضع سابق تحريم الظلم والظالمين من الناس.

نتابع الآيات:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧]

يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم تذكِّركم عقاب الله وتخوفكم وعيده، وهي القرآن وما اشتمل عليه من الآيات والعظات لإصلاح أخلاقكم وأعمالكم، وفيه دواء لما في القلوب من الجهل والشرك وسائر الأمراض، ورشد لمن اتبعه من الخلق فينجيه من الهلاك، جعله سبحانه وتعالى نعمة ورحمة للمؤمنين، وخصَّهم بذلك؛ لأنهم المنتفعون بالإيمان، وأما الكافرون فهو عليهم عَمَى.

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس:٦٠]

وما ظنُّ هؤلاء الذين يتخرصون على الله الكذب يوم الحساب، فيضيفون إليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الأرزاق والأقوات، إن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفِرْيَتِهم عليه؟ أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر لهم؟ إن الله لذو

فضل على خلقه؛ بتركه معاجلة مَن افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وإمهاله إياه، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على تفضله عليهم بذلك

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس:٩٢]

فاليوم نجعلك على مرتفع من الأرض ببدنك، ينظر إليك من كذّب بهلاكك؛ لتكون لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك. فإن كثيراً من الناس عن حججنا وأدلتنا لغافلون، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون وهذه قصة فرعون وموسى، الذي بقي لغاية الآن آية، والتي أسلم بسببها بعض علماء الغرب والذين أيدوا القصة كما وردت في القرآن الكريم.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس:٩٩]

ولو شاء ربك -أيها الرسول- الإيمان لأهل الأرض كلهم لآمنوا جميعاً بما جئتهم به، ولكن له حكمه في ذلك؛ فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وَفْق حكمته، وليس في استطاعتك أن تُكْره الناس على الإيمان وهذه علامة ونداء تتضمن حرية الاختيار وحرية العقيدة، الرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما عليه البلاغ – والناس بإرادتهم يستجيبون أو لا يستجيبون.

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [يونس:١٠٤]

قل -يا أيها الرسول- لهؤلاء الناس: إن كنتم في شك من صحة ديني الذي دعوتكم إليه، وهو الإسلام ومن ثباتي واستقامتي عليه، وترجون تحويلي عنه، فإني لا أعبد في حال من الأحوال أحداً من الذين تعبدونهم مما اتخذتم من الأصنام والأوثان، ولكن أعبد الله وحده الذي يميتكم ويقبض أرواحكم،

وأُمِرْت أن أكون من المصدِّقين به العاملين بشرعه (الناس هنا خطاب للآخر المشرك).

نتابع الآيات في الحديث عن الناس والإنسان في القرآن:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس:١٠٨]

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الناس: قد جاءكم رسول الله بالقرآن الذي فيه بيان هدايتكم، فمن اهتدى بهدي الله فإنما ثمرة عمله راجعة إليه، ومن انحرف عن الحق وأصرَّ على الضلال فإنما ضلاله وضرره على نفسه، وما أنا موكَّل بكم حتى يكونوا مؤمنين، إنما أنا رسول مبلِّغ أبلِّغكم ما أُرْسِلت به. (الخطاب هنا عام لكل الناس)

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود:١٧]

أفمَن كان على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر شاهد منه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام، ويؤيد ذلك برهان ثالث من قبل القرآن، وهو التوراة -الكتاب الذي أنزل على موسى إماماً ورحمة لمن آمن به-، كمن كان همه الحياة الفانية بزينتها؟ أولئك يصدِّقون بهذا القرآن ويعملون بأحكامه، ومن يكفر بهذا القرآن من الذين تحزَّبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجزاؤه النار، يَرِدُها لا محالة، فلا تك -أيها الرسول- في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله بعد ما شهدت بذلك الأدلة والحجج، واعلم أن هذا الدين هو الحق من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدِّقون ولا يعملون بما أمروا به. وهذا توجيه عام لأمه محمد صلى الله عليه وسلم.

في فترات زمنية كانت الرسالات تأتي لتعالج خللا في المجتمع هذه المرة في زمن سيدنا شعيب كان الخلل اقتصادي.

﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [هود:٨٥]

ويا قوم أتموا المكيال والميزان بالعدل، ولا تُنقِصوا الناس حقهم في عموم أشيائهم، ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله ونشر الفساد.

(الخطاب هنا على لكل الناس) بمعنى أن التعامل الصحيح ليس مقصوراً بين المؤمنين فقط.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ [هود:١٠٣]

إن في أخذنا لأهل القرى السابقة الظالمة لعبرةً وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة، ذلك اليوم الذي يُجمع له الناس جميعاً للمحاسبة والجزاء، ويشهده الخلائق كلهم.

(والخطاب لكل الناس والجمع هو يوم القيامة)

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود ١١٨ :١١٩].

ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، فلا يزال الناس مختلفين في أديانهم؛ وذلك مقتضى حكمته إلا من رحم ربك فآمنوا به واتبعوا رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وما جاءت به الرسل من عند الله، وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أنه خَلقهم مختلفين: فريق شقيٌ وفريق سعيد، وكل ميسر لها خُلِق له.

وبهذا يتحقق وعد ربك في قضائه وقدره: أنه سبحانه سيملأ جهنم من الجن والإنس الذين اتبعوا إبليس وجنده ولم يهتدوا للإيمان..

إرادة الله أن يترك الناس واختيارهم وأن لا يجبر أحد على دخول الدين. ثم تتحدث الآيات مرة أخرى عن أكثر الناس.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]

ولما ذهب المسافرون بيوسف إلى "مصر" اشتراه منهم عزيزها، وهو الوزير، وقال لامرأته: أحسني معاملته، واجعلي مقامه عندنا كريماً، لعلنا نستفيد من خدمته، أو نقيمه عندنا مقام الولد، وكما أنجينا يوسف وجعلنا عزيز "مصر" يَعْطِف عليه، فكذلك مكنَّا له في أرض "مصر"، وجعلناه على خزائنها، ولنعلِّمه تفسير الرؤى فيعرف منها ما سيقع مستقبلا. والله غالب على أمره، فحكمه نافذ لا يبطله مبطل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله

(نرجع إلى كلمة أكثر ودلالاتها (ولكن أ:ثر الناس لا يعلمون) كلمة الله وعلمه ومراده وكيف يصرف الأمور). ثم تأتي أكثر في موضع الشكر لله على نعمه:

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٨]

واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده، ما كان لنا أن نجعل لله شريكاً في عبادته، ذلك التوحيد بإفراد الله بالعبادة، مما تفضل الله به علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان.

(الخطاب هنا عام للناس)

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠]، مرة أخرى أكثر الناس لا يعلمون لأنهم من دون الله أسماءً لا معاني وراءها، جعلتموها أنتم وآباؤكم أرباباً جهلا منكم وضلالا، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها، ما الحكم الحق إلا لله تعالى وحده، لا شريك له، أمر ألا تنقادوا ولا تخضعوا لغيره، وأن تعبدوه وحده، وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته. ثم تتابع الآيات في سورة يوسف الحديث عن الناس.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٦]

وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: يوسف أيها الصديق فسِّر لنا رؤيا مَن رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات؛ لعلي أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم؛ ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك.

(الناس هنا الملأ من قوم العزيز)

﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:٤٩]

ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدبة عام يغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة، ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخصْبْ والنماء.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٦٨]

ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم، ما كان ذلك ليدفع قضاء الله عنهم، ولكن كان شفقة في نفس يعقوب عليهم أن تصيبهم العين، وإن

يعقوب لصاحب علم عظيم بأمر دينه علّمه الله له وحياً، ولكن أكثـر النـاس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء، وما يعلمه يعقوب -عليه السلام- مـن أمر دينه.

(أكثر الناس) ودلالاته كلمة أكثر.

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣]

وما أكثرُ المشركين من قومك -أيها الرسول- بمصدِّقيك ولا متبعيك، ولـو حَرَصْتَ على إيمانهم، فلا تحزن على ذلك

وهو خطاب للرسول -صلى الله عليه وسلم- والذي كان يسعد قلبه إيمان الناس جميعاً ولكن حرصه لا يمنع بقاؤهم على الشرك.

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الرعد:١]

(المر سبق الكلام على الحروف المقطّعة في أول سـورة البقـرة. هـذه آيـات القرآن الرفيعة القدر، وهذا القرآن المنزل عليك -أيها الرسـول- هـو الحـق، لا كما يقول المشركون: إنك تأتي به من عند نفسك، ومـن هـذا فـأكثر النـاس لا يصدِّقون به ولا يعملون.

(دلالات كلمة أكثر) (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ [الرعد:١٧]

ثم ضرب الله سبحانه مثلا للحق والباطل بما أنزله من السماء، فجرَت بـه أودية الأرض بقدر صغرها وكبرها، فحمل السيل غثاء طافياً فوقه لا نفع فيـه. وضرب مثلا آخر: هو المعادن يوقِدون عليها النار لصهرها طلباً للزينـة كمـا في الذهب والفضة، أو طلباً لمنافع ينتفعون بها كما في النحاس، فيخرج منها خبثها

ما لا فائدة فيه كالذي كان مع الماء، بمثل هذا يضرب الله المثل للحق والباطل: فالباطل كغثاء الماء يتلاشى أو يُرْمى إذ لا فائدة منه، والحق كالماء الصافي، والمعادن النقية تبقى في الأرض للانتفاع بها، كما بيَّن لكم هذه الأمثال، كذلك يضربها للناس؛ ليتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

(الخطاب هنا عام لكل الناس) (والنفع المادي لكل الناس)

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد:٣١]

يردُّ الله -تعالى- على الكافرين الذين طلبوا إنزال معجزات محسوسة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لهم: ولو أن ثمة قرآناً يقرأ، فتزول به الجبال عن أماكنها، أو تتشقق به الأرض أنهاراً، أو يحيا به الموتى وتُكَلَّم -كما طلبوا منك- لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، ولما آمنوا به. بل لله وحده الأمر كله في المعجزات وغيرها. أفلم يعلم المؤمنون أن الله لو يشاء لآمن أهل الأرض كلهم من غير معجزة؟ ولا يزال الكفار تنزل بهم مصيبة بسبب كفرهم كالقتل والأسر في غزوات المسلمين، أو تنزل تلك المصيبة قريباً من دارهم، حتى يأتي وعد الله بالنصر عليهم، إن الله لا يخلف الميعاد.

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]

هذا القرآن كتاب أوحيناه إليك -أيها الرسول- لتُخرج به البشر، من الضلال والغيِّ إلى الهدى والنور -بإذن ربهم وتوفيقه إياهم- إلى الإسلام الذي هو طريق الله الغالب المحمود في كل حال.

(عموم الرسالة الإسلام إلى الناس جميعاً)

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٣٦]

ربِّ إن الأصنام تسبَّبتْ في إبعاد كثير من الناس عن طريق الحق، فمن اقتدى بي في التوحيد فهو على ديني وسُنَّتي، ومَن خالفني فيما دون الشرك، فإنك غفور لذنوب المذنبين -بفضلك- رحيم بهم، تعفو عمن تشاء منهم.

(الناس تشير إلى الفئة المشركة والضالة)

تتابع الآيات في الحديث عن الناس والإنسان.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:٣٧]

ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ ليس فيه زرع ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا إنني فعلت ذلك بأمرك؛ لكي يؤدوا الصلاة بحدودها، فاجعل بعض خلقك تنزع إليهم وتحنُّ، وارزقهم في هذا المكان من أنواع الثمار؛ لكي يشكروا لك على عظيم نعمك. فاستجاب الله دعاءه.

(الناس هنا خطاب لمن ينوي الحج – وينوي زيارة بيت الله الحرام)

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم:٤٤]

وأنذر -أيها الناس- الذين أرسلتُكَ إليهم عذاب الله يوم القيامة، وعند ذلك يقول الذي ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أمْهِلْنا إلى وقت قريب نؤمن بك ونصدق رسلك. فيقال لهم توبيخاً: ألم تقسموا في حياتكم أنه لا زوال لكم عن الحياة الدنيا إلى الآخرة، فلم تصدِّقوا بهذا البعث؟

(الخطاب للناس عموماً)

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٣٨]

وحلف هؤلاء المشركون بالله أيماناً مغلَّظة أن الله لا يبعث مَن يموت بعدما بَلِيَ وتفرَّق، بلى سيبعثهم الله حتماً، وعداً عليه حقا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، فينكرونه

(كلمة أكثر) (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:٦١]

ولو يؤاخذ الله الناس بكفرهم وافترائهم ما ترك على الأرض مَن يتحرَّك، ولكن يبقيهم إلى وقت محدد هو نهاية آجالهم، فإذا جاء أجلهم لا يتأخرون عنه وقتاً يسيراً، ولا يتقدمون.

الخطاب هنا عام للناس.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠]

واذكر -أيها الرسول- حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علماً وقدرة. وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عِياناً ليلة الإسراء والمعراج من عجائب المخلوقات إلا اختباراً للناس؛ ليتميز كافرهم من مؤمنهم، وما جعلنا شجرة الزقوم الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا ابتلاء للناس. ونخوِّف المشركين بأنواع العذاب والآيات، ولا يزيدهم التخويف إلا تمادياً في الكفر والضلال

(إحاطة الله وعلمه ظاهرة وقاهرة) وقد اختلف كثيراً في تفسير الشجرة الملعونة.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

[الإسراء:٨٩]

ولقد بيَّنّا ونوَّعنا للناس في هذا القرآن من كـل مثـل ينبغـي الاعتبـار بـه؛ احتجاجاً بذلك عليهم؛ ليتبعوه ويعملوا به، فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للحـق وإنكاراً لحجج الله وأدلته.

(دلالات أكثر) أكثر الناس كفورا.

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٤]

ومنا منع الكفار من الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما، حـين جـاءهم البيـان الكافي من عند الله، إلا قولهم جهلا وإنكاراً: أبعث الله رسولا من جنس البشر؟

(الخطاب هنا للمعاندين من قريش)

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٤]

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦]

وأنزلنا إليك -أيها الرسول- قرآنـاً بيَّنـاه وأحكمنـاه وفـصَّلناه فارقـاً بـين الهدى والضلال والحق والباطل؛ لتقرأه علـى النـاس في تـؤدة وتمهُّـل، ونزَّلنـاه مفرَّقاً، شيئاً بعد شيء، على حسب الحوادث ومتقضيات الأحوال.

خطاب للرسول -صلى الله عليه وسلم- وعمومية رسالته

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف:٥٥]

وما منع الناس من الإيمان -حين جاءهم الرسـول محمـد صـلى الله عليـه وسلم ومعه القرآن-، واستغفار ربهم طالبين عفوه عنهم، إلا تحدِّيهم للرسول، وطلبهم أن تصيبهم سنة الله في إهلاك السابقين عليهم، أو يـصيبهم عـذاب الله عياناً.

وهي إشارة إلى سنة الناس في موقفهم من الرسالات

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾

[مريم:١٠]

قال زكريا زيادة في اطمئنانه: ربِّ اجعل لي علامة على تحقُق ما بَشَّرَتْني به الملائكة، قال: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس مدة ثلاث ليال وأيامها، وأنت صحيح معافى

(الناس إشارة إلى قومه)

وفي الحديث بين موسى وفرعون

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه:٥٩]

قال موسى لفرعون: موعدكم للاجتماع يوم العيد، حين يتزيَّن الناس، ويجتمعون من كل فج وناحية وقت الضحى

الناس قوم العزيز الذين جمعهم من أجل المفاصلة مع موسى عليه السلام.

﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ [الأنبياء:٦١]

قال رؤساؤهم: فأتوا بإبراهيم على مرأى من الناس؛ كي يشهدوا على اعترافه بما قال؛ ليكون ذلك حجة عليه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج:١]

يا أيها الناس احذروا عقاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن ما يحدث عند قيام الساعة من أهوال وحركة شديدة للأرض، تتصدع منه كل جوانبها، شيء عظيم، لا يُقدر قدره ولا يُبْلَغ كنهة، ولا يعلم كيفيَّته إلا رب العالمين.

(الخطاب هنا عام لكل الناس)

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج:٢]

(الناس في مشهد يوم القيام – كل الناس).

يوم ترون قيام الساعة تنسى الوالدةُ رضيعَها الذي ألقمته ثديها؛ لِمَا نزل بها من الكرب، وتُسقط الحامل حملها من الرعب، وتغيب عقول الناس، فهم كالسكارى من شدة الهول والفزع، وليسوا بسكارى من الخمر، ولكن شدة العذاب أفقدتهم عقولهم وإدراكهم.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ [الحج:٣]

ومع ذلك فإن رؤوس الكفر من الناس يخاصمون ويشككون في قدرة الله على البعث؛ جهلا منهم بحقيقة هذه القدرة، واتباعاً لأئمة الضلال من كل شيطان متمرد على الله ورسله.

(الخطاب هنا لفئة الناس الذين ينكبون طريق الحق).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴾ [الحج:٥]

يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموتى فإنَّا خلقنا أباكم من تراب، ثم تناسلت ذريته من نطفة، هي المنيُّ يقذفه الرجل في رحم المرأة، فيتحول بقدرة الله إلى علقة، وهي الدم الأحمر الغليظ، ثم إلى مضغة، وهي قطعة لحم صغيرة قدْر ما يُمْضَغ، فتكون تارة مخلَّقة، أي تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حياً، وغير تامة الخلق تارة أخرى، فتسقط لغير تمام؛ لنبيِّن لكم تمام قدرتنا بتصريف أطوار الخلق، ونبقي في الأرحام ما نشاء، وهو المخلَّق إلى وقت ولادته، وتكتمل الأطوار بولادة الأجنَّة أطفالا صغراً تكبَرُ حتى تبلغ الأشد، وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل، وبعض الأطفال قد يموت

قبل ذلك، وبعضهم يكبَرُ حتى يبلغ سن الهرم وضَعْف العقل؛ فلا يعلم هذا المعمَّر شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك. وترى الأرض يابسةً ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تتفتح عنه، وارتفعت وزادت لارتوائها، وأنبتت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي يَسُرُّ الناظرين.

(الخطاب هنا عام، وفيها إعجاز لخلق الله سبحانه وتعالى).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج:٨]

ومن الكفار مَن يجادل بالباطل في الله وتوحيده واختياره رسوله صلى الله عليه وسلم وإنزاله القرآن، وذلك الجدال بغير علم، ولا بيان، ولا كتاب من الله فيه برهان وحجة واضحة،

(الخطاب للفئة الكافرة من الناس)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:١١]

ومن الناس مَن يدخل في الإسلام على ضعف وشكٍّ، فيعبد الله على تردده، كالذي يقف على طرف جبل أو حائط لا يتماسك في وقفته، ويربط إيمانه بدنياه، فإن عاش في صحة وسَعَة استمر على عبادته، وإن حصل له ابتلاء بمكروه وشدة عزا شؤم ذلك إلى دينه، فرجع عنه كمن ينقلب على وجهه بعد استقامة، فهو بذلك قد خسر الدنيا؛ إذ لا يغيِّر كفرُه ما قُدِّر له في دنياه، وخسر الآخرة بدخوله النار، وذلك خسران بيِّن واضح.

(وهم صنف الناس الذي يتبعون المصلحة)

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩﴾ [الحج:١٨]

ألم تعلم -أيها النبي- أن الله سبحانه يسجد له خاضعاً منقاداً مَن في السموات من الملائكة ومَن في الأرض من المخلوقات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب؟ والله يسجد طاعة واختياراً كثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير من الناس حق عليه العذاب فهو مهين، وأيُّ إنسان يهنه الله فليس له أحد يكرمه. إن الله يفعل في خلقه ما يشاء وَفْقَ حكمته.

وهي دلالة على انقسام الناس تجاه الرسالات السماوية)

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج:٢٧]

وأعلِمْ -يا إبراهيم- بوجوب الحج عليهم يأتوك على مختلف أحوالهم مشاةً وركباناً على كل ضامر من الإبل، وهو: (الخفيف اللحم من السَّيْر والأعمال لا من الهُزال)، يأتين من كل طريق بعيد.

(الأذان لكل الناس وفي كل الأحوال).

ثم تشير الآيات إلى سنة المدافعة بين البشر.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]

الذين أُلجئوا إلى الخروج من ديارهم، لا لشيء فعلوه إلا لأنهم أسلموا وقالوا: ربنا الله وحده. ولولا ما شرعه الله من دَفْع الظلم والباطل بالقتال لهُزِم الحقُّ في كل أمة ولخربت الأرض، وهُدِّمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيراً. ومن اجتهد في نصرة دين الله، فإن الله

ناصره على عدوه. إن الله لقوي لا يغالب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم.

(هذه سنة المدافعة بين أهل الحق وأهل الباطل)

ثم تتحدث الآيات عن الخطاب العام للناس.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحج:٤٩]

قل -أيها الرسول-: يا أيها الناس ما أنا إلا منذر لكم مبلِّغ عن الله رسالته.

خطاب يدل على عمومية الرسالة الإسلامية.

ثم تتحدث الآيات عن ميزات الله للناس ورحمته بهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج:٦٥]

ألم تر أن الله تعالى ذلَّل لكم ما في الأرض من الدواب والبهائم والزروع والثمار والجماد لركوبكم وطعامكم وكل ما منافعكم، كما ذلّل لكم السفن تجري في البحر بقدرته وأمره فتحملكم مع أمتعتكم إلى حيث تشاؤون من البلاد والأماكن، وهو الذي يمسك السماء فيحفظها؛ حتى لا تقع على الأرض فيهلك مَن عليها إلا بإذنه سبحانه بذلك؟ إن الله بالناس لرؤوف رحيم فيما سخر لهم من هذه الأشياء وغيرها؛ تفضلا منه عليهم.

(بالرغم من كل ما يقترفه الناس تبقى رحمة الله سبحانه وتعالى هي الأساس)

والقرآن لم يترك الناس دونما تبصّر أو تذكير فيما حولهم لإرجاعهم لجادة الصّواب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج:٧٣]

يا أيها الناس ضُرِب مثل فاستمعوا له وتدبروه: إن الأصنام والأنداد التي تعبدونها من دون الله لن تقدر مجتمعة على خَلْق ذبابة واحدة، فكيف بخلق ما هو أكبر؟ ولا تقدر أن تستخلص ما يسلبه الذباب منها، فهل بعد ذلك من عَجْز؟ فهما ضعيفان معاً: ضَعُفَ الطالب الذي هو المعبود من دون الله أن يستنقذ ما أخذه الذباب منه، وضَعُفَ المطلوب الذي هو الذباب، فكيف تُتَّخذ هذه الأصنام الأنداد آلهة، وهي بهذا الهوان؟

(خطاب إعجازي للناس جميعاً من الكافرين)

إن قضية التبليغ للناس أساس في فهم مراد الخالق، وهذا يكون من بين الناس أنفسهم:

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾

[الحج:٧٥]

الله سبحانه وتعالى يختار من الملائكة رسلا إلى أنبيائه، ويختار من الناس رسلا لتبليغ رسالاته إلى الخلق، إن الله سميع لأقوال عباده، بصير بجميع الأشياء، وبمن يختاره للرسالة من خلقه.

(الله أعلم حيث يجعل رسالته)

ثم تتابع الآيات موضوع الشهادة على الناس وهي مهمة انتدبت لها الأمة صاحبة الرسالة الخاتمة والرسول الخاتم.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ

﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨]

وجاهدوا أنفسكم، وقوموا قياماً تامًّا بأمر الله، وادعوا الخلق إلى سبيله، وجاهدوا بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم، مخلصين فيه النية لله عز وجل، له قلوبكم وجوارحكم، هو اصطفاكم لحمل هذا الدين، وقد منَّ عليكم بأن جعل شريعتكم سمحة، ليس فيها تضييق ولا تشديد في تكاليفها وأحكامها، كما كان في بعض الأمم قبلكم، هذه الملة السمحة هي ملة أبيكم إبراهيم، وقد سَمَّاكم الله المسلمين مِن قبلُ في الكتب المنزلة السابقة، وفي هذا القرآن، وقد اختصَّكم بهذا الاختيار؛ ليكون خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم شاهداً عليكم بأنه بلَّغكم رسالة ربه، وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلَّغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فعليكم أن تعرفوا لهذه النعمة قدرها، فتشكروها، وتحافظوا على معالم دين الله بأداء الصلاة بأركانها وشروطها، وإخراج الزكاة المفروضة، وأن تلجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى، وتتوكلوا عليه، فهو نِعْمَ المولى لمن تولاه، ونعم النصير لمن استنصره.

هذه شهادة الأمة الإسلامية على بقية الأمم ولكي تكون شاهده لابد أن تكون في مرتبة أعلى من الشهود لهم، إن رسالة الإسلام هي رسالة الأمم السابقة من الأنبياء الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى.

ثم نرجع مرة أخرى إلى كلمة أكثر في القرآن الكريم

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان:٥٠]

ولقد أنزلنا المطر على أرض دون أخرى؛ ليذكر الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، وليذكر الذين مُنعوا منه، فيسارعوا بالتوبة إلى الله -جل وعلا- ليرحمهم ويسقيهم، فأبى أكثر الناس إلا جحوداً لنعمنا عليهم، كقولهم: مطرنا بنَوْء كذا وكذا.

دلالات كلمة أكثر (أكثر الناس كفورا)

إن المنهج الرباني منهج شامل لكل الناس في كل أنواع التعامل.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء:١٨٣]

ولا تنقصوا الناس شيئاً من حقوقهم في كيل أو وزن أو غير ذلك، ولا تكثروا في الأرض الفساد، بالشرك والقتل والنهب وتخويف الناس وارتكاب المعاصي.

وهو خطاب لأسس التعامل بين الناس

وفي الآية التالية خطاب خاص من سليمان لقومه:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل:١٦]

وورث سليمان أباه دواد في النبوة والعلم والملك، وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس عُلّمنا وفُهّمنا كلام الطير، وأعطينا مِن كل شيء تدعو إليه الحاجة، إن هذا الذي أعطانا الله تعالى إياه لهو الفضل الواضح الذي يُميِّزنا على مَن سوانا.

خطاب خاص لقوم سليمان عليه السلام

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل:٧٣]

وإنَّ ربك لذو فضل على الناس؛ بتركه معالجتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه كفرهم به، ولكن أكثرهم لا يشكرون له على ذلك، فيؤمنوا به ويخلصوا له العبادة.

بالرغم من فضل الله تبقى الأكثرية هي التي تتركب طريق الحق ولا تشكر.

والحديث مرة أخرى أن أكثر الناس لا يشكرون.

إن القرآن يطوّف بنا بين الماضي والحاضر والمستقبل وهو يحدثنا عن علاقات الساعة، وعندها ينتبه الناس كل الناس أنهم كانوا بآيات الله لا يوقنون.

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل:٨٢]

وإذا وجب العذاب عليهم؛ لتماديهم في المعاصي والطغيان؛ وإعراضهم عن شرع الله وحكمه، حتى صاروا من شرار خلقه، أخرجنا لهم من الأرض في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي "الدابة"، تحدثهم أن الناس المنكرين للبعث كانوا بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ودينه لا يصدقون ولا يعلمون.

دلالات يوم القيامة من آيات الله سبحانه وتعالى للناس.

عندما تحدثت الآيات عن قصة سيدنا موسى مع شعيب تحدثت عن أمة أي مجموعة من الناس.

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

[القصص:٢٣]

ولما وصل ماء "مدين" وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين منفردتين عن الناس، تحبسان غنمهما عن الماء؛ لعجزهما وضعفهما عن مزاحمة الرجال، وتنتظران حتى تُصْدُر عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما، فلما رآهما موسى -عليه السلام- رقَّ لهما، ثم قال: ما شأنكما؟ قالتا: لا نستطيع مزاحمة الرجال، ولا نسقي حتى يسقي الناس، وأبونا شيخ كبير، لا يستطيع أن يسقي ماشيته؛ لضعفه وكبره.

(أمة هنا بمعنى جماعة)

أحياناً يأتي الخطاب عام للناس، ثم تضيق المساحة منهم بعد التكليف والتمحيص.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢]

أظنَّ الناس إذ قالوا: آمنا، أن الله يتركهم بلا ابتلاء ولا اختبار؟

وهي سنة الله سبحانه وتعالى في تمحيص الناس بين مؤمن وكافر

ثم تتحدث الآيات عن أنواع من الناس وإن كان الخطاب هنا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لحادثة معينة فإنها قياس مستمر لكل الناس.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

[العنكبوت:١٠]

ومن الناس من يقول: آمنا الله، فإذا أذاه المشركون جزع من عذابهم وأذاهم، كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذيَّة منه، فارتدَّ عن إيمانه، ولئن جاء نصر من ربك -أيها الرسول- لأهل الإيمان به ليقولنَّ هؤلاء المرتدون عن إيمانهم: إنَّا كنا معكم -أيها المؤمنون- ننصركم على أعدائكم، أوليس الله بأعلم من كل أحد بما في صدور جميع خلقه؟

لقد اختص الله بعض الأماكن بخصوصية ومنها مكة والبيت الحرام.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧]

أولم يشهد كفار "مكة" أن الله جعل "مكة" لهم حَرَماً آمناً يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم، والناسُ مِن حولهم خارج الحرم، يُتَخطَّفون غير آمنين؟ أفبالشرك يؤمنون، وبنعمة الله التي خصَّهم بها يكفرون، فلا يعبدونه وحده دون سواه؟

دلالة على المنّة التي منّ الله بها على أهل مكة.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٦]

وعد الله المؤمنين وعداً جازماً لا يتخلف، بنصر الروم النصارى على الفرس الوثنيين، ولكن أكثر كفار "مكة" لا يعلمون أن ما وعد الله به حق

نعود مرة أخرى لدلالات كلمة أكثر في القرآن الكريم

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم:٨]

أولم يتفكر هؤلاء المكذبون برسل الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئاً. ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا لإقامة العدل والثواب والعقاب، والدلالة على توحيده وقدرته، وأجل مسمى تنتهي إليه وهو يوم القيامة؟ وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لجاحدون منكرون؛ جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلةً منهم عن الآخرة.

(بالرغم من المعجزات الحسية اليومية، تبقى الغفلة صفة كثير من الناس)

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠]

فأقم -أيها الرسول أنت ومن اتبعك- وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، وهو الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، فبقاؤكم عليه، وتمسككم به، تمسك بفطرة الله من الإيمان بالله وحده، لا تبديل لخلق الله ودينه، فهو الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله رب العالمين وجنته، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الذي أمرتك به -أيها الرسول- هو الدين الحق دون سواه.

دلالات الفطرة وقد تناولناها في فصل خاص بها.

القرآن يتحدث عن صفات الناس كل الناس عندما يصيبهم مكروه.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم:٣٣]

وإذا أصاب الناسَ شدة وبلاء دعَوا ربهم مخلصين له أن يكشف عنهم الضر، فإذا رحمهم وكشف عنهم ضرهم إذا فريق منهم يعودون إلى الشرك مرة أخرى، فيعبدون مع الله غيره.

دلالة على تقلب حياة الناس بين الشدة والرخاء وقربهم وبعدهم من الله سبحانه وتعالى.

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم:٣٦]

وإذا أذقنا الناس منا نعمة من صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطرٍ وأشَرٍ، لا فرح شكر، وإن يصبهم مرض وفقر وخوف وضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، إذا هم يَيْئَسون من زوال ذلك، وهذا طبيعة أكثر الناس في الرخاء والشدة.

تستمر الآيات في الحديث عن المعاملات بين الناس وهي المعاملات الاقتصادية.

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم:٣٩]

وما أعطيتم قرضاً من المال بقصد الربا، وطلب زيادة ذلك القرض؛ ليزيد وينمو في أموال الناس، فلا يزيد عند الله، بل يمحقه ويبطله. وما أعطيتم من زكاة وصدقة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله وطلباً لثوابه، فهذا هو الذي يقبله الله ويضاعفه لكم أضعافاً كثيرة.

التوجه الإلهي للتعامل الاقتصادي/ موضوع الربا وانعكاساته على حياة الناس.

إن أنواع الفساد كثيرة منها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والإداري والآية هنا تشير إلى الفساد بشكل عام.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم:٤١]

أن الفساد هو من صنع البشر، ليس فقط على وجه الأرض وإنما أيضاً في البحر، وهو ما نراه الآن ظاهراً، وانعكاسات ذلك على حياة الناس من أمراض وبؤس وتنافر، وكلها دلالات حتى يرجع الناس عن هذا الفساد، وهو خطاب عام.

ظهر الفساد في البر والبحر، كالجدب وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة؛ وذلك بسبب المعاصي التي يقترفها البشر؛ ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ كي يتوبوا إلى الله –سبحانه– ويرجعوا عن المعاصي، فتصلح أحوالهم، وتستقيم أمورهم.

وتستمر الآيات في الحديث عن الناس وصنف منهم يدفع مالاً مقابل الصدّ عن سبيل الله.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان:٦]

ومن الناس مَن يشتري لهو الحديث –وهو كل ما يُلهي عن طاعة الله ويصد عن مرضاته– ليضلَّ الناس عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، ويتخذ آيات الله سخرية، أولئك لهم عذاب يهينهم ويخزيهم.

وبالرغم من قضية التسخير التي بموجبها يستمر الإنسان على هذه الأرض إلا أن الإنسان يجادل في الله بغير علم.

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان:٢٠]

ألم تروا –أيها الناس– أن الله ذلّل لكم ما في السموات من الشمس والقمر والسحاب وغير ذلك، ومن في الأرض من الدوابِّ والشجر والماء، وغير ذلك

مما لا يحصى، وعمَّكم بنعمه الظاهرة على الأبدان والجوارح، والباطنة في العقول والقلوب، وما ادَّخره لكم مما لا تعلمونه؟ ومن الناس مَن يجادل في توحيد الله وإخلاص العبادة له بغير حجة ولا بيان، ولا كتاب مبين يبيِّن حقيقة دعواه.

تنتقل الآيات بعد ذلك إلى مشهد آخر وهو مشهد يوم القيامة وبما أنه عام فالخطاب إذن عام لكل الناس.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان:٣٣]

يا أيها الناس اتقوا ربكم، وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واحذروا يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئاً، إن وعد الله حق لا ريب فيه، فلا تنخدعوا بالحياة الدنيا وزخرفها فتنسيكم الأخرى، ولا يخدعنكم بالله خادع من شياطين الجن والإنس.

إن قضية الإيمان ليست قضية معجزة لله سبحانه وتعالى ولكن لكي يكون للإيمان ثواب وللكفر عقاب فإن الله جعل ذلك منوطاً بالإرادة البشرية.

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣]

ولو شئنا لآتينا هؤلاء المشركين بالله رشدهم وتوفيقهم للإيمان، ولكن حق القول مني ووجب لأملأنَّ جهنم من أهل الكفر والمعاصي، من الجنَّة والناس أجمعين؛ وذلك لاختيارهم الضلالة على الهدى.

إرادة الله في حرية الاختيار للإنسان بين الهدى والضلال.

في بعض الآيات نجد عتاباً رقيقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بيّن الله أن هذا المنهج صارم في التعامل مع الجميع كما حدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية التبني.

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٧]

وإذ تقول -أيها النبي- للذي أنعم الله عليه بالإسلام- وهو زيد بن حارثة الذي أعتقه وتبنَّاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم- وأنعمت عليه بالعتق: أبْقِ زوجك زينت جحش ولا تطلقها، واتق الله يا زيد، وتخفي -يا محمد- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجه وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت، وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه، فلما قضى زيد منها حاجته، وطلقها، وانقضت عدتها، زوجناكها؛ لتكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبني بعد طلاقها، ولا يكون على المؤمنين إثم وذنب في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يتبنَّونهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم. وكان أمر الله مفعولا لا عائق له ولا مانع.

إن أمر الساعة أمر مخفي عن الناس حتى ولو سأل الناس عنها محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣]

يسألك الناس -أيها الرسول- عن وقت القيامة استبعاداً وتكذيباً، قل لهم: إنما علم الساعة عند الله، وما يدريك -أيها الرسول- لعل زمانها قريب؟

وهنا يأتي الخطاب الإلهي الجامع لكل الناس بعموم الرسالة الإسلامية.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨]

وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشراً بثواب الله، ومنذراً عقابه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه.

عمومية رسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم-

ثم تأتي دلالة كلمة أكثر في القرآن الكريم.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٣٦]

قل لهم -أيه الرسول-: إن ربي يوسِّع الرزق في الدنيا لمن يشاء مِن عباده، ويضيِّق على مَن يشاء، لا لمحبة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختباراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون.

كلمة أكثر في القرآن الكريم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

ثم يأتي الخطاب العام لكل الناس.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣]

يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك. لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُصرَفون عن توحيده وعبادته؟

خطاب عام لكل الناس.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥]

يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والثواب والعقاب حق ثابت، فلا تخدعنَّكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها، ولا يخدعنَّكم بالله الشيطان.

يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين، وهو سبحانه الغنيُّ عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس فمنه، فله الحمد والشكر على كلِّ حال.

(خطاب عام لكل الناس)

ثم ترتبط الآيات بين خلق الإنسان والدواب والنبات وتجانسهم مع لون الأرض كمعجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨]

وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الثمار والجبال. إنما يخشى الله ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماءُ به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء، ومنها اختلاف هذه المخلوقات مع اتحاد سببها، ويتدبرون ما فيها من عظات وعبر. إن الله عزيز قويٌّ لا يغالب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم.

ثم يأتي الخطاب العام لكل الناس.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾
[فاطر:٤٥]

ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة تَدِبُّ عليها، ولكن يُمْهلهم ويؤخر عقابهم إلى وقت معلوم

عنده، فإذا جاء وقت عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمورهم، وسيجازيهم بما عملوا من خير أو شر.

إن قضية العدل هي قضية مطلقة، لا يستثنى منها مؤمن أو كافر لأن العدل صفة الله سبحانه وتعالى، والخلافة في الأرض وهي حراسة الدين وسياسة الدنيا به يجب أن نقدم على ميزان العدل:

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]

يا داود إنا استخلفناك في الأرض وملَّكناك فيها، فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيُضلك ذلك عن دين الله وشرعه، إن الذين يَضِلُّون عن سبيل الله لهم عذاب أليم في النار؛ بغفلتهم عن يوم الجزاء والحساب. وفي هذا توصية لولاة الأمر أن يحكموا بالحق المنزل من الله، تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه، فيضلوا عن سبيله.

الحكم العدل يجب أن يكون بين كل الناس.

ثم تأتي المقارنة بين خلق الناس وخلق السماوات والأرض ليبين الله عزوجل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الإنسان.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]

لخلق الله السموات والأرض أكبر من خَلْق الناس وإعاتهم بعد موتهم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هيِّن على الله.

ثم يأتي الحديث عن اليوم الآخر الذي يغيب عن كثير من الناس.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر:٥٩]

إن الساعة لآتية لاشك فيها، فأيقنوا بمجيئها، كما أخبرتْ بذلك الرسل، ولكن أكثر الناس لا يُصدِّقون بمجيئها، ولا يعملون لها.

(كلمة أكثر) (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)

ثم يعدّد الله سبحانه وتعالى نعمه على الناس ومن أهمها نعمة الليل والنهار.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر:٦١]

الله وحده هو الذي جعل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه، وتحققوا راحتكم، والنهار مضيئاً؛ لتُصرِّفوا فيه أمور معاشكم. إن الله لذو فضل عظيم على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون له بالطاعة وإخلاص العبادة.

ثم ننتقل إلى سورة الشورى حيث تحدثت الآية عن قضية الظلم.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:٤٢]

إنما المؤاخذة على الذين يتعدَّون على الناس ظلماً وعدواناً، ويتجاوزون الحدَّ الذي أباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون في الأرض بغير الحق، أولئك لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع.

الخطاب عام لكل الناس.

وفي سورة الزخرف يبين الله عزوجل هوان الدنيا عليه، ونظرة الناس إليها وزخرفها.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزُّخرُف:٣٣]

ولولا أن يكون الناس جماعة واحدة على الكفر، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة وسلالم عليها يصعدون.

وفي سورة الدخان يبدأ الحديث عن أهوال يوم القيامة وعظمه على الناس.

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان:١١]

يعمُّ الناس، ويقال لهم: هذا عذاب مؤلم موجع.

ننتقل مرة أخرى إلى دلالة كلمة أكثر.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢٦]

قل -يا أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث:الله سبحانه وتعالى يحييكم في الدنيا ما شاء لكم الحياة، ثم يميتكم فيها، ثم يجمعكم جميعا أحياء إلى يوم القيامة لاشك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على إماتتهم ثم بعثهم يوم القيامة.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦]

وإذا حُشر الناس يوم القيامة للحساب والجزاء كانت الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، تلعنهم وتتبرأ منهم، وتنكر علمها بعبادتهم إياها.

في الحديث التالي يبين الله كيف يقف الحق سبحانه وتعالى مع عباده المؤمنين.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢٠]

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها في أوقاتها التي قدَّرها الله لكم فعجَّل لكم غنائم "خيبر"، وكفَّ أيدي الناس عنكم، فلم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال، ومن أن ينال ممن تركتموهم وراءكم في "المدينة"، ولتكون هزيمتهم وسلامتكم وغنيمتكم علامة تعتبرون بها، وتستدلون على أن الله حافظكم وناصركم، ويرشدكم طريقا مستقيما لا اعوجاج فيه.

منه الله سبحانه وتعالى على الرسول والمؤمنين

في الآية المقبلة يجري الحديث عن الأصل في العلاقة بين الناس وهي في ظلال (لتعارفوا).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]

يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء، فلا تفاضل بينكم في النسب، وجعلناكم بالتناسل شعوباً وقبائل متعددة؛ ليعرف بعضكم بعضاً، إن أكرمكم عند الله أشدكم اتقاءً له. إن الله عليم بالمتقين، خبير بهم

(النداء الإلهي في المساواة بين الناس)

إن الآية في سورة القمر تتحدث عن ألوان العذاب للناس.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر:٢٠]

تقتلع الناس من مواضعهم على الأرض فترمي بهم على رؤوسهم، فتدق أعناقهم، ويفصل رؤوسهم عن أجسادهم، فتتركهم كالنخل المنقلع من أصله.

ثم تتحدث الآيات عن صفات الناس.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾

[الحديد:٢٤]

هؤلاء المتكبرون هم الذين يبخلون بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم. ومن يتولَّ عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه.

هناك صنف من الناس فاسد في نفسه، وهناك صنف فاسد ومفسد كما أن هناك بخيل ويأمر الناس بالبخل، وصالح في نفسه، ومصلح للناس ولنفسه.

لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان؛ ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأنزلن لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة، وليعلم الله علماً ظاهراً للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب. إن الله قوي لا يُقهَر؛ عزيز لا يغالب.

ميزان العدل قائم لكل الناس، كما أمر الله سبحانه وتعالى

الخطاب القرآني مرة أخرى يتحدث عن أصناف الناس.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الجمعة:٦]

قل -أيها الرسول- للذين تمسكوا بالملة اليهودية المحرَّفة: إن ادَّعيتم -كذباً- أنكم أحباء الله دون غيركم من الناس، فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين في ادِّعائكم حب الله لكم.

الخطاب هنا موجه لليهود الذين زعموا أنهم شعب الله المختار وحدهم.

بالمقابل فإن الدعوة موجهّه للمؤمنين كي يوسعوا دائرة الخير والدعوة إلى الله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نار وقودها الناس والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به.

الأصل في النار أنها أعدت للكافرين.

الناس هنا عامة في المعاملة وهي المعاملات الاقتصادية.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين:٢]

الذين إذا اشتروا اشتروا من الناس مكيلا أو موزوناً يوفون لأنفسهم ثم يأتي الخطاب أيضاً لكل الناس.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]

يوم يقوم الناس بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير، وهم فيه خاضعون لله رب العالمين.

خطاب عام لكل الناس

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة:٦]

يومئذ يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافاً متفرقين؛ ليريهم الله ما عملوا من السيئات والحسنات، ويجازيهم عليها.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة:٤]

في ذلك اليوم يكون الناس في كثرتهم وتفرقهم وحركتم كالفراش المنتشر، وهو الذي يتساقط في النار.

في نهاية الدعوة كانت البشارة الإلهية.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:٢]

ورأيت الكثير من الناس يدخلون في الإسلام جماعات جماعات

الخطاب هنا للرسول -صلى الله عليه وسلم-، وانتصار رسالته.

وفي نهاية آيات القرآن الكريم تكون المعوّذات.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]

قل -أيها الرسول- أعوذ وأعتصم برب الناس، القادر وحده على ردّ شر الوسواس

الخطاب عام لكل الناس

﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٢]

ملك الناس المتصرف في كل شؤونهم، الغنيٌ عنهم

لكل الناس

﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٣]

إله الناس الذي لا معبود بحق سواه

لكل الناس

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٥]

الذي يبثُّ الشر والشكوك في صدور الناس

لكل الناس.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٦]

من شياطين الجن والإنس

وأضيف إليهم من يحمل نفس صفاتهم في حرية الاختيار وهم الجن، الذين يشتركون مع الإنسان في القبول أو الرفض.

وبعد: لقد قرر الإسلام حقوقاً أساسية للإنسان وردت في محكم التنزيل، فقد قرر حرية الاعتقاد والتي سنعالجها في فصل خاص. تبدأ هذه القصة مع سيدنا آدم، فقد أعطي حرية الاختيار وفي نفس الوقت بين له الحق سبحانه وتعالى، أن هناك عدواً يتربص به وهو الشيطان ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة ٣٥ :٣٦]، وهكذا لم ينفع التحذير فأكلا من الشجرة رغم التنبيه، وبناء عليه تم هبوطهما إلى الأرض، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يتركهما دون منهج، ودون توجيه قال ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن

تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ [البقرة ٣٨ :٣٩] وهكذا فإن نزول المنهج لا يعني جبرية الإتباع وإنما حرية الاختيار.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس ٧ :١٠]

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس:١٠٨]

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف:٢٩]

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة:٢٦٥]

إن مهمة الرسل هي بيان منهاج الدين، ويترك للناس الحق في الاختيار أو الرفض دونما إجبار، وخطاب القرآن للرسول -صلى الله عليه وسلم- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)﴾ [الغاشية ٢١ :٢٢]

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق:٤٥]

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣)﴾ [الشعراء:٣]

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢)﴾ [عبس ١١ :١٢]

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩)﴾ [الإنسان:٢٩]

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨)﴾ [التكوير:٢٨]

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون:٦]

ولا يفهم أن حرية الاختيار، تخرج عن المشيئة الإلهية، ولكن كرمهم فأعطاهم الحق في الاختيار، والذي يترتب عليه، الجزاء الأوفى، أما إلى جنة أو إلى نار.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩]

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]

إن الحرية هي حق للإنسان، مطلق الإنسان، ذكرا أو أنثى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)﴾ [الأنعام:٣٥]

ولكن هذا الحق الذي يمارسه الإنسان يحتاج إلى وعي تام، وإدراك لما في الكون، لأن الأمر ليس سهلاً، والنتيجة صعبة ولذا طلب الله من الإنسان أن يتفكر في نظام هذا الكون العجيب.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾ [الإنسان ٢ :٣]

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾ [البلد ٨ :١٠]

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:٦٢]

إن حرية الاختيار في الغالب مرتبطة بوجود منهج، يشرح طريق الخير وطريق الشر ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزُّمَر:٤١]

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٨٩]

إن الهدف من هذه الحرية والتي إذا أحسن فهمها ستؤدي بالإنسان إلى معرفة ما يترتب على حرية الاختبار للمنهج وهو عبادة الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧)﴾ [الذاريات:٥٧]

وأؤكد كلّما اتعرض لهذه الآية أن مفهوم العبادة يعني حركة الإنسان على الأرض إذا صحّت النية ووافق الشرع، بحيث تأخذ العبادة مفهومها الشامل وليس الشعائر التعبدية فحسب، إن هذا الاختيار هو الذي يحدد مصيره في الآخرة، ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١)﴾ [النازعات ٣٧ :٤١]

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥]

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠]

هذا الحق، حق الكفر أو الإيمان، أتباع المنهج الإلهي، أو منهج العباد أو الشيطان، وأي منهج مخالف لمنهج الله، هو أهم الحقوق التي أعطيت للإنسان، والتي بناء عليها يتقرر مصير الفرد والمجتمع ومن ثم مصير الإنسانية كلهما.

إن الإنسان وهو يتميز على غيره بحرية الاختبار، لابد أن يعبر عن هذه الحرية، بالقدرة على التعبير وحرية الرأي.

قال تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩)﴾ [البلد ٨ :٩]

إن الإنسان وهو يمارس دوره في الحياة، وله حرية التعبير، أما أن يمارسها في ظل منهج إلهي أو منهج بشري، وهي حرية معطاه للإنسان بحكم كونه

إنسان، والغريب في الأمر أن هذه الحرية (حرية التعبير) قد وجدت طريقها في الحياة الغربية الآن، أكثر مما وجدت طريقها في البلاد الإسلامية في صدر الإسلام كان الحاكم يقول للرعية (لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو جزء من مهمة الإنسان السليم في الحياة، أي التعبير عن رفضه للشر، والمنكر، وحثه على إتباع الخير والهدى وهذا الخيرية هي سبب تفضيل الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم، ليس بسبب جنسها، أو رقعتها الجغرافية، وإنما بسبب مبادئها ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠]

لقد استمع الرسول -صلى الله عليه وسلم- للمرأة التي جاءت لتعرف حقها في المظاهرة حيث قال تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١]

وقال تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١]

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣]

وفي حرية التعبير يصل الأمر إلى مداه، إلى إسماع الصوت، والاحتجاج السلمي، بكل أنواعه حيث قال تعالى ﴿۞ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء:١٤٨]

إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يطلب من المسلم أن يكون صاحب موقف بالكلمة أو ما سواها (لا يكن أحدكم إمعّه، إن أحسن الناس أحسن،

وإن أساءوا أساء، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا ألا تظلموا) الترمذي.

إن إبداء الرأي هو جزء من مؤسسة الشورى التي أمر بها الإسلام، وهو بحث مطوَّل، وله مكانة في الإسلام، ونحن نختصر فيه أن الإسلام قد ركز على شورى الاختصاص، أي أن الحاكم، أو المسؤول يستبشر أصحاب الاختصاص في كل أمر من أمور الحياة وفي ذلك قيل (أن الأمير تهدى إليه عقول الناس، فيفكر بعقولهم جميعاً بدلاً من أن يفكر في عقل واحد). وقد مارس الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذه الشورى في أكثر من موقع من مواقع اتخاذ القرار في حياته -صلى الله عليه وسلم-، وهي من صفات المؤمنين ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وهي أمر وشاورهم في الأمر، وبالتالي فالشورى ملزمة وليس معلمه.

ولكن المسلم وقّافاً عن حدود الله، فإذا قضى الله ورسوله أمراً ما كان لهم الخيرة من أمرهم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]

إن للتعبير عن الرأي آداباً من حسن الكلام وعدم التجريح بالسب والشتم أو القذف أو الاتهام بالباطل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:٢٣]

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور ١٥ :١٧]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠]

إن حرية التعبير يجب أن لا تتجاوز حدود المحظور، حدود المقدسات حدود الأنبياء، وما أشيع في الغرب أخيراً بحجة حرية التعبير من اعتداء على حرمة الأنبياء لا يدخل في حرية التعبير إطلاقاً.

إذا رجعنا إلى قضية الشورى، وجدناها قد وردت في القرآن الكريم بشكل عام دون تفاصيل، وهذا يدخل في باب تفاصيل الحياة السياسية، بما يمكن أن يفصّل منْ الشورى في كل زمان ما يناسب الظرف السياسي ضمن التصور العام الإسلامي، إنّ الشورى هي في الأمور التي لا نص فيها محكم يرجع إليه، ولعلّنا نشير أيضاً إلى أن الشورى في الغالب جماعية، أفضل من أن تكون فردية، فعملية الشورى جزء من النظام الإسلامي العام ولا يجوز أن تخرج عليه.

إن الآية التي تحدثت عن الشورى جاءت بصيغة الأمر والإلزام فإذا كانت كذلك في حق الرسول -صلى الله عليه وسلم- فهي في حق المسلمين في كل زمان ألزم،. عندما جاءت الآية الكريمة تتحدث عن الأمر، ولم تحدّد ما هو الأمر، لذا فكل أمر يحتاج إلى شورى تتم المشاورة فيه (مشاورة أهل الرأي تم اتباعّهم) وحتى في الأمور في البسيطة فهناك الشورى (فإذا أرادا فصالا عن تراضي منهما وتشاور) حتى في أمر الرضاعة، الشأن الاجتماعي الأسري تكون هناك الشورى. والمستشار مؤتمن كما بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- أي أن الإنسان لا يصدر رأيه في الشورى على حسب هواه وإنما على حسب ما تقتضيه مصلحة الناس عامة، والمسلمين بخاصة.

وإذا ربطنا بين مفهوم الحرية والشورى، يظهر لنا الترابط والتلازم إذ لا يمكن أن يبدي الإنسان رأيه في الشورى إلا إذا كان حراً، ولذلك كانت الحرية شرطاً سابقاً للشورى.

أن تصحيح الأوضاع في أي مجتمع، يحتاج إلى قانون، وتطبيق، وفي الإسلام يحتاج إلى شرعة ومنهاج وتطبيق، وترتبط بها مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان:١٧]

﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [التوبة:١٧]

﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١١٤]

إن المدافعة جزء من سنة الحياة، هناك حق وهناك باطل والقرآن بين أن من مهمة المسلم الدفاع عن الحق، عبر الصدع بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران:١١٠]

جاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقرونا بالإيمان بالله، فالخيرية شرط لا تستحقها هذه الأمة إلاّ بقيامها بمهمتها في الحياة الدنيا، ومن هنا كان هذا الحق من حقوق هذه الأمة، ومن حقوق الإنسان المسلم فيها، ومن حق الجماعة المسلمة فيها قال تعالى:

﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء:١١٤]

﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٤]

عندما يتحدث القرآن الكريم عن الناس والإنسان فإنه يتحدث عن بلاغ إلهي، وعندما يتحدث عن الذين آمنوا يتحدث عن طلب أوامر أو نهي أو

تكليف، ولذلك فقضيته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدخل ضمن دائرة الإنسان المسلم، والأمة المسلمة عندما يلامس الإيمان قلوب أفرادها.

يقول الإمام علي إلى أبي ذر عندما أبعد إلى الربذة (يا أبا ذر إنك غضبت لله خارج ما غضبت له، أن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، وأهرب منهم بما خفتهم عليه من أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غداً والأكثر حسداً ولو أن السموات والأرض كانت على عبد رتقاً ثم أنقى الله عز وجل لجعل الله له منها مخرجاً، ولا يؤنسك إلاّ الحق ولا بوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياك لأحبوك، ولو قرضت منها لأمنوك) نهج البلاغة جـ٢ ١٧٢.

إن موضع المساواة يعتبر من أبرز الموضوعات التي حث عليها القرآن الكريم، وفيها يتجلى وحدة الإنسانية. وفي هذا السياق تطالعنا مجموعة من الآيات يقول تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣] هنا نعيش الإنسانية ابتداء في ظلال قوله تعالى (لتعارفوا)

إن موضوع الاختلاف هنا في الجنس واللهو ووجود شعوب وقبائل يعني قدره الله سبحانه وتعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء:١]

إن الناس جميعاً متساوون في المنشأ ومقياس الأفضلية هي تقوى الله سبحانه وتعالى.

إن الأمة المفتوحة والتي يدخل فيها كل إنسان ليصبح في مرتبة غيره هي أمة غير الأمة المغلقة والتي تدعى أنها شعب الله المختار كما يدعى اليهود وما خلق البشر على صورة بشر إلا ليستأنس بهم اليهود ويخدموهم وقد تبع اليهود أيضاً النصارى عندما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ

﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة:١٨]

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة ١١١ :١١٢]

نجد شعار التمايز والتعالي على الآخرين، شعاراً مرفوعاً من قبل كثير من الناس وبخاصة الكفار منهم، كي يتعالوا على غيرهم، الأرذلون كانوا سبباً من أسباب عدم إيمان قوم نوح ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء:١١١]، وطلبت قريش من الرسول -صلى الله عليه وسلم- طرد العبيد والضعفاء من مجلسه حتى يحضروه ونزل قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٥٢]

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجُرات:١٠]

إن الرب واحد، والدين واحد، والأصل واحد، والمنهج واحد، وكلها أمور تؤكد على المساواة بين المسلمين، قاله الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع في ميزان الإسلام هناك قسمان من الناس، قسم كريم على الله سبحانه وتعالى وهم المؤمنون، وقسم هيّن على الله سبحانه وتعالى، وهم الكفار أن الجنس واللون واللغة، لا تلغي حقوق المسلم، ولا تنقص من واجباته والمسلمون متساوون أمام القضاء، بل إن الناس كلهم أمام القضاء الإسلامي متساوون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء:١٣٥]

إن تطبيق شرع الله، على الجميع، هو المعيار، للمساواة في الإسلام قال عمر بن الخطاب، (ما قولكم لو أن أمير المؤمنين شاهد امرأة على معصية) قال علي بين أبي طالب (يأتي بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين). والمساواة مفتوحة في كل مناحي الحياة، السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، فحق التملك مباح للجميع، وحق الإنفاق متاح للجميع ضمن الضوابط الشرعية.

إن الله قد ساوى بين المرأة والرجل في المنشأ والأصل، وهي شطرا النوع الإنساني قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧]

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء:١٢٤]

إن المساواة أصل من أصول الإسلام وقد جعلت المادة الأولى في حقوق الإسلام ولازالت قوله عمر بن الخطاب (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احراراً) نرن في أذن الزمان إن العبادات الإسلامية تدعوا إلى المساواة، فالحج، يتساوى فيه الناس في اللباس والشعائر، والصلاة يقف فيها الناس بعضهم إلى جانب بعض في مساواة مطلقة، والصيام على الجميع وقت واحد، صياماً وإفطاراً معاً.

وبذلك يتسق الإسلام مع الإنسانية التي تدعو إلى المساواة والتعاون والتعارف بدلاً من التخاصم والتناحر، وما أحوج البشرية اليوم إلى منهج يرسخ هذه القيم ويؤكد على هذه المفاهيم، ألا وهو منهج الإسلام.

ومن حقوق الإنسان (العدل)، والأرض قامت على ميزان العدل الإلهي

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:25]

فالرسل أرسلوا على مر التاريخ، ومعهم المنهج الإلهي، والعدل كي يعيش الناس في ظلاله، ولعلّ الآية أشارت إلى الحديد إنزالا وإعمالاً، لأن العدل يحتاج إلى سلطة تقية وتقوم به. ولعلّ من سمات الأمة الإسلامية إنها تقوم بالعدل والهداية ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:181] وكل منهج إلهي مع كل رسول قام على دعوة الحق والعدل، أن القرآن يضرب لنا أمثالاً ومقارنات حيث يقول تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:76]

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90]

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:29]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)﴾ [النساء:135]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:8]

وقـــال تعـــالى ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢]

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢]

إن العدل هو نقيض الظلم، وبما أن الله حرّم الظلم على نفسه، فإنه حرمه على عباده، وأقر العدل كأساس بين البشر، والعدل، مطلق في كل ميادين الحياة، العدل في السياسة والحكم، في الاقتصاد والإدارة، في الاجتماع في الأسرة والفرد والمجتمع، في النظرة والفعل، في العلاقات وفي كل مناحي الحياة.

العدل بين الناس بغض النظر عن المعتقد، أو الجنس كلهم يجب أن يطبق عليهم ميزان العدل. إن الذرة في الخير أو الشر تحسب للإنسان ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ (٨)﴾ [الزلزلة ٧-٨]. **وهكذا وجد غير المسلمين حقوقهم في إطار العدل في المجتمع الإسلامي في إطار هذه الحقوق المترابطة في المجتمع بشكل عام، وفي المجتمع الإسلامي بشكل**

خاص، نجد أن هناك شواخص تؤكد على هذه الحقوق، التي أنبشت في القرآن الكريم على شكل نداءات إما في يأيها الإنسان، أو يأيها الناس، أو يأيها الذين آمنوا...الخ، كما وجد غير المسلمين على مدار التاريخ حقوقهم في ظل المجتمع الإسلامي أن الأمة الكافرة تنتصر بالعدل وأن الأمة المسلمة تهزم بالظلم.

إن حرية الاعتقاد كانت أساسا في التعامل مع الإنسان فلا يجوز لأحد إجبار أحد على الاعتقاد جبرا أو إكراهاً، ولكن هذا الاختيار لا يتصادم مع المشيئة الإلهية، وعلمه الأزلي، ولكي تقام الحجة على الإنسان كان البلاغ – بعدما كان الاختلاف، والغاية من حرية الاعتقاد هو الوصول إلى الغاية التي خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من أجلها وهي عبادة الله تشريعاً وليس تكويناً، وعلى ضوء هذا الاختيار يتحدد مصيره في الحياة الأخرى.

إن حرية الرأي هي تكشف عما في الإنسان خارجاً أو هي الأشعة السينية التي تكشف في نفسك من الداخل لأن كبت الرأي يؤدي إلى التعبير عنه بطريقة سرية، أو ملتوية أو يؤدي إلى النفاق. والذي يكتبون إن حرية الرأي يصطدمون مع المنهج الإلهي، فحرية الرأي ليست منحة من أحد، وهذا يترتب على إيجابية الإنسان تجاه المجتمع الذي يعيش فيه، وكبتها يمكن أن يؤدي أيضاً إلى وجود عنف يبعض المجتمعات، إن تحرير وسائل الإعلام المختلفة من القيود تجعل حرية إبداء الرأي متاحة للجميع، وتساهم في عملية تقويم الأخطاء في المجتمعات المختلفة. وأن حرية التعبير ترتفع وتيرتها أحياناً لتصبح واجباً وتكليفاً يؤدي إلى المساهمة في تقويم المجتمعات، ولا يعني ذلك الانفلات وعدم الانضباط، فالمسلم مطالب بأن يكون وقّافاً عند حدود الله.

إن الحديث حول هذه الحقوق ليس حديثاً نظرياً، وإنما هي من أجل التطبيق، فهي منسجمة مع طبيعة الإنسان وخصائصه كما أن تكامل هذه الحقوق في التطبيق هو الذي يؤدي إلى النتائج الإيجابية، وكما أكدنا فإن إعطاء الإنسان هذه الحقوق ليس منحة، وإنما هو واجب أقرته الأديان وأكدته

الأعراف والمواثيق الدولية، وعندما نتعرف للإسلام نجد أنه اعتبر هذه الحقوق ضرورات، وبالتالي فإن المطالبة السليمة بهذه الحقوق مما يساعد في إرساء قواعد العدالة والمساواة في المجتمع.

إن الحقوق الإنسانية ضرورات فطرية للإنسان، من حيث هو إنسان، وإسلامنا هو دين الفطرة التي فطر الناس عليها، فمن الطبيعي ونحن نتحدث عن الإنسان في القرآن أن نشير إلى مثل هذه الحقوق.

أن الواقع المنسوب للإسلام والمحسوب على شريعته يلقي بالظلال في نظر الكثيرين على الإسلام كمصدر من مصادر السياج الفكري للحصول على هذه الحقوق.

ولعل ما أشار إليه الدكتور محمد عماره في كتابه الإسلام وحقوق الإنسان أن الإسلام قد سبق كل المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، عندما اعتبر هذه الحقوق ضرورات وأدخلها في إطار الواجبات فالمأكل والمسكن والملبس والأمن في الفكر والحرية في الاعتقاد والتعبير والعلم والتعليم والمشاركة في صياغة النظام العام للمجتمع والمراقبة والمحاسبة والتغيير للظلم والواقع السيئ ومحاربة الجور والفسق والفساد كل هذه ليست حقوقاً وإنما هي ضرورات واجبة لهذا الإنسان، وواجبات عليه أيضاً. هي ضرورات إنسانية فردية كانت أو اجتماعية ولا سبيل إلى حياة الإنسان بدونها حياة تستحق الحياة وبالتالي يصبح الحفاظ عليها واجباً، لا يجوز أن يفرط فيه، ويصبح التمتع بها جزءاً من التمتع بالحياة.

إن التدين إنما قام لقاء استمتاع الإنسان بهذه الضرورات ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ (قريش ١ :٤) وصلاح أمر الدين مرتبط بصلاح أمر الدنيا وقد عبر هذه الحقيقة الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد عندما قال (أن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا، فنظام الدين بالمعرفة

والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من وجوه الغلبة، حتى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة فإن، نظام الدنيا فهمه كشرط لنظام الدين.

إن الإيمان بوحدة الأصل الإنسان هو السبيل الوحيد لإلغاء الفوارق البشرية كاللون والقوم والجنس وإيقاف التمييز العنصري ومنح الناس المساواة التامة من أصل الخلق، والتي هي أساس الحقوق جميعاً ووسيلة تحقيق الكرامة الإنسانية، كما منحهم الفرص المتكافئة بحيث يصبح ميزان الكرامة التقوى والعمل الصالح، وهو كمعيار نسبي منوط بعمل الإنسان وخبرته وسعيه ومدى عطائه وما يقدم لنفسه وللإنسانية من خير وما يساهم به من ارتقاء، لا بسبب نسبة وقومه أو لونه وجنسه، لأنها جميعاً أمور قسْرية، لا اختيار للإنسان فيها، ولابد له بحصولها، لذلك فمن الظلم أن نعمم هذه الأمور القسْرية كميزان للكرامة لإنسانية وسبيلاً للتعامل. والتفاضل بين البشر.

إن القرآن هو الذي انتشل إنسانية الإنسانية من الهدر والضياع، جسّدها الرسول -صلى الله عليه وسلم- بخلقه وسلوكه وأقواله وأفعاله (لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى).

أن الإنسانية أشد ما تكون ضرورة لأن تقرأ عن الإنسان في القرآن والذي تجسده القيم الإسلامية، وذلك في هذا العصر الذي انفتح فيه العالم وانفسح لاستقبال كل شيء، ومراجعة كل شيء وعرض كل بضاعة.

إن هذه الصورة التي يجسدها القرآن عن الإنسان، ومن ثم يجسدها عن الإنسان المسلم، تتصادم مع الصورة التي يرسمها خبثاء العالم عن الإسلام والمسلمين، من صورة العنف المطلق بلا ضوابط أو قيود والتخلف وانتهاك

الحريات العامة وقمع المرأة ومعاداة التقدم وتهديد الحضارة الإنسانية، وهذه أدوات العولمة لبسط سيطرتها على العالم الإسلامي. من خلال تحذير هذه الصورة في ذهن الآخر عن المسلمين، ولعلّ واقع المسلمين هو الذي يساعدهم على ذلك.

أن الحقيقة الأولى التي ربطت بين الفطرة والإنسان، منذ خلق آدم ورسمت صورة المقابلة بينه وبين إبليس عدوّه، هي الصورة المرتبطة (بالوحدانية)، وهي الركن التي جاءت الرسالات جميعها لتؤكد عليها، والتي كانت منذ أن كان الإنسان في عالم الذر والأزل وبعد أن تفرق الناس بعد أن كانوا امة واحدة. وأن هذه العقيدة الفطرية عقيدة التوحيد هي التي تمتلك مخزوناً من الأبعاد الحضارية والثقافية والإنسانية والقانونية في الحركة الإنسانية والبناء الحضاري القائم على احترام إنسانية الإنسان، وإن أي تحريف لها أو عدول عنها سوف يلحق الضرر بمسيرة الإنسان، وينذر بامتداد التأله والهيمنة والتسلط والإكراه وهدر كرامة الإنسان.

فإذا كان الإله المعبود الخالق واحد، ومصدر الخلق واحد، فإن المساواة وهي أساس كل حق وواجب تأتي ثمرة طبيعية جداً لهذا الاعتقاد بل تعتبر مقياس هذا الاعتقاد، وهنا يمكن الفرق بين العقيدة كمحرك وبين الفلسفة كمعارف باردة.

إن صور التسلط من الإنسان على الإنسان عبر التاريخ كثير، كان الرق الذي جاء الإسلام ليجفف منابعه، وجاء صاحب العمل لتسليط على العامل، وجاء بشكل الحكم الديني باسم الله، وأخذ أشكال الكهنوتية ورجال الدين – واخذ شكل الرجل الأبيض مقابل الأسود، وأخذ شكل شعب الله المختار، وأخذ شكل الطبقة الكادحة، وأخذ شكل الإمبريالي الذي يتوهم أن انتهاء التاريخ البشري مرتبط بحضارته وثقافته فيحاول أن يتحكم في كل شيء، ولعل حقوق الإنسان أصبحت (فزاّعة) أو مهزلة، أشبه بدمية أطفال يتلاعب بها

الأقوياء في وجه الضعفاء لذلك نقول إن عقيدة التوحيد المرتبطة بفطرة الإنسان والتي هي شرط للاستخلاف، ومنسجمة مع حرية الاعتقاد، وتعطي للنفس البشرية توازنها، وترتفع بها إلى حيث ينبغي أن تكون من الكرامة هي التي حررت الإنسان من العبوديات ونسخت الألوهيات البشرية والحجرية والطبيعية والكونية بشكل عام وسوّت بين الناس جميعاً. كما أنها حررت القيم، والتي كانت وما تزال تشكل جسر العبودية والتسلط.

أن النبوة التاريخية من لدن آدم إلى لدن محمد -صلى الله عليه وسلم- كانت ولا تزال تشكل في حقيقتها حركة تحرير الإنسان، ومحاولة استرداد إنسانيته التي أرادها الله سبحانه وتعالى، وتحاول تخليصه من العبوديات، هذه الدعوة في كل زمان يقف في وجهها وكما وقف في زمن النبوة في وجهها الكبراء، والملأ، والمتألهون لأن غايتها المساواة بين الناس، وهم لا يريدون ذلك.

إن عدم إدراك المعنى الحقيقي لعقيدة التوحيد، والقدرة على التفريق بين (الملك والسلطة والحكم) و (النبوة)، وإسقاط ممارسات النبوة على ممارسات الحاكم، دونما تفريق يوقعنا مرة أخرى في الحكم الثيوقراطي (الديني)، والذي يمكن أن نمارس كل أهواءنا باسم الدين، إن ممارسة مثل هذه الالتواءات تقع في غياب عقيدة التوحيد، في كل ركن من أركان الحياة، إن المساواة هي أولى ثمرات الإيمان وهي أساس حقوق الإنسان جميعاً، هذا التسامي يحول دون الألوهيات والعنصريات وجميع أشكال التمييز، وتشتد الحاجة إليه وبذل الجهد لاسترداده، كلما استحكم الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي وغيبت إنسانية الإنسان. وقديماً قال النمرود أنا أحيي وأميت، وقال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وقال أنا ربكم الأعلى. واستخف قومه فأطاعوه، ويتوهم كثير من الناس من يملكون جوقة من الأتباع ممن لهم رؤوس، لكنهم لا يحملون أفكاراً أن صاحبهم يتمتع دون سواه بالعبقرية والإلهام، ومن هنا تبقى المدافعة لاسترداد إنسانية الإنسان جزءاً من مسيرة الحياة.

إن عقيدة التوحيد جعلت كل الناس بشراً يخطئون ويصيبون ومسألة الحكم لا تخرج عن كونها إدارة بشرية، والأساليب الإدارية ليست ديناً، ولذلك قال الخليفة الراشد أبا بكر (فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني...) والرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو مسدد بالوحي قال وهو يحكم بالقضاء (إنما أنا بشر....)

إن الإسلام لم يجعل هذه الحقوق وصايا ومبادئ مثالية، وإنما ربى الناس عليها، وأقام الوازع الداخلي لمراقبتها، ورتب الثواب الأخروي على التزامها والعقاب على انتهاكها، وعضد ذلك بالتشريعات القانونية المعزمة، فعالج الموضوع من داخل النفس وضبط المخالفات من خارجها، ولقد أكد العلماء أن هناك ضرورات خمس للإنسان (الدين والعقل والنسل والمال والنفس). وإذا نظرنا مثلاً لخطبة حجة الوداع وجدنا أن فقه الحرمات يؤسس للنظرية الحقوقية الإسلامية.

فقه الحرمات هو بذل الوسع العقلي وخاصة الجماعي سيما من أهله في محله من أجل تعميق الفهم وتدقيقه في مسألة المساحات التي أحاطها الله تعالى بالصون والحرمة والتكريم والقدسية مرتباً أعلى العقوبة على واطئها بغير حق فهي حمى محمية وليست هذه سوى ثلاث وهي الإنسان مطلقاً عقلاً وروحاً ونفساً وعرضاً ومالاً وجماعةً وكذلك الزمان أو بالأحرى ثلثه أي الأشهر الحرم الأربعة منه وكذلك المكان. وليس المقصد الإلهي من تحريم الإنسان وثلث الزمان والمكان سوى تضييق مساحات الاعتداء والظلم بين الناس إلى أبعد حد ممكن بالقانون وعبر وازع التقوى وفي المقابل نشر مناخات السلام والأمن والتعارف والبناء والتعاون والتعمير والحياة الكريمة والحرية إلى أبعد حد ممكن. يتبين أن فقه الحرمات في الإسلام بأسسه الثلاث الكبرى الإنسان والزمان والمكان كفيل إلى جانب بقية جوانب الدين وداعيات الفطرة وسلطان القوة

وسابغات العقل بتأسيس النظرية الحقوقية الإسلامية أو مبادئ ميثاق حقوق الإنسان في الإسلام.

إن المبادئ السبع لخطبة حجة الوداع لحمة وسدى الميثاق الإسلامي لحقوق الإنسان وهي:

١. حق الحياة الكريمة فريضة مقدسة "يا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا من شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد".

٢. حق العدالة والقسط في تكافؤ فرص الكسب والمساواة في التوزيع على قاعدة الرجل وبلاؤه والرجل وكسبه وضمان الكفاية دوماً "يا أيها الناس إن ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه تحت قدمي هاتين ربا العباس ألا هل بلغت اللهم فاشهد".

٣. حق المساواة الإنسانية الكاملة أمام المآثر والمناقب على قاعدة العمل والكسب والجهد لا على قاعدة النسب أو العرق أو المال "يا أيها الناس إن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد مقود وفي شبه العمد مائة بغير ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

٤. حق المرأة في الحياة الكريمة حق مقدس ضمن مؤسسة الأسرة خلية الأسرة الاجتماعية والإنسانية الكبرى على قاعدة الغنم بالغرام أو تكافؤ الحقوق مع الواجبات" يا أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً وإن لكم عليهن حقاً فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم فاشهد".

٥. حق الاجتماع والأخوة والتعاون وحرية الاختلاف بضمان الوحدة حقوق مقدسة "يا أيها الناس إنما المؤمنون إخوة فلا تراجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت الله فاشهد".

٦. حق المعتقد والانتماء وحرية التدين والعبادة وحرية الفكرة والإصلاح والتغيير حقوق مقدسات وحريات مصونة "يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي وعترتي ألا هل بلغت اللهم فاشهد".

٧. حق المساواة في الأصل البشري وحق البشرية جمعاء في العبودية لخالقها الحق وولي أمرها وحق انتسابها الفطري لأبيها آدم وحرية تساويها جمعاء أما مقتضيات ذلك كله "يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت اللهم فاشهد".

إن الأسس في النظرية الحقوقية الإسلامية أو ميثاق حقوق الإنسان هو حق الإنسان مطلقاً في الحياة والكرامة وكسب المال والعدل والقسط والمساواة وصون عرضه وشخصيته المعنوية وحق المرأة كولي مسئول عن سائر شأنه مخير ومحاسب وحقه في الأخوة والاتحاد والتعاون والتجمع الإيجابي السلمي الأهلي المدني الحائل دون إهراق الدماء وإفناء الإنسان وقتل الإرادة وبسط الخوف والهلع والإرهاب وكذلك حقه في اختيار عقيدته ودينه وعبادته وطقوسه ومنهاج حياته ومعاملاته وسلوكه في كل شأنه وحقه في معرفة ربه أي في العلم والعرفان وحرية الفكر والعقل مع ضمان التنوع من جهة وضمان الأمن والسلام من جهة أخرى وحقه كذلك في الانتساب إلى أب الناس جميعاً آدم فطرة وجبلة بما يكرمه عن العجماوات والمادة.

حقوق الإنسان في النظرية الإسلامية هي في الحقيقة فرائض مفروضة وعزائم معزومة وواجبات موجوبة لا يفرط فيها طالبها وإن بذل فيها روحه إذ أن إثم القاعد دون حقه في الحياة الكريمة يستوي مع إثم سالبها منه دون وجه حق. كما أن تلك الفرائض شمولية كما تقدم لنا فهي تنبسط على الحياة المعنوية والمادية والفكرية والعقلية والروحية والفردية والجماعية، كما أن تلك الفرائض عالمية لا تخص إنساناً دون آخر لتفارق النظرة المركزية الأنانية الجشعة لحقوق الإنسان الأبيض في أوروبا وأمريكا وهي كذلك تتميز بالتوازن والاعتدال بين المطالب البدنية والروحية وبين المرأة والرجل وبين الأسرة والمجتمع وبين الحقوق والواجبات إلخ..........

وربما تكون الأشكالية الكبرى أننا نكتفي بالحديث عن القيم الإسلامية في تأصيل كرامة الإنسان، دونما وضع الخطط والبرامج لممارستها عملياً في حياتنا، فأصبحت دعاوانا بدون دليل، وعلى الأخص عندما تنتهك هذه الحقوق، أو عندما تقوم في البلاد الإسلامية أركان للكهانة شرعت الاستبداد السياسي بحجة الطاعة. وهذا استغلال لقيم الدين وتحريفها.

إن القيم الإسلامية تهدف إلى بناء إنسان الواجب، إنسان الفكرة المنتج، الذي لا يرى حقوقه في الاستهلاك، وأزمة الحضارة أنما تتمثل في عدم إعادة الاعتبار للقيم الإسلامية الإنسانية ودورها في معالجة الخلل وتحرير الإنسان واسترداد كرامته.

لقد استصرخ الأنبياء على مر العصور الإنسان لينصف الإنسان ويُعطى كل ذي حق حقه، وذلك بحرية تامة مرتبطة بالفطرة ومنسجمة مع عقيدة التوحيد، والحرية ليس مصدرها الإنسان إنما مصدرها خالق الإنسان وهو الله سبحانه وتعالى، والتي أعطى الله للإنسان فيها حرية الاختيار أمامه وأمام الكون وأمام المجتمع، وفي نفس الوقت صان المكونات الأساسية لحياة الإنسان كما

أسلفنا وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال. وجعل هناك ضمانات لهذه الحقوق من أبرزها الضمانة الأخلاقية والقانونية والتجمعية.

من هنا تبرز الضرورة لدراسة الخطاب الإسلامي للإنسان والإنسانية في القرآن الكريم ودراسة مكونات الإنسان، من نفس وروح، ومن هنا كان استعراضنا للآيات التي تحدثت عن الإنسان والناس وهي أيضاً دعوة مفتوحة لإعادة قراءة الخطاب القرآني للإنسان والإنسانية والناس لأن محور الخطاب القرآني هو للناس كل الناس في كل زمان ومكان.

خلْق الإنسان

شاءت إرادة الله وحكمته، أن يخلق الإنسان، وأن يقصّ علينا الله في كتابه العزيز كيف تم الخلق ومراحله، وأن يحدد لنا مراحل حياته – ومآله، وأن ينوّر طريقه بتبصيره بأعدائه، وأن يعلمه ما هي حقيقة المنهج الذي يتبعه، وما هي الغاية من خلقه عبادة لله، وعمارة للأرض.

بين لنا الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بأن آدم خلق من تراب الأرض، وارتقى بالخلق السوّي والنفحة الإلهية الروحية إلى منزلة العقل والإرادة والإدراك. وقد تقلبت أطوار التراب من مراحل متعددة.

١. طور التراب:

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ (٥) ﴾ [الحج:٥]

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٥٩) ﴾ [آل عمران:٥٩]

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ (٢٠) ﴾ [الروم:٢٠]

لقد أثبتت التحاليل الكيميائية أن جسم الإنسان يتركب من نفس العناصر التي يتركب منها تراب الأرض وهي (١٦) عنصراً منها (٦) عناصر أساسية تكون ما يقرب من ٩٩٪ من كتلة الجسم وهي بينة بنسبها التقريبية وهي الأكسجين – الكالسيوم والنيتروجين والأيدروجين والكربون والفسفور أما بقية العناصر فهي الكلور والفلور والكبريت والبوتاسيوم والصوديوم والمغنسيوم والحديد بالإضافة إلى آثار ضئيلة من اليود والسيلكيون والمنجنيز هذه عناصر من تربة الأرض جامدة، لو مزجناها ببعضها البعض لن يكون فيها حياة، ولكن الحياة دبت فيها بعد أن نفخ الله فيها من روحه ولكن قبل ذلك مرّ الإنسان بطور آخر وهو :

٢. طور الطين:

أصبح التراب بعد مزجه بالماء عنصراً أساسياً في تكوين الإنسان – حيث تحول التراب إلى طين يقول تعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:٧]

﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ ﴾ [ص:٧١]

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنعام:٢]

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء:٦١]

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون:١٢]

إن هذا يظهر في جسم الإنسان على شكل مركبات بعد خلطها بالماء بنسب تقريبية ماء، وبروتين، دهون، رماد، عناصر معدنية وأملاح- وكربوهيدرات-والماء يشكل الثلثين ما يوجد في جسم الإنسان يقول تعالى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ﴾ [النور:٤٥]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾ [الفرقان:٥٤]

﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء:٣٠]

وتستمر صورة الحياة بفضل مادة البروتوبلازم وهو مادة زلالية مذابة في الماء أو عالقة به – والماء أساس له. ثم ينتقل القرآن الكريم إلى الطور الثالث من خلق الإنسان وهو:

٣. طور اللازب:

وهو تحول الطين إلى مادة متماسكة ولكنها تجمع بين الصلابة والسيولة يقول تعالى ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١﴾ [الصافات:١١]

٤. طور الصلصال:

أصبح هذا الطين اللازب جاهزاً ليتشكل بأمر الله سبحانه وتعالى شكلاً جديداً هو شكل الإنسان يقول تعالى ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾ [الرحمن:١٤]

ومن المعلوم أن الصلصال يحدث صوتاً إذا تم الضرب عليه وذلك بعد أن يتعرض إلى درجة حرارة معينة.

٥. طور الحمأ

بمجاورة الصلصال للماء فترة يتحول إلى حمأ وهو الطين المختمر وربما يكون شكله مائلاً إلى السواد كطين المستنقعات يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٦﴾ [الحجر:٢٦]

ويقول على لسان إبليس ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر:٣٣]، إن طين المستنقعات يحتوي على غاز الميثان وغاز كبريتيد الهيدروجين وغاز النشادر – أي الأمونيا.

٦. طور التسوية:

يقول تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص:٧٢]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار:٧]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤]

وقال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤]

أي أن هذا الشكل الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، شكل الإنسان هو الشكل المطلوب المهيأ ليكون له الدور الأساسي في الأرض – وليكون شكلاً مقابلاً في طور كبير مع الملائكة وكله شكل بدون روح. وبدون حركة تماماً كما نصنع في هذه الأيام في متاحف الشمع من أشكال بشرية تحاكي تماماً صورة البشر أو صورة الحيوان، تشكيلاً من الشمع أو من أي مادة أخرى كالحجر – ولكن أشكال لا حياة له ومن هنا كان الدور الجديد للإنسان وهو:

٧. طور النفخة:

هذا الطين الذي مرّ بهذه المراحل نفخ الله من روحه بعد أن صوره في أحسن تقويم يقول تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر:٢٩]

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة:٩]

هذا الهيكل أصبح بشراً سوياً من هيكل عظمي، وكسو باللحم -بتدفق به الدم- وبه أعصاب وعقل ولسان هذا الإنسان الأوحد -الذي بمجرد أن نفخت فيه الروح وأصبح بشرا سوياً، طلب الله من ملائكته أن يسجدوا له ولكنه لم يتركه وحده- بل خلق له زوجه لكي يبدأ بعد ذلك خلق الإنسان المعاصر من أب وأم من ذكر وأنثى

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

ويقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٢١]

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل:٧٢]

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزُّمَر:٦]

وعن طريق آدم أبى البشرية وحواء (أم البشرية) جاءت ذرية بني آدم يقول تعالى:

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف:١٨٩]

إن طرق خلق الإنسان في القرآن مختلفة، فآدم عليه السلام خلق من دون أب أو أم، وحواء خلقت من آدم، أي من ذكر دون أنثى، وعيسى عليه السلام

خلق من أمّ دون أب وذرية آدم تخلق من أم وأب وهكذا تنوعت أساليب الخلق ولكن الخالق واحد هو رب العالمين.

لازلنا مع آدم عليه السلام وخلقه، ولازلنا مع إعداد آدم والتوجيهات التي صدرت له وكلها مؤشرات لما ستكون عليه ذريته، وقسمات لما ستكون عليه صفاتهم، فما مرّ به آدم في علاقته مع إبليس والجنة والأرض، معرض أن تكون عليه علاقة ذريته معه، فهي سلسلة متصلة، بأدوار محتملة وأطوار متعاقبة نعرض لها بشيء من الإيجاز:

١. طور الإعلام بالخلافة

خلق الله تعالى الكون، ومنها الأرض، وقدرّ فيها أقواتها، وخلق الله آدم، وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيخلق بشراً من تراب الأرض، وأن سيصطفيهم بالاستخلاف فيها ويجعلهم أصحاب السلطان على زمامها وينتشرون في أركانها ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠]

وكان تعجّب الملائكة من هذا الخلق ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠]

إن الملائكة لم تفهم مرادات الله سبحانه وتعالى من خلق الإنسان والله سبحانه وتعالى أراد خلقاً يأتيه طائعاً عن حب ورغبة لا عن قهر ورهبة، قادر على فعل المعصية ولكن لا يقوم بها حباً لله سبحانه وتعالى، زينتّ له الشهوات ولكن لا يمارسها طاعة لله سبحانه وتعالى. فكان الجواب ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾وبدأت تهيئة هذا المخلوق الجديد ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة٣١ :٣٣]

إن الله هو وحده العليم – علم إحاطة بكل شيء سابق وحاضر ومستقبل ولاحق.

إن الله حينما خلق آدم سخر له كل ما في الأرض من مخلوقات وكائنات وأجناس، وهيأ له كل ما يمكنه من القيام بمهمة الاستخلاف وهو ما ستتحدث عنه في فصل العلاقة بين الإنسان والكون، ومكانة الإنسان في الكون، كما علم الله آدم اللغة، حتى يستطيع أن ينطق بها أسماء المخلوقات ثم أخذت ذلك ذريته بالسماع وتعددت بعد ذلك اللغات كآية من آيات الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم:٢٢]

٢. طور السجود

أراد الله سبحانه وتعالى أن يكرّم آدم عند بداية الخلق تكريماً يليق بمهمته في الحياة الدنيا كخليفة الله في الأرض فأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم بعد إتمام الخلق وكان هذا السجود مدعاة لاعتراض إبليس عليه لعنة الله – وقد استجابت الملائكة تنفيذا لأمر الله، وليس لقدسية في شخصية آدم ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر٢٨ :٣٠]

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

[ص:٧٤]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤]

وإبليس كان من الجن، والجن كالبشر لديهم حرية الاختيار بين الطاعة والعصيان، وليسوا كالملائكة الذين من مهمتهم الطاعة فقط، والملائكة في مرتبة أعلى من الجن، ولذلك عندما صدر الأمر إلى من هو أعلى اشتمل على ما هو أدنى أي إلى الجن أيضاً ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠] لقد كان خلق آدم من الطين وتكوين إبليس من النار علّة للرفض ودخلت هنا كلمة (أنا) – ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ص:٧٦]

إن قضية الأنا كانت ولا زالت عبر التاريخ مشكلة لدى الأفراد والجماعات والأمم، وكانت سبباً في دمار وهلاك حضارات ولازالت، فعندما تتضخم (الأنا) ولا يصبح الإنسان يرى إلا نفسه وعندما تتورم (الأنا) عند الأمم، وتصبح النظرة شوفينية عليائية، عندها يبدأ الصراع حول من هو الأفضل من زاوية (الأنا)، عندها يصبح كل إنسان بقوله (أنا) – وتتصادم (الأنا)، وتبقى تتصادم حتى تصل (أنا) واحدة – وتقول (أنا ربكم الأعلى)، ومن هنا كان الخطاب القرآني في أغلبه بصيغة الجمع (يا أيها الناس) (يا أيها الذين آمنوا) (ولا تتولوا) (واركعوا)، وفي سورة الفاتحة وإن كان الإنسان يقرأ منفرداً إلا أنه يقرأ بصيغة الجماعة (إهدنا الصراط المستقيم) ولم يقل (اهدني) (إياك نعبد) ولم يقل (إياك أعبد) وهكذا لقد قال إبليس قولته ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١] ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحجر:٣٣]

شعر إبليس بما اقترفت يداه، وقاده آلية تفكيره، وأن هذا العصيان لأمر الله لن يكون بدون عقاب ومن هنا طلب المهلة والانتظار إلى يوم القيامة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص٧٩ :٨١]

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحجر٣٩ :٤٣]

لقد أراد إبليس أن يثبت لله تعالى أن هذا الإنسان الذي كرمه ليس جديراً بكل هذا التكريم، وهو أي إبليس سيتخذ كل وسيلة ممكنة لجعل أكثرهم غير شاكرين لربهم إلا عباد الله المخلصين.

أصبحت الصورة الآن واضحة، إبليس ومن معه من ذريته ومن يتبعهم من بني آدم، وآدم ومن معه من ذريته مستقبلاً ممن هم في المعسكر المقابل معسكر الإيمان في جانب، إنما المعركة الطويلة التي بدأت منذ خلق آدم ولن تنتهي إلا بانتهاء ذرية بني آدم، ومن هنا سنرى أن الله لم يترك آدم دونما توعية، في مراحله الأولى بعد الخلق – وفي مراحله الأخرى في الحياة الدنيا، حيث أرسلت الرسل تترى، منهجاً مستمراً بدأ بالإسلام المرحلة الأولى وانتهى برسالة الإسلام الخاتمة، بدأ بإسلام آدم ولن ينتهي إلاّ عندما يرث الله الأرض وما عليها.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء٦٢ :٦٥]

٣. طور التجربة

أمرَّ الله آدم أن يسكن الجنة، وخلق له حواء ليسكن إليها، ولعلّنا تشير بثقة إلاّ أن الجنة التي هيأها الله لآدم ليسكن فيها، هي غير الجنّة التي وعد الله عباده المتقين فيها، فجنة الخلد لن يكون فيها وسوسة من شيطان، ولا يستطيع أن يطأها، وقد توافرت في جنة آدم كل ما من شأنه أن يساعده على الحياة دونما تعب ولا نصب، وكان كل شيء فيها مباحاً باستثناء شجرة واحدة قال تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٥) ﴾ [البقرة:٣٥] ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩) ﴾ [الأعراف:١٩] وحذره من هذا العدو الذي رفض السجود له ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧) ﴾ [طه:١١٧]

أن منتهى العدل أن يتم التحذير من كارثة تحل، أو مشكلة تقع، أو حفره منصوبة، أو شرك مقام، أو لغم في الأرض، فعندما يقال لك أسلك هذا الطريق وعندما تصل إلى العلامة الفلانية، فإن هناك حقل ألغام إذ دخلته كانت نهايتك، فتصرّ عند الوصول إلى دخول حقل الألغام، فأنت بإرادتك قد قدت نفسك إلى الهلاك.

كان التحذير الإلهي واضحاً، وكان التدريب عملياً بالتجربة المعاشة قبل أن يهبطا إلى الأرض ولعّل ذلك يشبه تدريب الجيوش في ميادين التدريب على كل الاحتمالات التي يمكن أن تواجههم عند ملاقاة الأعداء، وخططهم وكيفية التغلب عليها، وميدان الرماية وبالذخيرة الحيّة – حتى يكون الإنسان على بينة من أمره وهذا عدل الله الذي لا يدانيه عدل.

٤. طور الوسوسة

أمامنا الآن مشهد واضح، إبليس مطرود من رحمة الله بسبب آدم الذي يتنعم في الجنة، وهناك تحذير لآدم من هذا العدو.

كانت هناك ثغرة رأى إبليس أنها هي المدخل لكي يباشر مهمته الأولى مع آدم عليه السلام في عصيانه أمر الله عز وجل هذه الثغرة (هي قضية الشجرة وارتباطها بمفهوم الخلود) –والإنسان وهو يسعى إلى الخلود يخشى من أمرين– إمّا أن يفارق هو النعمة أو أن تفارقه النعمة – فيحاول الإنسان الحفاظ عليها)

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه:١٢٠]

إذن كانت الوسوسة الأولى لآدم عليه السلام وهو الذي تلقى الله منه كلمات فتاب عليه، ولعلنا نشير هنا إلى قضية كثر الحديث حولها وهي أن سبب غواية آدم هي حواء ويتحدث العّوام، (رحمه الله أمنا حواء لولاها لبقينا في الجنة) ولعلّ هذا يخالف السياق القرآني

صحيح أن حواء هي – وحسب السياق القرآني لم تعترض على فعل آدم، ولكن البداية كان مع آدم، لأنه السبب الذي من أجله طرد إبليس من رحمة الله، واشتركت معه في الوسوسة ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف٢٠ :٢١]

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة:٣٦]

معلوم أن إبليس ليس في مقدوره أن يحقق رغبة آدم وزوجه، لأن الله هو القادر على ذلك، ولو أراد الله لهما الخلود لكان لهما ذلك – ولكنها الحجج

غير المنطقية وأحيانا غير العقلية، التي يسوقها إبليس وجنوده لبني آدم لإغوائه، لقد انطوت الحيلة على آدم فأكل من الشجرة.

٥. طور المعصية

لقد أكلا من الشجرة، فبدت لهما سوءاتهما وأسرعا يأخذان من أوراق الشجر ليخفياها، قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف:٢٢]

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه:١٢١]

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥]

هكذا كانت نتيجة المعصية. ولكن الله سبحانه وتعالى الذي خلق هذا المخلوق، وركب فيه من الطبائع، ما تميل إلى جهة الطاعة، أو المعصية، إلى الكفر أو الهداية، ركب فيه حب الشهوات، وركب فيه نسبية المعرفة والتذبذب والمواربة، والاعتماد والتوكل، والصدق واليقين والتسرع والضعف -وغيرها من الصفات المتقابلة حتى يكون إنساناً- يعطى حرية الإرادة والاختيار ويكرم بالفعل، ثم يوضح له المنهج ويحاسب عليه، فإما أن يستمر في طريق الغواية أو أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى.

٦. طور البرهان والتوبة

عرف آدم وحواء أن إبليس قد غرر بهما فشعرا بما اقترفا من إثم ومعصية وندما أشد الندم على فعلتهما، كان أن أمامهما الطاعة، واقترفا المعصية -وكان أمامهما الخير واقترفا الشر- وكان أمامهما الحلال واتجها إلى الحرام وكان

الخطاب من آدم وحواء لله سبحانه وتعالى ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣]

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧]

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه:١٢٢]

أنه عصيان الغفلة وعدم الاستكبار وعدم الاستمرار، إنها التوبة مفتاح التراجع كانت ولا تزال نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان المخلوق الضعيف، وإذا كان لابد للخطأ من عقوبة فإن العقوبة كانت في الطور الأخير من حياة آدم وحواء عليهما السلام.

٧. طور الهبوط

لقد انتهت مرحلة النعيم الخالص، وبدأت مرحلة النعيم والشقاء، التعب والراحة ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه١٢٣ : ١٢٤]

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف٢٤ :٢٥]

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨]

كان هذا الهبوط، بعد هذا الإعداد، وكانت هذه التجربة ليقوم بمهمة الخلافة، إن الإنسان المكلّف بهذه المهمة، المعدّ لها، من جهة تكوينه ومن جهة إعداد الأرض لتكون الحياة فيها سهلة ممّهدة، وليقوم بدور الأمانة والإعمار وفق منهج الله سبحانه وتعالى ليبدأ فصل جديد بعد آدم وحواء هو فصل ذرية

آدم وكيف عرض القرآن الكريم لقصة خلقهم، وكيف فصل في صفاتهم وطبائعهم.

خلق الإنسان في عالم الشهادة

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة٧ :٨]

لقد ذكر القرآن الكريم في كثير من الآيات خلق ذرية آدم عليه السلام وجاء علم الأجنة ليتطابق مع الحقائق العلمية في القرآن الكريم حول الخلق ومراحله.

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٩]

١. طور النطفة

قال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القيامة:٣٧]

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإنسان:٢]

﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [عبس:١٩]

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [المؤمنون:١٣]

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ [النحل:٤]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [فاطر:١١]

٢. طور العلقة

قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [غافر:٦٧]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج:٥]

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون:١٤]

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة:٣٨]

٣. طور تكوين المضغة:

يقول تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج:٥]

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

[المؤمنون:١٤]

٤. طور تكوين العظام:

العظام هي المرحلة التي تعي تكوين الكتل البدنية وتنهي هذه المرحلة بتحويل الكتل البدنية إلى عظام، ثم إلى عضلات تكسو العظام

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا﴾ [المؤمنون:١٤]

كما وردت في سورة البقرة (١٥٩) – والقيامة (٣، ٤)

٥. طور تكون اللحم:

اللحم هو المرحلة التي تلي تكوين العظام الغضروفية والغشائية ووصف اللحم هو أهم ما يميز هذه المرحلة من مراحل خلق ونمو الجنين قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون:١٤]

٦. طور التسوية:

وهي المرحلة التي تلي وضع الأسس لبناء جميع الأعضاء الداخلية لجسم الجنين – وقد جاء لفظ (التصوير) (والتسوية) في عدة آيات قرانية يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف:١١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار٦ :٨]

كما ذكرت في سورة التغابن (٣) والحشر (٢٤) وآل عمران (٦)، والقيامة (٣، ٤) وص ٧٢ والسجدة (٩).

وتحديد جنس الجنين يتحدد على ثلاث مستويات مستوى الغيب، وهو قدر الله تعالى في اللوح المحفوظ وهو في عالم الذر أي قبل مولد الإنسان.

مستوى الصبغيات وهو في الحيوان المنوي الذي يلتقي البويضة حسب ما فصلته كتب علم الأجنة ومستوى الأنسجة وهو في نهاية الأسبوع الرحمي العاشر.

وقد أفرد عالم الأجنّة الكندي (كيث مور) في كتابة علم الأجنة فصلاً بعنوان (علم الأجنة والإسلام) وربط بين قوله تعالى:

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس١٧ :١٩]

إن لفظ قدّرة –عمل كل الصفات الوراثية التي- ستظهر في الأجيال اللاحقة.

٧. مرحلة النفخ

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ [السجدة:٩]

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص:٧٢]

والروح نفخة آلهية اختص الله بها آدم وذرية من بعده

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم:١٢]

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء:٩١]

ولن نتطرق إلى معاني الروح الأخرى التي وردت في القرآن الكريم وتفعيلها وما يهمنا في بحثنا هو الجزء المتعلق بالإنسان والذي كرم به الإنسان.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ [السجدة٨ :٩]

أما عن حقيقة الروح فيأتي الجواب القاطع من الله سبحانه وتعالى

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥]

ولو كان هناك خيرا للوقوف على حقيقة الروح للإنسان لاطلع الله الإنسان عليها، أو أن هذا جزء من السر الذي يتحدى الله به البشر يبقى غيباً لا يستطيع أحد الوصول إليه.

والروح تغادر الإنسان في حالتين وضحهما الله سبحانه وتعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزُّمَر:٤٢].

فالحالة الأولى الموت، والحالة الثانية النوم وفي الحالة الأولى رجعة فيها أما الثانية ففيها الرجوع كما بينت الآيات إلى أجل مسمّى.

غائية الخلق

الغاية من الخلق

يضع الإنسان لنفسه أهدافاً من الخلق، وتتشعب الأهداف ويتعارض بها بنو البشر، والناس ينقسمون في أهدافهم بين أهداف دنيوية بحته، وبين أهداف دينية تحصر الدين في إطار الشعائر التعبدية، وتخلي مسؤولية الله سبحانه وتعالى عن مراقبته في شعاب الحياة، كما يحدث من فصل بين الدين والحياة، وبين انقطاع للعبادة دونما هدف من إعمار الأرض والقيام بشرط الخلافة والاستخلاف فيها هناك نص صغير في القرآن الكريم يحدد غائية الخلق يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات:٥٧]

إن الوظيفة التي تربط الإنسان بناموس الوجود هي العبادة لله أن يكون هناك رب وأن يكون هناك عبد، وهذا لا يتناقض مع حركة الإنسان في الكون، واكتشاف نواميسه، بل إن الآيات القرآنية توسع مفهوم العبادة، بعد تصحيح النية وموافقة شرع الله، لتشمل عمارة الأرض والقيام بالواجب تجاهها من كشف عن سنن الله فيها، وإعمال العقل في إسعاد البشرية، وأن يكون للحضارة غاية وهدف، وأن تكون السعادة بمفهومها الشامل هدفاً من الأهداف التي يسعى الإنسان لتحقيقها.

أن حرية الاختيار هي أصل لتكريم الإنسان، كما أنها عدل في إقامة الثواب والعقاب، أما الفطرة في أصلها، فهي سليمة في الارتباط مع عقيدة

التوحيد يقول تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ [الروم:٣٠] ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢) ﴾ [الأعراف:١٧٢]

لنقف هنا عند نقطتين الأولى مفهوم الفطرة ولعلّ أدق مفهوم لها (هو ميل الإنسان لتقبل الحق)، والحق هنا هو حقيقة الله وانعكاساته على سلوك الإنسان وعلاقتها به،

أما ظلال الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ...﴾ لكي نقرب المعنى – فلو أخذنا كمية من الحبر الأزرق تعادل ١/ ٢ جالون وغمسناها في برميل من الماء فسيكون لون الماء أزرق، وإذا زدنا كمية الماء بقيت الذرات فيه، وقد لا يظهر لونها وهكذا كلما زدنا كمية الماء، خف اللون ولكن بقيت الذرات، إنها في عالم الذر والغيب شهادة كتبها الله مرتبطة بالفطرة أن الله هو الخالق والرب الذي يعبد وإنحراف الفطرة عن مسارها أمر ممكن لأنه مرتبط بعد العقل وتمكنه بحرية الاختيار، ومن هنا تأتي مهمة الرسل تباعاً في تصحيح الانحراف الذي يصيب الفطرة ويرجعها إلى مسارها الصحيح.

لقد أصابت وسوسة الشيطان جانباً من حرية آدم في الطاعة والمعصية مزيّنة بالخلود وشهوة الاستمرار، ولكنها تدلنا على أن خطاب الله لآدم كان لبشر يتمتع بهذه الحرية المرتبطة بالاختيار والتكليف، ولذلك مارس آدم كامل حريته واستجاب للجانب المركب فيه من الشهوة، وهذا النموذج يمثل لما كان وسيكون عليه النموذج الإنساني منذ أن خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

إذن كان خلق الإنسان مختلفاً عن خلق الملائكة التي خلقت تكوينا للطاعة أما الإنسان فقد خلق تشريعاً للطاعة يقول تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ

﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾
[الإنسان٢ :٣]

إن الحرية صفة أساسية في خلق الإنسان، والله هو الذي وضع هذه الخاصية فيه، وأي سلب لهذه الحرية أو تقييد لها أو اعتداء عليها يمثل اعتداءً على جانب أساس في شخصية الإنسان والحديث في موضوع الحرية طويل، ولقد عرض القرآن الكريم لنماذج من الحوار حتى يتباين وجهة نظر الكافرين وعلى رأسهم فرعون، ومن قبله حجج إبليس في موضوع الهداية والضلال وبين القرآن أن حرية الاختيار تشريعاً لا تكويناً هي أساس في منهج الله في التعامل مع أخص خصائص الغائية من الخلق وهي توحيد الله وعبادته.

ولعلّ هذا أيضاً يقودنا إلى التذكير بأن إقامة الحجة مع البشر من خلال عرض منهج الله الذي جاء به الرسل عرضاً دون إكراه أو جبْر أو قسر أو قهر هو الأساس في القناعة لهذا المنهج، ومن هنا عندما كانت الفتوحات الإسلامية –وما أثير حولها من إجبار الناس بالسيف على دخول الإسلام- لم يكن هناك فهم دقيق لمجرياتها.

لقد كانت الفتوحات موجهة للطبقة المتألهة التي جثمت على صدور الناس ومنعتهم من التنفس بحرية، وكانت مقاومة هذه الطبقة شرسه للإسلام، وعندما أزيحت هذه الطبقة وعرض الإسلام على الناس تركوا وحرية اختيارهم وطبقت آية ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾، إذ لابد من عرض المنهج السليم وتبيان حقيقته وبعدها ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠]

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة:٩٢]

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ [هود:٥٧]

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات٥٤ :٥٥]

إن الذي يتولى حساب الناس، ويقرر أين سيكونوا في جنة أو نار هو الله سبحانه وتعالى والإنسان يمارس حريته في الاختيار بين الكفر والإيمان ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء:٨٤]

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ [المدثر٥٤ :٥٥]

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإنسان:٢٩]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير٢٧ :٢٨]

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال:٥٣]

إن المجالات التي تقع تحت حرية الإرادة الإنسانية كثيرة وأهمها اختيار المبدأ الذي يؤدي إلى تزكية النفس وإصلاحها ويعبر عنها القرآن الكريم باختيار وجه الله ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم:٣٨]، وإن ذلك يدخل لاحقاً في إطار ما يطلق عليه تزكية النفس وإعدادها للاستقامة على منهج الله، ومنها اختيار الزوج أو الزوجة واختيار استمرارية الحياة فيما بينهما، واختيار مبدأ الإعداد للجهاد والدفاع عن المنهج والأرض والمال والنفس، ومنها الاختيارات في المجالات

السلبية كاختيار طريق الشر والفجور، والفساد، والخداع، والخيانة والضلال والكفر والكيد والسوء.

ولتوضيح العلاقة بين إرادة الإنسان وإرادة الله فإن مشيئة الله سابقة لإرادة الإنسان، وإرادة الله تسمح للإنسان أن ينفذ إلى وجهته التي يريد.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران:١٤٥]

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود:١٥]

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء:١٨]

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى:٢٠]

إن العبادات تسير في نفس اتجاه الإرادة الحرة للإنسان، فالصلاة حرية التواصل مع الله فردياً ومع البشر جماعياً، والصوم حرية التواصل مع الله فردياً وحرية تقاسم حرمان الجسد مع سائر المحرومين - والزكاة حرية تشارك ثروة الله مع جميع عباده، فالملك والملكية والمال في الإسلام كلّه يتداوله البشر فيما بينهم متكافيئن متعاونين ومتكافلين.

والحج هو حرية التواصل مع سائر المسلمين، والالتزام بالأركان لا يستقيم إلا باعتباره التزاماً اختياريا وأداء سلوكياً.

وإيمان الإنسان بالله وعي الحرية الذاتية اللانهائية.

والإيمان برسوله وعي لكيفية تحقيق هذه الحرية بالطريقة الأقوم.

والإيمان بالملائكة إيمان بكائنات غير منظورة، وما هو منظور من الكون ليس بشيء مما هو غير منظور.

والإيمان بالرسل هو إيمان بحرية النظر والاعتبار لتجربة الإنسان التاريخية حرية الوعي الماضي للنظر للمستقبل.

والإيمان بالقضاء خيره وشره هو حرية وعي الإنسان لاحتمالات الخير والشر لينصرف إلى الأولى ويبتعد عن الثانية.

أن طاعة الناس لله هي طاعة في رحاب حريتهم، باقتناع لا بإكراه وهذه تؤدي إلى تطور العلاقة بين الإنسان والإنسان، لأن مجتمع المحبة هو مجتمع التعاون والتصادق والاستقامة والأمان والاستقرار هناك فهم لدى بعض المفسرين لقوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ البغوي وابن كثير جـ ٦ ص ٦٢ – إن المقصود بها هو الحرية وذلك أن جميع الكائنات اختاروا الطاعة المطلقة المرتبطة بالثواب بينما الإنسان وحده اختار الطاعة المرتبطة بالثواب والعقاب، أي بحرية الاختيار، أن طبيعة الإنسان عند ولادته هي طبيعة الفطرة –المرتبطة بقبول الحق– وهي في الأصل ليست فطرة أثيمة أي أنها تولد وعليها إثم الخطيئة، لأن الخطيئة التي اقترفها آدم هي خطيئة فرد وليست خطيئة الإنسان من حيث كونه إنسان، وعفو الله عن آدم يعني أن هذا هو المنهج الذي فضلّه الله للإنسان.

ولكن إرادة الإنسان أمام إرادة الله تبقى مقيدة أمام المطلق إذا تعارضت مع إرادة الله أما إذا لم تتعارض فإنها تبقى حرة في القصد والتنفيذ.

ففي الحالة الأولى نرى الله يشير إلى ذلك بقوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ التوبة:٣٢

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء:٧٠]

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾

[الحج:٢٢]

أما الهداية فهي حجة الله تعالى على خلقه يوم القيامة -لأن الهداية تقع تحت دائرة الحرية الإنسانية- وهي قرار إنساني ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه١٢٣ :١٢٤]

ونسبت الهداية إلى الإنسان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة:١٠٥]

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ ﴾ [يونس:١٠٨]

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الزُّمَر:٤١]

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧]

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩]

فالهداية مرتبطة بالإرادة والبحث والمجاهدة – وكان تيسيرها للإنسان (فلنيسرّه لليسرى) وإذا اختار الطرق الآخر (فسنيسره للعسرى)، ولعل إتباع رسل الله، والاعتصام بحبل الله، والإيمان، والجهاد وطاعة الرسل كلها مقدمات تؤدي إلى النتائج المطلوبة وهي الهداية.

أما الضلالة وهي الشق الآخر المرتبطة بحرية الإرادة فتأتي من موالاة الشيطان والإسراف والكذب والخيانة والظلم وعدم استخدام العقول في اتجاهها الصحيح والفسق.

ومن هنا كانت صفات الفئة الأولى في القرآن الكريم الفئة التي اهتدت بأنهم استجابوا لله، وزكوا أنفسهم، وهم حزب الله والفئة المنيبة, والمؤمنة، المفلحة، والعالمين، والمسلمين والمتقين والصادقين، وأصحاب اليمين، والفائزين، والمتوسمين وأولياء الرحمن، وعباد الرحمن، والموقنين، والصادقين، والمقربين والصالحين والمهتدين والمحسنين والعاقلين والصابرين وأولي الألباب والمتطهرين، والقانتين، وأولي الأبصار، والمستغفرين والشاكرين، والمتوكلين، والأبرار، والمقسطين، وأصحاب الجنة، وأهل الفقه، والراشدين والطيبين، والخاشعين والمخبتين والأوابين.

أما النوع الثاني وهم حزب الشيطان، والفئة المُدبرة والخراصون والكافرون والكاذبون والضالون والفاسقون والمنافقون والخاسرون والمستكبرون والفاجرون والجاهلون، وأولياء الشيطان والمسرفون، والمجرمون والمدبرون، وأصحاب الشمال، والغاوون وجنود إبليس والمجرمون والمفسدون، والسفهاء والمشركون، والمعتدون، والمفترون، والماكرون، والجاحدون وأصحاب السعير، والغافلون، وأصحاب النار، والساهون والطاغون والخبيثون والمرتابون والمبلسون والكالحون وكما ذكرنا فإن العلاقة التبادلية بين النفس الإنسانية يمكن أن تتغير، فالنفس الأولى يمكن أن تتحول إلى الثانية والعكس يمكن أن يحدث، وباب التوبة مفتوح للإنسان مادام في هذه الحياة الدنيا.

أن مشيئة الإنسان في الهداية والعبادة ومشيئته في الكسب ومشيئته في الحياة الزوجية ومشيئته في الطعام ومشيئته في التصرف بالأموال والعمل والاختيار كلها واردة، أي أن دائرة المشيئة تشمل أساسيات الإنسان التي من خلالها يؤدي دوره في الحياة، فهو يتزوج، ويأكل، ويعمل، ويهتدي ويعبد، ويتصرف بنتاج عمله، حتى تستقيم حياته على ظهر هذه الأرض.

إن الإنسان الذي اختار طريق الهداية ينعكس هذا المنهج وهذا الاختيار على سلوكه ومن هذه الانعكاسات والصفات التراحم، والإنابة، وإتباع الحق، وعدم تقديم الرأي على حكم الله، موالاة المؤمنين، عدم الخوف من الأعداء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وعدم موالاة الكافرين والأيثار والتناجي بالبر، وعدم الارتياب والشك، والتحقق قبل إصدار الأحكام، الوفاء بالعهد، والصبر ابتغاء مرضات الله تعالى والوفاء بالعهد والاستجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى والصبر ابتغاء مرضات الله، والسكينة والطمأنينة، والإنفاق في سبيل الله والتوكل على الله والتواضع والترفع عن الرد على السفهاء, والدعاء الدائم إلى الله بالنجاة من العذاب، والاعتدال بالإنفاق، واجتناب الشرك بالله تعالى، عدم شهادة الزور، والتفكر والاعتبار بآيات الله سبحانه وتعالى، والدعاء إلى الله بالذرية الصالحة والقيام بالعبادات كما أمر الله والإيمان بالغيب والمسارعة في فعل الخيرات واجتناب الكبائر والآثام، وقد وردت هذه الصفات في آيات كتاب الله العزيز، أما الذين اختاروا طريق الباطل والضلال، فلهم ممارساتهم الاعتقادية والسلوكية ومنها:

إتباع الباطل، وإتباع الهوى، الإجرام، الاعتراض على الله سبحانه وتعالى، الإعراض عن الحق، الإفساد في الأرض البخل، الترف، التفرقة والاختلاف، التكبر، الجهل، حب الدنيا، الذل، السخرية بدين الله، الضلال، الطغيان، العداوة للمؤمنين، العناد في الباطل، الغرور، الغفلة عن الحق، الفجور، الفسق كتمان العلم التكذيب لآيات الله، الكيد للمؤمنين، معصية الله ورسوله، المكر بالمؤمنين، نقض العهود، نكران النعم، النميمة، البغض للمؤمنين، التذبذب وفق مصالحهم، التظاهر بالإيمان، الرياء، الشماتة بالمؤمنين، الغيظ على المؤمنين الكسل عند القيام بالعبادات، مرض القلب،

ابتغاء الفتنة، الأمر بالمنكر، تحكيم غير شرع الله، التخلف عن الجماعة، التخلف عن الجهاد، حلف اليمين الكاذبة، موالاة الكافرين، وهؤلاء وصفهم القرآن الكريم بأنهم أكثر الناس - فأكثرهم لا يؤمنون، ولا يعقلون وفاسقون، ولا يعلمون، وللحق كارهون، وكافرون، وغافلون ومشركون، ولا يشكرون، ويجهلون، ويتبعون الظن، ومعرضون وضالون. وهذا يدعونا إلى التفكير في كلمة (أكثر) في القرآن الكريم ودلالاتها. وهكذا يتأكد لنا أن غائية الخلق مرتبطة بعبادة الله سبحانه وتعالى، وأن مفتاحها هو حرية الاختيار.

الإنسان والفطرة

تفاوتت آراء الفلاسفة والعلماء في موضوع الفطرة منذ القديم فقد رأى سقراط مثلاً أن الناس جميعاً أخيار بالطبع ثم يصيرون أشراراً بمجالسة أهل الشر والميل إلى الشهوات الرديئة، ولعلّ السؤال الذي يطرح نفسه إذا كان الناس جميعاً أخياراً بالطبع فمن هم الأشرار الذي يجالسونهم ومن أين جاءوهم أليسوا منهم فإذا كانوا منهم فالحكم على الجميع بأنهم أخيار مجانب للسداد، وإن كانوا أخياراً بالطبع فكيف يميلون إلى الشرور والشهوات الرديئة فميلهم إلى الشر مؤذن بأن فيهم استعداداً للشر وإذا فهم ليسوا أخياراً بطبعهم.

يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم:٢٢]

والألوان هي الضروب والأصناف فكما أن الناس فيهم الأبيض والأسود والمتوسط بين اللونين وفيهم القوي والضعيف، والطويل والقصير والدميم والوسيم والذكي والغبّي، ومن حلقّت أخلاقه في سماء الكمال ومن هبطت سجاياه في هوة الانحلال، ومنهم ذوو القلوب النقية والشيم المرضية، ومنهم أصحاب العقائد السليمة والأفعال الكريمة وأولوا العقائد السقيمة والأفعال الذميمة، فالناس ليسوا خيرين فقط، أو شريرين فقط، بل خلق النوعين على افتراق وامتزاج والصنفين على استقلال واتحاد – وكل يميل إلى نوعه ويطمئن إلى صنفه، وفي حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم- (الأرواح جنود مجنّدة،

ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)، فالخير يحب الأخيار ويميل إليهم والشرير يحب الأشرار ويميل إليهم.

ولو كان الناس أخياراً بالطبع ما عرف الشر، وما امتلأت الدنيا بالأشرار، بل كانت مقاماً كريماً، وجنّة ونعيماً – فإذا كان الناس أخياراً بالطبع وانتقلوا إلى الشر بالتعليم فمن علمّهم فإذا كان غيرهم علمّهم فهو شرير بطبعه، إذن ليس كل الناس أخياراً بالطبع – وإن كانوا تعلموا الشر من أنفسهم، فهم أميل إليه، وإن كان عنصر الشر أطغى من عنصر الخير، مالوا إلى الشر والأشرار.

ومنهم أي الفلاسفة كأفلاطون من قالوا إن الناس مطبوعين على الشر - وإنما يصيرون أخياراً بالتأديب والتعليم، إلا أن فيهم من هو في غاية الشر لا يصلحه التأديب، ومنهم ليس في غاية الشر، فيمكن أن ينتقل من الشر إلى الخير بالتأديب من الصبا وبمجالسة الأخيار وأهل الفضل.

إن الطبع هو ما ركبَّ في الإنسان و خلق عليه من الأخلاق التي لا يزايلها من الخير والشر، فمن يحاول أن يغير الطباع يحاول أن يغير خصائص الأشياء التي كونّها الله عليه، إن الذي يستطيع أن يغير طبيعة الأشياء هو من أعطاه الخاصية فقط، فهو الذي يسلب من النار احتراقها – وأبقى فيها إشراقها، والإنسان إذا تناهى في الاعتقاد بالباطل واتبع هواه غير ملتفت إلى حق أو رأي واستحسن المعاصي فكان كمن طبع الله على عقله وقلبه، ودخل في الغفلة والبعد عن المنهج، وأصبح بينه وبين الحق ستار وحجاب ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤] وفي حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجاديب استلت الماء فنصح الله بها الناس

فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب مثلها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء صولا تنبت كلأ).

إن النوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميّتاً وينبت الكلأ فينتفع به الإنسان والحيوان.

وكذلك النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا به قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينفع وينتفع.

والنوع الثاني من الأرض ما لا يقبل الانتفاع في نفسه لكن فيه فائدة وهي إمساك لغيره فينتفع به الناس والدواب وهؤلاء من يحفظون العلم ولكن ليس لديهم اجتهاد في الطاعة فهؤلاء نفعوا غيرهم ولم ينتفعوا هم، وهؤلاء كمثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه. أما النوع الثالث فهي القيعان التي لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها.

وذلك مثل الشرير الذي لا يحوله عن طبعه علم ولا تعليم ولا وعظ ولا تبشير ولا تحذير فليس له قلب حافظ ولا فهم واعٍ، فإذا سمع العلم لا ينتفع به ولا يحفظه لنفع غيره. فإذا كان كل الناس أشراراً بالطبع وينتقلون إلى الخير بالتعليم فمن علمّهم – فإن كان غيرهم علمّهم فهو خير بطبيعته وعلى ذلك ليس كل الناس أشراراً بالطبع وإن كان فيهم مع هذا الميل ميل آخر إلى الشر إلا أن الأول غالب يكونوا أخياراً بالطبع.

أما رأي كانت الألماني وآخرين فإن الطفل منذ ولادته إلى سن محدودة ليس له حياة أدبية فلا تنتسب فطرته إلى الخير ولا إلى الشر لأنه لا يعقل ما يفعل فهم لا ينكرون الوساطة بين الخير والشر.

إن الأطفال ليسوا في قبول الأخلاق على نمط واحد، وهناك فرق بين المؤاخذة على العمل، والعمل نفسه، فإن المؤاخذة منوطة بالعقل وجداً وفقداً،

والعمل ينظر إليه بحسب ما يترتب عليه وكون الطفل لا يعقل ما يفعل لا يمنع أيضاً أن فيه استعداداً للخير والشر على حد سواء، أو ميلا لأحدهما أو طبعا عليه.

أن وصول النفس نهايتها في الشر واستفحال أمره وعدم الاستعداد لقبول الخير، إنما يكون في الأمم التي لا تقبل الخير فرادى أو جماعات وفي سورة هود خطاب إلى نوح عليه السلام ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود:٣٦]

ولذلك عندما دعا عليهم كان متأكداً من واقعهم ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح٢٦ :٢٧]. هذا الخطاب مختلف تماماً عن جواب نبي الرحمة (محمد) –صلى الله عليه وسلم– عندما رجع من الطائف وأذاه قومه واستعد ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين فقال (إنما أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله سبحانه وتعالى).

هناك قصص في القرآن الكريم تشير إلى أن النفس مهما تم إعطائها من الحجج والتوسلات أو البراهين ستبقى كما هي. فابن نوح عليه السلام لم تنفع توسلات أبيه لكي ينقذ نفسه من الغرق، وبقى مصراً على موقفه إلى أن قال له الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود:٤٦] والغلام الذي قتله الخضر عليه السلام أثناء مرافقته لموسى عليه السلام فإنه يعلم بعلم الله أنه سيرهق والديه طغيانا وكفراً، أما يحيى عليه السلام فقد كان نقياً وأتاه الله الحكم صبياً، وبشر الله إبراهيم عليه السلام بإسحق نبياً، وعيسى منذ ولادته (كان مباركاً).

وهناك رأي جالينوس أن من الناس من هو خير بالطبع وهم قليلون وليس ينتقل هؤلاء إلى الشر، ومنهم من هو متوسط بين هؤلاء، وهؤلاء

ينتقلون بمصاحبة الأخيار ومواعظهم إلى الخير، وقد ينتقلون بمخالطة أهل الشر وإغوائهم إلى الشر، وهذا رأي فيه من المعقولية الشيء الكثير وسيتضح أكثر عند مناقشتنا لرأي الإسلام في موضوع الفطرة.

أما فلاسفة الشرق فقد تباينت أيضاً آراؤهم في موضوع الفطرة فمنهم من قال أن في الفطرة استعداداً لقبول ما يطرأ عليها من خيْرا وشر وكلما قربت من أحدهما بعدت من الآخر قال بذلك الغزالي وابن خلدون والراغب الأصفهاني اعتماداً على قوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣] وقوله تعالى ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد:١٠] أي بينا له طريق الخير وطريق الشر، وفي ذلك يقول الغزالي اعتمادا على حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصرّانه أو يمجسانه، أي بالاعتبار والألفة تكتسب الرذائل وكما أن البدن لا يخلق كاملاً إنما يقوى بالنشوء والتربية وبالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وتكتمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم والصبي أمانة عند والديه، وقلبه جوهرة نفيسة غالية وهو قابل لما ينقش عليها. والصبي إنما تحفظ أخلاقه بحسن التأديب وكذلك ابن خلدون فقد قال أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى، كانت منهية لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير وشرّ، وبقدر ما ثبت لها من أحد الخلقين بعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخبر إذا سبقت إلى نفسه عادات الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه، وكذا صاحب الشر إذا سبقت إليه أيضاً عاداته.

وقد ركز ابن خلدون على حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- (كل مولود يولد على الفطرة...) ويقول إن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد إليها وينطبع فيها من خير أو شر، وبقدر ما ثبت لها من أحد الخلقين ابتعدت عن الآخر،

ويقول الشيخ محمد عبده أن فعل الخير يرتاح إليه الإنسان ويراه بعين الرضا وأما الشر فإنه يعرض نفسه لأسباب ليست من طبيعتها ولا من مقتضى فطرتها. ولكن الأنفس ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء:١٢٨] - ولكن ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦]. وقد وصف الله سبحانه وتعالى غير المؤمنين بأنهم ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب:١٩]

أي يمنعون المعونة عن المؤمنين إن القول بأن الإنسان أقرب إلى الخير قول فيه نظر والقرآن الكريم يتحدث ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾ [الأنعام:١١٦] ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف:١٠٣] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر:٤٥] والله عندما احتجت الملائكة بأن الناس سيفسدون في الأرض قال لهم ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي سيكون منهم المفسد والمصلح.

وعندما عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال أبين أن يحملها واشفقن منها ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢].

أن ضخامة الأمانة وضخامة التكليف والعلم بمقتضياتها جعلت الأجرام السماوية تأبى حملها، أما الإنسان فقد وجد الله فيه الاستعداد الفطري لجانبي الخير والشر، وفيه القوى المتنازعة والقوة العاقلة فهذه القوى في تصارع دائم، وأيهما تغلب كانت أخلاقه وسلوكياته وتصرفاته وأعماله.

أن الأمانة وهي التكاليف هي النبراس الذي أضاء للإنسان ما يعمل وما لا يعمل، ما يرضى وما يغضب، وهي أمانة الوسع واليسر والأخذ بسعادة الدارين.

أما الإمام علي بن أبي طالب فيرى أن الناس يختلفون في جبلتهم اختلاف معادن الأرض، فقطعة خصبه، وأخرى سبخه وجدبه، وبينهما مراتب لا تحد ولا تعدّ حيث يقول (أنما فرّق بينهم مبادئ طينهم -أي عناصر تكوينهم وذلك أنهم كانوا فِلْقةً من سبخ أرض وعذبها، وحزْنْ تربة وسهلها ، فهم على حساب قرب أرضهم يتقاربون، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون، فتآم الرواء ناقص العقل، ومادُّ القامة قصير الهمَّة، وزاكى العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السبر، ومعروف الضريبة، منكر الحليبه، وتائه القلب متفرق اللب، وطليق اللسان - جديد الجنان) والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول (إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض - فجاء بنو أدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحَزن الطيب والخبيث وبين ذلك...) فمن الناس من طبع على الخير، ومنهم من طبع على الشر، ومنهم من جبل على الأمرين وهو إلى الخير أميل، ومهم من جبل على الأمرين وهو إلى الشر ألصق ومنهم من عنده الأمران مستويان.

والإنسان قبل أن يولد يقدر عمله ورزقه، وأجله، وسعادته وشقاوته والسعادة أو الشقاوة منوطة بالعمل الذي ييسر له، فمن كتبت له السعادة هيئت له أسبابها، ويسّرت له الأعمال التي تؤهله لها ومن قدرت له الشقاوة هيئت له وسائلها، وجمحت به آماله فقبحت أعماله - وساء حاله ومآله.

ففي الحديث المتفق عليه يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- (أن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفه، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون نطفة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً، ويؤمر بأربع كلمات ويقال له (اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح،

فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الاذّراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة..).

وقوله أيضاً في حديث طويل (اعملوا فكل ميسّر لما خلق له – أما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فيصير لعمل أهل الشقاء، ثم قرأ قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ «الليل٥ :١٠». واليسرى الجنة، والعسرى النار.

إن الله يضع عقوبته في موضع لا تصح إلا فيه ويضع كرامته في موضع لا تصح إلا فيه والآية شملت ثلاثة أمور: الإعطاء، والتقوى، والتصديق.

ولكن ما هو موقع القضاء والقدر في أفعال العباد، هذا الأمر له بحث في غير هذا المكان وهو أمر يطول الشرح فيه، ولكن نقول أن القدر علم الله تعالى بما سيكون عليه أفعال العباد في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة أرادها، لأنه هو الذي خلق هذا الإنسان من نطفة أمشاج يبتليه، والقضاء هو إيجاد هذه الأفعال وخلقها على حسب علم الله وإرادته السابقة خيرا كانت تلك الأفعال أم شرا. فالقدر علم سابق، والقضاء إيجاد لاحق أحدهما بمنزلة الأساس والثاني بمرحلة البناء.

والإنسان وما يصاب منه ثابت في علم الله قبل وجوده وقبل مصابه والأمر بهذه الكيفية ينعكس على الإنسان، فإذا أصابه أمر أو أخطاه لا يحزن على ما لم يدركه من خير، ولا يفرح فرحاً يسلّمه إلى البطر والإعجاب، فالقدْر والمنح هو لحكمة إلهية سامية فالمنع لمصلحة والمنح لمصلحة. والمؤمن بذلك يعيش عيشة مستقرة في إطار من الرضا ونطاق من الحب وشعار من التعاون

وبذلك تتهيأ الفرصة للعقل الرشيد والفكر السديد والرأي السليم والخلق العظيم والفعل القويم وبذلك تتقن الأعمال وتتحقق الآمال ويهنأ العباد وترقى البلاد.

والمؤمن بأن كل شيء بقدر، وأن كل مقدور لا مفرّ منه، وأن الرذيلة لا تقدم، والفضيلة لا تؤخر، فلا الأولى تزيد رزقاً، ولا الآخرة تمنع خيراً، بل الأولى شرفي نفسها، والآخرة خير في ذاتها المؤمن الذي يعتقد ذلك يؤثر بلا ريب الفضيلة على الرذيلة فيتخذ من معركة الحياة السبيل الأمثل والخلق الأفضل ويتسلح بالعتاد الأكمل فالمؤمن ينبغي أن لا يكون إلا كريما، وشجاعاً.

إن هذه العقيدة، عقيدة قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]

وقوله تعالى في سورة التوبة ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١] هذه العقيدة عندما تمكنت في نفوس المؤمنين استطاعوا أن يفعلوا ما حار في تفسيره المؤرخون والمحللون في فترة زمنية قصيرة استطاعوا أن يهزموا فيها أعتى قوتين في ذلك الوقت الروم والأكاسرة، أن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطئه ما كان يمكن أن يصيبه.

هناك سعيد، وأقل سعادة، وأسعد، وشقي، وأقل شقاوة وأشقى، وبعبارة أخرى هناك أسعد وأشقى ومترجح بين السعادة والشقاوة، فالأسعدون هم المفطورون على الخير والأشقون هم المجبولون على الشر، والمترجحون بين السعادة والشقاوة هم المترددون بين الخير والشر.

فالمفطورون على الخير هم قويوا اليقين، رفيعو الإيمان إلى مستوى ليس للشيطان عليهم فيه سلطان، فلا يفكرون إلا في الخير، ولا يعملون إلا إياه، حباً

في الله وابتغاء رضوانه، وهنا لا يشعر الإنسان أن في عمل الخير كلفه، وهم المذكورون في قوله تعالى ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ:١٣]

والشكر مصدره ثلاثة، القلب باستحضار النعمة واللسان بالثناء على المنعم والجوارح بقيامها بواجب المنعم – وقد جاء في حق إبراهيم عليه السلام ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ [النحل:١٢١]

وفي حق نوح ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء:٣]

والرسول –صلى الله عليه وسلم– كان يقول (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً). وعندما نقرأ قوله تعالى وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر١ :٣] نجد أن الناس نوعان نوع خير، يتواصى بالحق والصبر ونوع شرير خاسر مبتعد عن ذلك المنهج – أي أن هناك فريقان في الحياة، فريق رابح، وفريق خاسر فالفريق الرابح له قوتان قوة العلم، وقوة العمل، وله حالتان حالة يأمر فيها غيره، وحالة يأتمر فيها بأمر غيره، وقوة العلم تعتمد على علم بالحق، وعلم بالصبر الواجب، والصبر أنواع صبر على الشدائد وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية. ولعلنا إذا استرسلنا في الحديث عن مراتب الخيرين ومراتب الشريرين وجدنا أنفسنا في بحر من التفاصيل، نذكر منها على سبيل الإجمال ما ورد في سورة التين لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين:٦]. وفي سورة الواقعة عندما تم التقسيم بين ثلاث مراتب طبقة المقربين، وطبقة أصحاب اليمين، وطبقة المكذبين) فالمقربون روح، وريحان، وجنة نعيم، وأما أصحاب اليمين فلهم السلامة، وأما المكذبين فلهم نُزل من حميم وتصلية جحيم.

أما الطرف الآخر فهم الشريرون، وهم الطرف المقابل للمصطفين الأخيار ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية:٢٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة:٧].

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [فصلت:٥].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد٢٣ :٢٤].

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦].

ولما كانوا لا يفرقّون بين النافع والضار كانوا أضلّ من الأنعام.

قال تعالى في سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

وفي سورة الأنعام ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام٢٧ :٢٨].

أما الصنف الثالث فهم المترجحون بين الخير والشر، والخير غالب وهو سابق في الخيرات، ومترجح بين الخير والشر والشر قاهر وهو ظالم لنفسه ومترجم بين الخير والشر على حد سواء وهو المقتصد تقرأ ذلك في قوله تعالى فاطر ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ جَنَّٰتُ

عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر٣٢ :٣٥]

فالطاعة هو من رجحت سيئاته، والسابق هو من رجحت حسناته والمقتصد هو من استوت حسناته وسيئاته والطاعة ظاهرة خير من باطنه والمقتصد ظاهره وباطنه سواء، ولا سابق باطن خير في ظاهره.

قد يتحول المرء من غلبة الشر عليه إلى الاقتصاد أو إلى غلبة الخير، وقد يعكس الأمر فيتحول من غلبة الخير إلى الاقتصاد، أو إلى غلبة الشر.

كما قد يؤمن الكافر، ويكفر المؤمن، والعبرة بالخاتمة كما وضح ذلك حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم- (أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها الأذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة).

وقيل في فطرة الإنسان، أن كل إنسان فطر على معرفة بأن الله رب كل شيء وخالقه، وذلك منذ أن خرج من صلب آدم ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾ [الأعراف:١٧٢] ومعرفة الله أمر مركوز في الفكرة يعرف ذلك المؤمنون والمشركون ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان:٢٥] إن المركوز في الفطرة يتعلق بالاعتراف بالله، ويجتمع فيه الشقي والسعيد ومعناها أيضاً الولادة على نوع من الجبلّه والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر عليها - وكل مولود يولد مهياً للإسلام، ولعلّ الفطرة في تعريفها أنها (ميل الإنسان واستعداده لقبول الحق) وأعظم حق هو أن يعرف

الإنسان أن له ربّ، ولعلّ الطفل دون التكليف يبقى حكمه حكم الفطرة، قبل أن يبلغ ويجري عليه التكليف، والاستعداد للشيء هو غير مباشرة الشيء نفسه، وفي تعريف آخر للفطرة أنها (إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة مترشّحه لفعل من الأفعال)، أنها الحالة التي قدرها الله للإنسان، وأمر الملك بكتابتها قبل الولادة من السعادة والشقاوة، وفي خطبة للإمام علي يقول فيها (وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها)، وهو اشتقاق من حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- المتعلق بالفطرة.

إن الفطرة في الإنسان، قابلة لاستقبال الحق، وقابلة ومستعدة لاستقبال هدى الله، والانحراف عن المنهج، هو انحراف عن الفطرة السليمة، ولعلّ الشقاء وعدم الشعور بالرضا والسعادة الذي يصيب كثيراً من الناس، مع توافر أسباب السعادة الظاهرية لله، هو دليل على أن الانحراف عن الفطرة السليمة هو شقاء، والاستقامة على الفطرة وهي معرفة الله وقبول الحق هي الطريق الموصل إلى السعادة وفعل الخير.

أننا أمام خلق سوّي مهّيأ للاستقبال والتمييز ومعرفته ليست توقيفية كما قالت الملائكة ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٣٢)﴾ «البقرة:٣٢». وإنما استنباطية وقياسية وقابلة وتابعة وملهمة وذكية وقادرة.

هذا الإنسان فيه كل الصفات التي جمعت لأن في الأرض من حيوانات ولكنه أرقى منها بالعقل، والطفل غير المميّز، والصغير الذي لم يبلغ الحلم ولم يجر عليه تكليف ثابت أنه لا يجري عليه حساب. وهكذا تبدو مسؤولية أصحاب المنهج في تهيئة المناخ الطيب والحضن الملائم لهذا الطفل، رجل المستقبل، وهنا تبدو مسؤولية هذه الأمة إزاء الأمم الأخرى في قضية التكليف ومن ثم في قضية البلاغ، والشهود الحضاري، والنفير الحضاري، في إطار مهمة الاستخلاف الذي هُيأ لها الكون بما فيها الأرض وهيأ لها الإنسان بمكوناته

وصفاته واستعداداته وغرائزه وإمكاناته.، من هنا تبدو قضية الفطرة واضحة، في الاستعداد لقبول الحق، وأنها عندما تقبل الحق تستقيم مع نفسها وعندما تبتعد عن الحق إنما تتصادم مع نفسها، فالنار أصلاً لم تعد إلا للكافرين ولم تعد للمؤمنين والموحدين وأصحاب المنهج السليم، وهكذا تبدو أهمية دفع الناس في تجاه فطرتهم السليمة بتعريفهم بمنهج الله وتلك مسؤولية الأمة الشاهدة، والرسالة الخاتمة.

الإنسان والاستخلاف

إن البحث في حياة الإنسان من جوانبها المختلفة لتحديد ما ينبغي أن تجري عليه تلك الحياة من أنماط تحقق له الخير والسعادة لا يكون بحثاً موفياً بالغرض -محققاً للهدف- إذا لم يتأسس على تصور مبدئي لمهمة الإنسان والغرض من وجوده -لا يصحّ إن لم تكن مندرجة ضمن خطة تنتهي بهدف نهائي للوجود الإنساني يجعلها في سياق موحد لتحقيق هدف نهائي حتى لا يكون هناك الاضطراب والشتات والعبثية.

وطبيعة الهدف الذي يوضّح غاية لوجود الإنسان هي التي تكون محددة لمدى ما تكون عليه تصاريفه لحياته من تآلف، وما تتصف به من رشد فإذا كان الهدف بعيداً حشدت الطاقات، وجمعت القوى في سبيل الوصول إليه، وإذا كان قريباً صرفت أجزاء من الطاقات والقوى فيما يناقض تلك الأجزاء المحشودة لبلوغه، فهناك لاشك فرق بين من يصنع هدفاً لحياته، لما بعد الحياة على ما أنجز من عمران وما حقق من خير، ومن وضع هدفاً لحياته لذة يهدمها الموت، فالأول يعاير كل نشاط له بمعيار ذلك الحساب، ليفوز في ذلك الحساب.

وما نراه اليوم من حياة كثير من البشر، ومن اهتمامات كثير من الدول يتناغم مع الهدف الثاني القصير، متناسين ذلك الهدف الكبير الذي خلق الإنسان من أجله.

على أن تعيين الهدف السديد هو واحده من المشاكل يتلوها اختطاط المنهج السليم لتحقيق ذلك الهدف وتنزيل ذلك على واقع الإنسان، وقد جاءت

الشريعة الإلهية السماوية ضمانا في تحقيق هذا الهدف، وجاء الإسلام ليكون الخلاصة لذلك الدين الممتد عبر مسيرة الأنبياء والرسل، ولكن هذا الإرشاد الإلهي الخاتم الذي جاء يبصر الإنسان بغاية وجوده، كما يبصره بمنهج الاستخلاف المؤدي إلى تلك الغاية لم يكن ليعفي الإنسان عن سعي ذاتي تمثل ذلك الإرشاد وتضعه موضع التنفيذ، وأصبح الإنسان مطالباً بأن ينجز بعقله ما يساعده على تفهم هذا الخطاب وتنزيله على مستوى الواقع.

إن الإعلان الإلهي عن خلق الكائن الجديد (الإنسان) جاء مرفوقاً ببيان المهمة التي أنيط بعهدته الاضطلاع بها وذلك في قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة:٣٠]

﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم﴾ [الأنعام:١٦٥] ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا (٣٩)﴾ [فاطر:٣٩]

﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون (٦٩)﴾ [الأعراف:٦٩]

﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (١٢٩)﴾ [الأعراف:١٢٩]

﴿ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون (٦٢)﴾ [النمل:٦٢]

ومسألة الاستخلاف تبدو من خلال هذه الآيات مرتبطة بالخيط الطويل العادل من طرفيه (العمل والإبداع) (ومجانبة الفساد في الأرض من جهة) وتلقى القيم والتعاليم والشرائع عن الله سبحانه وتعالى والالتزام الجاد بها من خلال ممارسة الجهد البشري في العالم من جهة أخرى.

والعلاقة بين هذين الطرفين علاقة أساسية متبادلة بحيث أن افتقاد أي منهما سيؤول إلى الخراب والضياع في الدنيا والآخرة ويقود إلى عملية استبدال

للجماعة البشرية بغيرها ممن تقدر على الإمساك بالخيط من طرفيه العمل والتلقي ثم التوجه لهذا العمل في المسلك الصحيح، ولن يكون بمقدور المسلم تنفيذ مهمته الاستخلافية ومنحها الضمانات الكافية وإعانتها على تحقيق أهدافها ما لم يضع خطواته على البداية الصحيحة للتحضر من أجل الكشف عن سنن العالم والطبيعة ونواميس الكون القريبة من أجل الإفادة من طاقتها المذخورة وتحقيق قدر أكبر من الوفاق بين الإنسان والكون.

أن مهمة الخلافة للإنسان أو الاستخلاف في الأرض تعني تنفيذ مراد الله في الأرض وإجراء أحكامه فيها، والاستخلاف هو قرب أكثر من المستخلف ليحقق معنى الاستخلاف على الوجه الأكمل وذلك بالعمل الدائم والكدح المستديم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق:٦]

وإن تكامل الإنسان وترقيه لاقترابه من الله لا يكون إلا عبر منهاج العبادة ولذلك قال الله تعالى في بيان قطعي ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦] ومعناها إسلام النفس في كل ما يفعل الإنسان ويذر لما يريده الله ويرضه عبر الالتزام الكلي بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه. وإذا أخذنا العبادة بمفهومها الشامل فهي تعني أيضاً حركة الإنسان على الأرض ضمن منهج الله وصحة النية فيصبح كل فعل مادي أو تكليف تعبدي، عبادة، ومن هنا فصلت الآيات والأحاديث كثيراً في الربط بين المفهومين (العمل المادي، والعبادة) لتحقيق شرط الاستخلاف المرتبط بعمارة الأرض.

إن الاعتراف بالعبودية لله سبحانه وتعالى هو شرط استقامة الاستخلاف. والعبودية هي أعلى درجات القرب من الله سبحانه وتعالى –ولذا استعمل القرآن الكريم هذا اللفظ في أفضل درجات التكريم عندما تحدث عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– في الإسراء ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء:١]

وإن ممارسة الخلافة في الأرض على سبيل تنمية الذات الإنسانية وتكميلها بمنهاج العبادة يقتضي التعامل مع هذه الأرض بما يدفع بالإنسان إلى اتخاذها طريقاً لتعظيم الله وإكباره والخضوع له والسعي في محبة ونوال رضاه، والإنسان من حيث تركيبه وضع في قمة الكون، وكرمه الله بنفخه فيه من روحه ليكون قادراً على التلقي للأمر الإلهي وتنفيذه في واقع الأرض، والإنسان هو الذي حمل أمانة التكليف ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢]. واشترك التكليف مع الأمانة في أربعة عناصر الإيداع، والمحافظة على المودع وأداؤه على وجهه، ومعالجة النفس بالإرادة الحرة، والأمانة يختار لها الكائن الرفيع المتمتع بصفات الفضيلة والقوة.

والتكليف هو إنجاز الخلافة في الأرض – مهمة لتستغرق الحياة كلها، ويسأل الإنسان عنها في الحياة الأخرى أن كل مكونات المنهج المتكامل تؤدي إلى ما يسمى بالنفير الحضاري وهو النفير الذي يعتبر سنة كونية وفي ظل المنهج الرباني له أبعاده النفسية والفكرية والعملية التي تؤدي إلى الوعي الاستعلائي والوعي الإيماني والوعي الحضاري والوعي الخلافي بشقيه المادي والروحي والوعي الرسالي ووعي بمفهوم الشهادة على الناس.

إن التكليف على أساس من حرية الإرادة هو السبيل الوحيد إلى الترقّي والاكتمال في منهج العبودية، ففرصة الاختيار بين أتباع الهوى والخلود إلى نوازع الهبوط، وبين إتباع الأمر الإلهي والتسامي إلى الأفق الأعلى هي التي تمكن الإنسان من مغالبة الهوى لتحقيق التسامي في ضرب من الجهاد النفسي الذي يؤدي إلى الترقي والاكتمال عبر التعامل والتفاعل مع الكون آخذاً بالأوامر الإلهية فِعْلاً وتركا حتى الوصول إلى الإنسان الخليفة، هذه المهمة الاستخلافية الوجودية هي التي تضفي على الوجود الإنساني القيمة الجلّي وأن

تجعل منه المخلوق الأعظم في الكون، فالهدف المقصود هو الاقتراب من الله بالإنجاز.

وليس ادفع إلى الارتكاس بالإنسان إلى مهاوي الهلاك والتدني بالذات الإنسانية إلى الاستقالة من عمارة الكون والسقوط في التظالم وممارسة السحق للكرامة الإنسانية من شعوره باليأس والقنوط مما يظن أن حياته قد استنفذت أغراضها وأن وجوده في الكون أصبح ضرباً من العبث، وليس سبب ذلك إلاّ الفساد في تصور المهمّة التي على الإنسان أن يضطلع بها في الأرض وهي مهمة الخلافة على أساس من عمارة الأرض بمنهج العبودية لله.

إن الخلافة بهذا المعنى تمثل منهجاً شاملاً في التصرف الإنساني سواء في سياسة نفسه فرداً أو مجتمعاً أو في تعامله مع الكون أو في صلته بخالقه وعلى هذا الأساس فإن هذا المنهج يكتسي صبغة من المعيارية لأنه سيتمثل في مجموعة من التحديدات والضوابط لما ينبغي أن تجري عليه حياة الإنسان في الفكر والسلوك في تصرفه إزاء الكون وخالقه.

وأن الله قد أرشد الإنسان إلى هذا المنهج منذ أن خلق الإنسان الأول ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ ما هي هذه الأسماء..هي قطعاً ما يحتاجه هذا الإنسان للدلالة على قدرته التي استحق بها التكريم، ثم تعهده بتبيان العدو الأول له. وهو إبليس – أو الشيطان، وحذره وحذر ذريته مع بعده ولكي يكون المنهج الذي يرضى الله واضحاً جاءت الرسل تترى تبشر الأقوام بمنهج الخلافة تذكيرا بما هو ثابت فيه من حقائق الاعتقاد حينما يأتي عليه التناسي أو يؤخذ بعوامل التحريف والتبديل وتشريعاً مستجداً للسلوك بحسب ما تنقلب إليه حياة الإنسان من أطوار في سلم الترقي والنضج العقلي والاجتماعي ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾
[المائدة:٤٨]

ولقد جاءت النبوة الخاتمة نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- تحدد المنهاج النهائي للخلافة وتتوج الوحي المرشد الذي يصر الإنسان منذ خلقه بمسالكها وهذا المنهاج النهائي هو الذي سيظل الموجه الأبدي للإنسان فيما ينبغي أن يعتقد من حقيقة الوجود وما ينبغي أن يسلك في تصريف الحياة.

ويتصف هذا المنهاج النهائي للخلافة بشمول البيان لكل مناحي التصرف الإنساني في فكره وسلوكه – ومصدره الأوحد هو الله سبحانه وتعالى أنزله بطريقة الوحي إلى نبي مختار وكلّفه بأن يبلغه للناس وأسفر هذا الوحي بالنسبة لنا عن أصلين نصيبين هما (القرآن والحديث) اشتملا على كل ما في منهاج الخلافة من مضمون. أن هذا المنهاج جاء وحسب الحاجة الثابتة ليفصل في بعض المناحي ويجمْل في بعض المناحي ليترك الباب مفتوحاً لاجتهاد الإنسان – ومن هنا جاء دور العقل ودوره في الوصول إلى الحقيقة وهو تلك القوة الإدراكية المعيارية في الإنسان التي على أساسها حُمّل الخلافة والتي على أساسها خوطب بالوحي ليتحمله فهماً وتطبيقاً – إن منهج الخلافة في أساسه تأسس على العقل الإنساني في تنزيله على الأرض فهو وسيلة ذلك التنزيل وقد جاء القرآن الكريم يصور هذا الدور العظيم المنوط بعهدة العقل حيث جاء من الحث على إعمال العقل ومن الثناء على من يستعمله واللوم والتقريع لمن يهمله. والعقل رهن في إصابته الحق لشروط وقيود وحدود تمثل كلها عنصراً أساسياً في تحليل دور هذه الوسيلة في التنزيل الأرضي لمنهج الخلافة –وذلك عبر ما يسمى بالنظر والفكر- وهذا الطريق يتصف بالمرحلية والتدرج والترابط والمقايسة والموازنة والانتقال من المعلومات للوصول إلى النتائج وبين المعاليم للوصول إلى المناهج – والعقل أيضاً يتحرك ضمن معطيات الحس، المحدودة

بظرف المكان والزمان –وعندما يتعلق الأمر بالغيب فإن ذلك يكون أبعد من أن تدل عليه معطيات الزمان والمكان– وهو في كل الظروف والأحوال لا يصل إلى الحق المطلق وإنما إلى الحق النسبي.

إن التأسيس لمنهج الخلافة لابد من توضيحه بين الوحي والعقل وهذه القضية التي عرفت تاريخياً (بالحسن والقبح) (النظر والمعارف) (التعديل والتجريح) (والحكم الشرعي) وقد ترددت هذه القضية بين ثلاثة محاور أساسية –قيمة الأفعال الإنسانية في منهج الخلافة فهل تحمل هذه الأفعال قيمة الحق في ذاتها –أم أن قيمة الحق تضفي عليها من خارجها– والجهة التي لها صلاحية التقدير لتلك القيمة كشفاً وإضفاءً (أهي الوحي أم العقل)، والجهة التي لها صلاحية الإيجاب فعلاً أو تركاً لتلك الأفعال بناء على قيمتها المكتشفة أو المصنفة أهي الوحي أم العقل.

إن دور العقل مهم في مرحلة الفهم وفي مرحلة التنزيل الواقعي وقد دلتّ التجارب في حياة الإنسان على أن تنزيل المذاهب والنظم في واقع الحياة يلقى من المصاعب والمشكلات ما قد يأتي عليها بالاندثار في أساسها النظري، وكم من مذهب يحمل في ذاته أصولاً من الحق ولكن سوء التنزيل على الواقع أدى به إلى الزوال هذا يدل على أهمية العقل في إنجاز مهمة الخلافة.

أن الوجود في العقيدة الإسلامية يقوم على ثنائية طرفاها وجود إلهي هو معد الخلق والتدبير ووجود كوني يتجلى في الدقة والنظام والغائية مما هو صدى لوحدانية الله وكماله المطلق، ومن بين موجودات الكون كائن خصّ بالرفعة والتكريم وسخرت له مرافق الكون. وعليه حمل أمانة الخلافة في الأرض فكان بمقتضاها مدعوا إلى أن يتعامل مع الكون بما يؤدي إلى التكميل المستديم لذاته والترقيّ بها قدماً نحو الله تعالى تنفيذا لمبتغاه وتحقيقاً لرضوانه وذلك عبر كدح مادي ومعنوي. وقد أرشد الله الإنسان في تكليفه بالخلافة إلى

المنهج الكفيل بإحسان الأداء لهذا التكليف فيما أنزل إليه من وحي بين لما ينبغي أن يفعل وما ينبغي أن يترك وكان هذا الوحي سلسلة متلاحقة حلقتها الخاتمة الوحي المحمدي، ولئن جاء الوحي بغاية لأن يصبغ حياة للناس وأن تكون أوامره ونواهيه سيرة عملية للخلق فإن في طبيعة خطابه المتصفة بالعموم والشمول والبريئة من قيود الزمان والمكان مجالاً لأن يكون للعقل فسحة الاجتهاد في تنزيل الإفهام على واقع الحياة.

أن الاجتهاد في التطبيق هو بالقطع ليس تغييراً في الفهم القطعي حينما يتعلق الأمر بتنزيل النصوص على واقع حياة الناس. وإنما اجتهاد منهم لما أراد الوحي في الصورة التي أرادها الله سبحانه وتعالى - على قاعدة أن (رضا الله) هو غاية الإنسان- لأن المنهج إنما جاء أصلاً لسعادة الإنسان وليس لشقائه.

ومن هنا تبدو لنا المهمة الحقيقية أمامنا في تبيان (المنهج النبوي الصحيح) في فهم رسالة الإسلام وتطبيقها، وتيسير ذلك الفهم على الإنسان الذي يريد أن يدخل بها الجنة، من بين ركام الملايين من الكتب التي تحدثت وتتحدث عن المنهج.

علاقة الإنسان مع الكون

لقد بنت كثير من الفلسفات القديمة علاقة الإنسان مع الكون على أسس محورها الصراع، وبررتها بالفلسفة الحديثة كفلسفة هيجل على أنه صراع في عالم الفكر بررت فيه أي جريمة شوفينية يمارسها شعب أوربي متفوق لاستبعاد وقتل الشعوب المستضعفة، ووضعها ماركس في ميدان التبدلات المادية ليبرر فيها أية مذبحة تمارسها طبقة ضد طبقة، بل أكثر من هذا فإن منطق الصراع لابد أن ينعكس على الدين والفن والعواطف والأخلاق والمطامح والرؤى.

إن قوى العالم مادامت قد سخرت لنا تسخيراً، والله سبحانه وتعالى قد حدد أبعاده وقوانينه ونظمه وأحجامه بما يتلاءم مع هذه المهمة لخلافة الإنسان في العالم وقدرته على التعامل معه تعاملاً إيجابياً. وهذا عكس ما وضعته النظريات الوضعية من علاقة – جعلتها علاقة صراع وتضاد، جردت الإنسان من كثير من قدراته الفاعلة وحريته في حواره مع كتلة العالم.

لقد قامت علاقة الإنسان الإسلامية مع الكون على مبدأ التسخير ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [النحل:١٢]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل:١٤] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم٣٢ :٣٣] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص:٣٦] ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلْأَرْضِ ﴾ [لقمان:٢٠] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت:٦١]

إن التسخير هو الموقف الوسط الفعال الذي يقدمه القرآن الكريم بصدد التعامل مع العالم بدلاً من الخضوع والتعبيد حيث عبد الناس الشمس والقمر والنجوم والماء والبحر والنهر والأسد والثعبان والعقاب والصقر والحجر والصنم وغيرهم – أو علاقة الغزو والانشقاق اللذين هيمْنا على المذاهب في جوهرها الإغريقي ومن ثم في جوهرها المادي الرأسمالي.

لقد بين الإسلام موقفه من الفعل الحضاري من خلال رؤية متوازنة تضم جناحيها على كل ما هو روحي وأخلاقي ومادي وجسدي في الوقت نفسه أن الآيات والأحاديث تضع الجماعة البشرية في قلب العالم والطبيعة وتدفعها إلى أن تبذل الجهد من أجل التنقيب عن السنن والنواميس في أعماق التربة وفي صميم العلاقات المادية بين الجزئيات والذرّيات بين مسألة الإيمان ومسألة الإبداع بين التلقي عن الله والتوغل في مسالك الطبيعة ومنحنياتها وأغاميضها بين تحقيق مستوى روحي عالٍ للإنسان على الأرض وبين تسخير قوانين الكيمياء والفيزياء والرياضيات لتحقيق الدرجة نفسها من التقدم الحضاري على المستوى المادي ولم يصف الإسلام بين هذا وذاك.

لقد وضع القرآن الكريم الإنسان في قلب الكون والعالم واختار له الموقف التجريبي الذي يعتمد النظر والتمعن والتفحّص والاختبار من أجل الكشف والابتكار والإبداع.

إن الله قد عبّر عن إبداعه وقدرته المطلقة على مستوى الروح والمادة والإنسان والطبيعة فليس معنى للهروب والاحتقار أو التعبد والخضوع أو السلبية والاستعلاء والتضاد والتصادم أو القهر والغزو، أن هذه المواقف غير مبررة في بداهات الإيمان أو مقتضيات الاستخلاف.

لنقف عند بعض الآيات مثلاً:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف:١٨٥]

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ [عبس٢٤ :٣١]

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ (٧)﴾ [الطارق٥ :٧]

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠)﴾ [ق٦ :١٠]

﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾ [الأنعام:٩٩]

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [الروم:٥٠]

﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [البقرة:٢٥٩]

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾ [الغاشية١٧ :٢٠]

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت:٢٠]

إن مبدأ الاستخلاف، ومبدأ التسخير، كلّ رتب موقفاً أساسياً نستطيع أن نطلق عليه مبدأ الاستكشاف والمؤانسة بدلاً من مبدأ الخضوع أو القهر أو التحدي – فما دام الله قد جعل مهمة الإنسان هي الاستخلاف، إذن لابد أن يكون مناط الاستخلاف وهي الأرض مهيأة لهذا الإنسان فهي في التعبير

القرآني (ذلولا) ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك:١٥]

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢]

ولقد قامت كل القوانين التي تحكم الأرض وعلاقتها مع الأجرام السماوية على هذا المبدأ الكبير، مبدأ أن تكون (مهداً) (ومهاداً) (وفراشاً) (وذلولاً) كي تستقيم حركة الإنسان عليها سواء من حيث علاقتها بالشمس والحرارة، ومكونات الهواء، والماء، والمعادن الموجودة وعلاقتها بالقمر والنجوم، والأوتاد الموجودة فيها، وحركتها الدائرية، وعليه فإننا نستطيع القول وبكل ثقة ودقة (أنه لا جديد في الكون)، وإنما الجديد هو اكتشافنا لما هو موجود فيه، فالقوانين أصلاً موجودة، خذ مثلا قانون الجاذبية قبل أن يكتشفه نيوتن، كان موجوداً، وقِسْ على ذلك سائر القوانين المنظمة لحركة الحياة على الأرض/ وعلاقة الإنسان بها/ حتى مكونات الإنسان، بما أنها من مكونات الأرض –وإليها يعود فمن السهل أن يتحلل فيها- وبما أنه من مكوناتها – من طين الأرض فهي الأقدر على التعامل مع هذه الأرض.

وعليه تصبح مهمتنا واضحة في حركة الاستخلاف ضمن المحاور الأربعة الله المُستخلِف، الإنسان المستَخلَف، الأرض مناط الاستخلاف والمنهج المنظم للعلاقة بين الله والإنسان، ومن هنا نفهم مهمة الرسل في تصحيح مسار الإنسان وضبط إيقاعه وتزويده بما يمكن أن يسهل حركته على الأرض من منهج رباني في خطوطه العامة، ومن هنا تضبط حركة العقل في إطار توجيه الوحي، واستعمال العقل، في آلاء الله وليس في ذات

الله، لتعميق العلاقة مع هذه الذات، ضمن حدود وتصورات العقل، وما يصححه الوحي ابتداء أو وسطاً أو انتهاء.

لقد تناولت النظريات الفلسفية الكثيرة هذه العلاقة مع الخالق ومع الكون، ولكونها قد انطلقت في كثير من الأحيان من قصور العقل البشري عن الإدراك الكلي لمعنى الذات الإلهية ومقاصد الخلق، كانت النظريات الفلسفية إما ألغت أو أشركت مع الله في خلقه وملكوته.

إن الإنسان ليس بمقدوره أن ينفّذ مهمته الاستخلافية ومنها الضمانات الكافية، وإعانتها على تحقيق أهدافها، ما لم يضع خطواته على البداية الصحيحة (للتحضر) فيكشف عن سنن العالم والطبيعة والنواميس وتحقيق قدر أكبر من الوفاق بين الإنسان ومحيطه، وبدون هذا فإن مبدأ الاستخلاف لن يكون بأكثر من نظرية أو عقيدة تسبح في الفراغ.

وعليه فإن مفهوم العبادة في الإسلام أوسع وأشمل من الشعائر التعبدية، أنها بالإضافة إلى ذلك حركة الإنسان المرتبطة بالهدف والمنطلقة من التصور الإسلامي. التي تعتبر حركة العمران عبادة وعلى هذا الأساس نفهم كلمة (إقرأ) أوّل كلمة نزلت في القرآن الكريم، كما كان التعليم أول آية لآدم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ما بين تعليم آدم أول رسالة وكلمة (إقرأ) أول كلمة في آخر رسالة كانت حركة الحياة والعمران في الحياة، ولكنه علم باسم الله، وقراءه باسم الله، هي ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي وسيلة لغاية – لأن الإنجاز الحضاري ليس غاية في حد ذاته بل هو وسيلة لإسعاد الإنسان على الأرض، إن جزءاً من مهمة الاستخلاف هي ارتقاء بعلم الإنسان وعقله كي يعرف خالقه ويعبده حق عبادته.

وعليه فإن الذين قالوا بصدفة خلق الكون، وأنه ليس وراءه قوة تدبره، أو غاية موحده تسير وفقه، هذه النظرية جعلت البشر دونما رسالة إلهية ربانية، انحصرت حياتهم في رغباتهم ومتعهم في الحياة الدنيا.. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة٢٠٤ : ٢٠٥]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢]

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف:١٧٦]

وهناك من نظر إلى سر وجوده فرأى أن الدنيا دار شقاء وهي كذلك فهي إذن لا تستحق العمارة، وهذه النظرية تعزل أهل الحق عن تسيير شؤون الحياة أفراداً وجماعات ولم تكن كذلك مهمة الرسل أنما كانت مهمتهم قيادة أقوامهم وتصحيح مفاهيمهم لكي يعيشوا بها في الدنيا،

أما الذين أشركوا الله سبحانه وتعالى في العبودية أو الربوبية أو في كلاهما فقد وصفهم القرآن الكريم في محاورة عميقة ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤] ولكي يكون الأمر واضحاً فإن العبودية تشير إلى الجانب التعبدي والربوبية تشير إلى الكليات التي تسيّر حركة الحياة وتقود الإنسان.

إن النظرية الصحيحة التي توصل لموقع الإنسان على الأرض وعلاقته بالعالم أو الكون المحيط به هي النظرية التي قادها الأنبياء والرسل عبر التاريخ –

وهي التي تعلل كل ما هو كائن في عالم الشهادة تعليلاً نحاول أن نكتشف حكمة الله فيه وأسراره في وجوده وهي النظرية التي تؤمن بأن الخالق في السماء إله وفي الأرض إلـه، فلـم يخلـق الأرض والإنـسان ويتركهـم هكـذا دونمـا ضـوابط، فالإنسان هو أكرم مـا في الوجـود ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤] أن الإنسان الذي سجدت له الملائكة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف:٥٠]

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء:٧٠]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار٦ :٨]

أن دور الإنـسان في الأرض أن يكـون الرائـد في عمارتهـا علـى شـرط الاستخلاف-. إن قارون عندما انحرف عن هذه القاعـدة وقـال ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص:٧٨] خسف الله به وبداره الأرض إن الإنسان هو الذي يقود كل ما في الأرض من قوى يسيطر على النبات والحيوان والجماد، أي أن كل ما في الأرض مُسخّر له بشرط إعمال ذهنه وعقله الذي كرّمه الله سبحانه وتعـالى به وأن يستعمل هذه العقل في إطاره ومناطه الصحيح.

أن المحور الذي تقوم عليه الحضارة السليمة وفـق شـرط الاسـتخلاف هـو نفع البشرة كلها (الخلق كلـهم عيـال وأحـبّهم إلى الله أنفعهـم لعيالـه) –وهـذا الإنسان الذي نتحدث عنه هو بالضرورة ليس ملاكاً مهمتـه الطاعـة فقـط، ولا شيطانا مهمته العصيان فقط – أن ما فيه من قدرات وقوى، ومـا هيـئ لـه مـن طرق تجعله يسلك طريق الملائكة، وطريق الشيطان بحرية واختيار من هنا ترتبت نظرية الثواب والعقاب على الإنسان وفتح لـه بـاب التوبـة والمراجعـة الدائمـة طالما هو في دار فيها عملٌ ولم يأت يوم الحساب.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد:١٠]

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣]

إن الدخول للمجال المغناطيسي للحضارة هو عن طريق الإنسان وذلك من خلال فهم نظريتي الحق والواجب، فالله أعطاك مالك من حقوق كاملة غير منقوصة من خلال تهيئة كل شيء لك، وتهيئة نفسك بشكل دقيق، ومحيطك، ولم يجعل لأي مخلوق من مخلوقاته سلطانا عليك-.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠]

الإنسان عبر مراحله منذ أن خلق، هو الإنسان ومثالنا على ذلك أبو البشر آدم عليه السلام، كان فيه الضعف ونزعته إلى الخلود، والملك العظيم، ومع أن إبليس لعنه الله – رفض السجود له، والله سبحانه حذره الله منه، ومع ذلك استطاع أن يدخل إليه من باب ما ركبُ فيه، ثم كان ما كان مع ولديه (هابيل وقابيل)، حتى وصل الأمر إلى القتل هذا الإنسان هو الذي تحدث عنه القرآن الكريم بأحسن درجات التكريم وأرقاها، وهو الذي خرق الله له النواميس الكونية وأجرى المعجزات على أيدي أنبيائه، ووصفهم ووصف عباده الصالحين بأحسن درجات الوصف، وأضافهم إلى نفسه بكلمة (عبادي)، هذه هي فطرة الإنسان التي ذكرنا قبل قليل أن الله قد فطر الناس عليها، لقد فطر الإنسان على إيجابيات كثيرة – أهمها العبودية لله سبحانه وتعالى ولكن خلق بأفضلية ليتعرض لثواب الله، فالأصل في خلقه ليس أنّه مُعَدا لعقوبة الله، وعندما تستقر العقيدة السليمة المتوازية مع الفطرة السليمة فإن ذلك يولد في الإنسان احتراماً للذات الإنسانية ويحفظ كرامتها ويجعل لهذا الإنسان مهمات في الحياة أكبر من المهمات المادية ويجعل التحضر الإنساني قائم على السعي لتأكيد الكرامة الإنسانية وحفظ حقوق الإنسان مطلق الإنسان، بالإضافة إلى التكريم – كان حمل الأمانة ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ

﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢]
والأمانة هي التكليف، الذي يطلب الإيداع، والمحافظة على المودع – على وجهه، ومعالجة النفس بالإرادة الحرة لقد اختار للأمانة الكائن الرفيع، المتمتع بصفات الفضيلة والقوة والتكليف يتطلب إنجاز مهمة الخلافة في الأرض وهي مهمة تستغرق كل الحياة الدنيا، وبذلك يتسامى دور الإنسان في الأرض ويصبح أكثر فاعلية، وهذا يدفعه إلى ما يسمى (بالنفير الحضاري)، وهي سنة عامة من حيث حركتها على الأرض، ولكن لها فقه خاص مرتبط بالمنهج الذي يحكم حركة الإنسان على الأرض، ولعّل هذا المنهج هو الذي توالت الرسالات السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى لدن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لتأكيده إن من بين عناصر هذا النفير الحضاري عناصر نفسية وأخرى فكرية وعملية تؤدي إلى الوعي الحضاري والوعي الاستخلافي، والوعي الرسالي، والوعي الاستعلائي ووعي بمفهوم الشهادة على الناس – الشهادة التي لابد أن يكون فيها الشاهد بمرتبة أعلى من المشهود له، ووعي بالأزمة الإنسانية ووعي بعدو الإنسان وأساليب الدفاع ولابد أن يثمر كل هذا الوعي والإيمان بالمنهج وما ترتب عليه من نفير حضاري تنمية روح العمل والإبداع ومجابهة التخريب والفساد، والتناغم من الكون، والميزة التحريرية التي توصل لمفهوم العبودية، إذ كلما كان الإنسان أكثر عبودية لله كلما كان أكثر حرية، ومن هنا أطلقت كلمة عبد على الرسل في أعلى درجات التكريم أطلقت على موسى وسليمان وداود وعيسى وعلى نبينا –صلى الله عليه وسلم- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١]

إن التناغم مع الكون قائمة على الارتفاق والمؤانسة والارتفاق تعني الرفق بالشيء ومن ثم الانتفاع به وهي علاقة قائمة على أساس الوحدة والتوافق بين

الإنسان والكون فالإنسان والكون ينتميان إلى شق الوجود الناقص الذي يقابله الوجود الكامل وهو الله سبحانه وتعالى وهو توافق في المصير (فالإنسان والكون إلى نهاية)

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة:١٨]

والإنسان كونه مخلوق من تركيبة الأرض ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الحج:٥] فهناك توافق في الكيفيتين التركيبة (الإنسان والأرض) ولكن هناك تكليف للإنسان بمنهج – وهما يخضعان لقانون القهر الإلهي – ولكن الإنسان أعطى ميزات فهو الذي جمع المادة والروح، وهو الذي أعطى العلم والمعرفة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾– وسخر له الكون ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية:١٣]

(إن الوحدة والاستعلاء والتسخير) – في علاقة الإنسان مع الكون هي العناصر التي تشكل المحاور الحضارية لهذه العلاقة ارتفاقاً للانتفاع بالكون، ودافعية للانتفاع به ارتفاقاً روحياً ومادياً ومعرفياً وجمالياً، كما أنه رفقاً صيانياً، صيانة من التلف والتلوث وتركيزا على التطهر.

إن الله قد سلّمنا الأرض بكراً، وقدر فيها أقواتها ومواردها بشكل موزون، وكل النظريات التي تتحدث عن الانفجار السكاني وعدم كفاية موارد الأرض لحياة الإنسان إنما انطلقت في الحديث من خلال التقسيمات السياسية التي تحكم الكرة الأرضية، فالمليارات المكدّسة في مكان والموارد الزائدة، لقياسها نقص في مكان آخر ومن هنا كان المنهج الشامل السليم الذي يحكم الإنسان هو المنهج الذي يجعل التعاون أساساً بدلاً من التخاصم، والتحاور بدلاً من الاختلاف، أنها الأمانة والتكليف لكل البشرية ومن هنا تأتي مهمة أصحاب المنهج الذين يعتقدون بصوابه أقصد منهج الرسالة والأنبياء وآخرها وخاتمها الرسالة الإسلامية في المسؤولية

لإيصالها إلى الناس، تطبيقاً سليماً خالياً من الأهواء والرغبات، مرتبطاً بالمنهج السليم متجاوزاً حركة المسلمين وتاريخهم، وعارضاً الإسلام في صورته التي أرادها الله سبحانه وتعالى وبلغها لنبيه.

أن التلوث الذي أصاب الكرة الأرضية بفعل الإنسان والانحباس الحراري الذي كان سببه الإنسان والذي يؤدي إلى ارتفاع مستمر في درجات الحرارة، هو خروج على المنهج في الانتفاع بالكون وجزءه المخصص لنا وهو الأرض، ولعلّ علاقة الإنسان مع البيئة بمفرداتها يجب أن تكون علاقة إيجابية، علاقته مع الماء وعدم تلويثه والشجر وعدم قطعه، وحرقه دونما فائدة يجنيها منه، لقد وضع الإسلام قواعد صارمة لذلك، حتى أخلاق الحرب منعت الإنسان في ظل المنهج الإسلامي من أن يتجاوز حدوده في التدمير إلاّ لسبب آني وليس بمطلق زماني أو مكاني. وحتى المحميات التي نتحدث عنها (النباتية والحيوانية) قد أقرها الإسلام عندما جعل (البيت الحرام ومناطق من مكة) حرماً آمنا يمنع فيها قتل الصيد، وقطع الأشجار.

أننا أمام تقدم هائل في معرفة أسرار الكون، وإمكانية الاستفادة منه، ولكننا أمام واقع مؤلم في هذه العلاقة التي ابتعدت كثيراً عن المنهج فما في يد الإنسان من أسلحة تكفي لتدمير هذه الكرة الأرضية عشرات المرات وجعلها بدون حياة.

ومن هنا كان الإنسان المكرم في زوايا أخرى له صفات أخرى ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ [إبراهيم:٣٤] ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾ [العصر١ :٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥)﴾ [القيامة:٥] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)﴾ [العاديات:٦]

أن الإنسان يتجاوز كل هذا بالارتباط بالمنهج السليم الذي يقوده إليه عقل سليم وقلب سليم.

عقل يعقل صاحبه كما يأباه من التكليف

عقل فهم وفكر يُقلّب في وجوه الأشياء وفي بواطن الأمور عقل رشد يميز بين الهداية والضلال.

عقل رؤية وتدبير

عقل بصيرة تنفذ وراء الأبصار

عقل ذكرى يأخذ من الماضي والحاضر وتتجمع لديه العبرة فيما سيكون عقل موصول بحجج التكليف.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة:١٦٤]

أن قيام النبوة على إقناع العقل المسؤ ل بآيات الكون قد اختتم سلطان الأحبار والقادة كما اختتم سلطان النبوات بالمعجزات وخوارق من العادات فلا يعذر الإسلام إنساناً يعطل عقله ليطيع سادته المتكبرين أو ليطيع الأحبار بسلطان المال والدين.

﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ [النساء:٩٧]

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢)﴾ [سبأ:٣٢]

إن التكليف لا يسقط عن الإنسان العاقل إن هو أطاع من أطاع وتنكب منهج الله، هذا المنهج الذي بين له أنه أكرم ما في الوجود، وأنه لولاه لما خلقت

الأرض ولما كان فيها ما كان من أرزاق وأقوات، ولما أنزل الله من السماء ماء، ليحييها له، فإذا كانت هذه منزلتك أيها الإنسان الكبيرة الكبيرة، فلماذا تصغّر من أمر نفسك، لماذا تذل وتخضع لغير الله، لماذا تخاف وأنت تعلم أن الأجل موقوت، والرزق معلوم، ولكنه موفور بالسبب والسّعي، أنت أكبر من الأرض، لأنها مخلوقة من أجلك، إن التصالح مع الذات، يبدأ من فهم قيمتها، وإن سعادة الذات تبدأ من ارتباطها بمنهج خالقها وإن هذا الإنسان البسيط بإزاء الخالق العظيم لو طلب منه الإجابة ولو أقسم عليه وهو مرتبط بمنهجه لأبّره، ولو استعان؛ وهو مستقيم على هداية لإعانة، إن التصالح مع الذات لابد أن يسلك طريقه إلى التصالح مع الآخر، حتى الآخر المختلف معك في الجنس والإقليم والعقيدة جعل الإسلام لك طريقاً للتفاهم معه، وأسلوباً للتعامل معه لقد ركب الله فيك أيها الإنسان من الأسرار ما سيبقى قسما قسم كبير منها مجهولاً لك، ويمكن أن تعرف من أسرار الكون أكثر من تعرف من أسرار نفسك ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾

العقل والوحي ودورهما في الوصول إلى الحقيقة

في اللغة العقل التثبت من الأمور وسمي العقل عقلا لإنه يعقل صاحبه عن الشهوات، والعقل هو التميّز الذي يتميز به الإنسان من سائر الحيوان، والعقال الرباط الذي يعقل به - وعقيلة كل شيء أكرمه وعقائل البحر درره والعقل الملجأ والعقل الحصن، وإذا كان التكريم لابن آدم كان بالعقل، وإذا كان التكليف كان بالعقل وإذا كانت رسالة الأنبياء لا تكون إلا للعاقلين، كان من الضروري أن نبحث عن دور العقل في الوصول إلى الحقيقة، وأن نسأل أنفسنا أيضاً أسئلة مشروعة هل هناك صراع بين الوحي والعقل بين الإيمان بالغيبيات والإيمان بالماديات بين الدين والعلم هذا السؤال استأثر باهتمام الأولي وسيبقى لأن الصراع واقع في الحياة، ولكننا نقول أنه لا علم بدون عقل ولا دين بدون عقل. يقول جارودي المفكر الفرنسي في كتابه من الإلحاد إلى الإيمان (يظن بعض الفلاسفة أن بالعقل والعقل وحده يعيش الإنسان العقل يدرك فقط الحدود بين الأشياء، لكنه لا ينفذ إلى جوهر الأشياء لابد من ملكة أخرى غير العقل وفوق العقل لتجاوز الجزئيات اللامتناهية في هذا الكون والنفاذ إلى ما هو كليّ فيه).

ويشير باسكال وهو عالم رياضي وطبعي (إن العقل لا يستطيع أن يدرك كنه الأشياء - وإن للقلب ميولاً واتجاهات لا يعرف العقل دواعيها وبواعثها).

ولو رجعنا إلى رسالة الوحي -القرآن الكريم- لوجدنا فيه آيات كثيرة تدعو إلى التفكر والتدبر والتعقل - واعتبر القرآن هؤلاء الناس الذي يستعملون عقولهم هم الذين يصلون إلى الحقيقة ويعرفون الله حق المعرفة.

قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨]

إن الإنسان الذي يضلّ هو الإنسان الذي لا يستعمل عقله ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص:٢٦]

إن الأدلة الشرعية لا تنافي قضايا العقول، لأنها نصبت لتتلقاها عقول المكلفين حتى يعملوا بمقتضاها تحت حطام التكليف، ولو أنها نافتها لكان التكليف بمقتضاها تكليفاً لا يطاق، أن لفظ العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضرة والله سبحانه وتعالى بعث الرسل بتكميل الفطرة فدلّهم على ما ينالون من النعيم في الآخرة وينجون من العذاب، أن العقل في الأصل لا يتناقض مع النقل، فالعقل مطابق لما أخبرت به النصوص ودلت عليه لا معارض له، والمعقول الصريح موافق للشرع متابع له كيفما أدبر الأمر وليس في صريح المعقول ما يناقض صحيح المنقول، ولما كان الطريق إلى الحق السمع والعقل – وهما متلازمان كان من سلك الطريق العقلي دله على الطريق السمعي،

إن المرء لا يكون مؤمناً إلا إذ عقل دينه بنفسه حتى أقنع به، فمن ربّى على التسليم بغير عقل، والعمل ولو صالحاً بغير فقه فهو غير مؤمن. أن الدعوة إلى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده يعوّل فيها على تنبيه العقل البشري وتوجيهه إلى النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع إلى ما حواه الكون من النظام والترتيب وتعاقد الأسباب والمسببات ليصل بذلك إلى أن الكون صانعاً عالماً حاكما قادراً وأن ذلك الصانع واحد لوحدة النظام في الأكوان. أن الآيات البيّنات قد منحت العقل رؤية تركيبة للكون والحياة والإنسان والوجود تربط وهي تتأمل وتبحث وتعاني وتتفكر بين الأسباب والمسببات، تسعى إلى أن تضع يدها على الخيط الذي يربط بين الظواهر والأشياء في هذا الحقل أو ذاك وفي هذه المساحة أو تلك – لقد أراد القرآن الكريم أن يجتاز بالعقل مرحلة

النظرة التبسيطية – المسطحة – المفككة – التي تعاين الأشياء والظواهر كما لو كانت منقطعة معزولة منفصلاً بعضها عن بعض – وهي خلال ذلك لا تملك القدرة على الجمع والمقارنة والقياس والتقاط عناصر الشبه وعزل عناصر الاختلاف لا تملك إمكانية التركيب والاختزال والتركيز للوصول إلى الدلالات النهائية للظاهرة من خلال معاينة ارتباطاتها وعلاقتها بالظواهر الأخرى، ولقد تمكن القرآن الكريم بطرقه المستمر على العقلية التبسيطية أن يعيد تشكيلها لتنبعث من جديد بالصيغة التي أرادها له – عقلية تركيبية تملك القدرة على الرؤية الاستشرافية التي تطل من فوق على حشود الظواهر بحثاً عن العلائق والارتباط ووصولاً إلى الحقيقة المرتجاة بل إن إحدى الطرائق المنبثة عبر سوره ومقاطعه من أقصاها إلى أقصاها هي التأكيد على ضرورة اعتماد هذه الرؤية السببية للظواهر والأشياء من أجل الوصول إلى معجز الخلق ووحدانية الخالق سبحانه وتعالى. إذ بدون هذه القدرة على الربط بين الأسباب والمسببات فإن العقل المؤمن لن يكون قادراً على التحقق بالقناعات الكافية. ولن يكون بمقدور آيات الله المنبثة في الطبيعة والعالم والوجود أن تحدث فينا هزة الإيمان العميق المتمخض دوماً عن اكتشاف الارتباط المحتوم بين معجزة الخلق وبين الخالق. أن الكون الذي هو تعبير عن إبداع الخالق تحكمه قوانين واحدة وأسباب واحدة ونواميس واحدة تصدر عن إرادة واحدة. ولين يتحقق هذا ما لم ينظر إليه من خلال رؤية عقلية، تعرف كيف تجمع وتلم وتقارن وتختزل وتركّب وصولاً إلى الحقائق التي تبغيها.

أن القرآن الكريم لا يقيّد العقل البشري ولا يقف به عند باب ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف:١٨٥]﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم:٢٢]

أن أول أساس ركز عليه الإسلام هو الدليل العقلي والنظر العقلي كوسيلة للإيمان الصحيح، أن العقل قوة من أفضل القوى الإنسانية، وهو ينبوع اليقين في الإيمان بالله وعلم وقدرته والتصديق برسالته، والقرآن هو الذي علم الإنسان كيف تستقيم حرية الفكر مع استقامة الدين والقرآن في سورة وآياته دعوة إلى تحرير العقل من عقاله. والفهم الصحيح يستقيم عندما نعتقد أن الوحي أنما جاء هاديا للعقل وقائداً له في الأمور التي لا يتأثر للعقل أن يلج في ميادينها أو تقتحم حماها – وهذه الميادين هي الدين – والدين ليس رأياً بشرياً بل تنزيلاً من حكم حميد، أن ما بعد الدين والغيبيات التي لا تخضع لإمكانيات العقل وقدراته فالوحي يقود العقل فيها إلى الطريق الصحيح.

لقد نظم الإسلام العلاقة بين الوحي والعقل تنظيماً فريداً لم تعرفه الأديان السابقة، فلم يكن الوحي مناقضاً للعقل ولكن جاء ليخلص العقل من متناقضاتها ويحرره من شكه ويهديه إلى اليقين، أن قضايا (الروح والخالق والملائكة) مما لا يدخل في اختصاصات العقل وطاقاته – قد وجه الوحي العقل فيها للحكم السليم.

لقد أسقط الإسلام التكليف عن غير العاقل وأن النصّ يحتاج دائماً إلى العقل كي يفهمه فهماً سليماً ويعرف مراد الشارع منه – فنحن في حاجة إلى العقل لمعرفة مقاصد الشريعة كما أرادها الله ورسوله.

إن العقل حتى لا يشتط وينحرف – أرسل الله الرسل بصورة متواصلة كي تصحح مسار البشرية. أن العقل محدود وبالتالي لا يستطيع أن يحيط بما هو غير محدود – ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء:١٥]

إن الفلاسفة عبر التاريخ قد استعملوا عقلهم في الوصول إلى حقائق الأشياء، أصابوا وأخطأوا، وتوصل عدد منهم إلى الاعتقاد بوجود قوة عاقلة قادرة، خلقت هذا الكون وتسيطر عليه، ورفضوا فكرة الصدفة والفوضى في خلق العالم فالقوة العمياء لا تنتج إلا الفوضى، وقد قال بذلك معظم الفلاسفة اليونان.

لقد بدأ التفكير بالخلق والخالق منذ أن وجد الإنسان، حيثما كانت هناك رسالة سماوية كان التصحيح، وحيثما كان التفكير بمعزل عن الرسالة، ابتدع العقل صوراً لقوى قال عنها أنها إله، فللنار إله وللرعد وللقمر والشمس كذلك.

أن منزلة الفيلسوف هو في إدامة النظر في الموجودات ليتناول حقائقها فتلوح له الأمور الآلية بالعقل.

أما منزلة النبي فهو الذي يتلقى فيضاً من الله بالوحي، أنك لا تستطيع أن تزن أمر الآخرة وحقيقة النبوة والصفات الإلهية بميزان العقل وحده، أن ميزان الذهب لا يمكن أن نزن به الجبال إنّ القرآن الكريم قد اعتبر الذين يستعملون عقولهم هم الذين يصلون إلى الحقيقة ويعرفون الله حق المعرفة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]

لقد وردت كلمة النظر ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ١٠٠ مرة وكلمة البصر ومشتقاتها أكثر من ٩٥ مرة، وكلمة رأي ومشتقاتها أكثر من ٢٠٠ مرة وكلمة سمع ومشتقاتها أكثر من ١٠٠ مرة، وكلمة ذكر وتذكر والتذكر ومشتقاتها أكثر من ٢٠٠ مرة وكلمة التدبر والتعقل والتدبر والفقه ومشتقاتها عشرات المرات وكلمة الشهادة ومشتقاتها أكثر من ١٣٥ مرة وكلمة فصل ومشتقاتها أكثر من ٣٥ مرة وكلمة علم ومشتقاتها أكثر من ٧٢٥ مرة، واستمر الوحي ينبه الناس إلى ما فيه من عقل فيدعوهم إلى التفكر والتعقل والتذكر فيكرر قوله تعالى (أفلا تنظرون، أفلا تعقلون، أفلا تذكرون، أفلا

ينظرون، أفلا يتدبرون) لقد كانت آيات القرآن الكريم ولازالت دافعاً إلى النظر والبحث والمتابعة في كل مجالات المعرفة.

بما أن العقل هو الحجر والنهي، فهو هبة محمودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته، أو هو ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، أو هو صحة الفطرة في الإنسان. والفلاسفة يقولون أن العقل هو جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها، أو هو قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني، أو هو قوة الإصابة في الحكم أي تمييز الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح وهو قوة الطبيعة في النفس مهيئة لتحصيل المعرفة العلمية أو هو مجموعة المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة، أو هو الملكة التي يحصل بها النفس علم مباشر بالحقائق المطلقة، أو هو مجموعة الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالإدراك والتداعي أو هو الملكة التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يستخرج من إدراك العلاقات مبادئ كلية أو ضرورية، سواء كانت ماهية أو قيمية.

أن العقل حامل معرفة وطاقة تجريد ومركز للتفكر والأحكام وملكة متعالية شكلت التفوق النوعي للإنسان بوصفه كائنا فكريا وردت كلمة العقل في القرآن الكريم بصيغة الفعل (تعقلون، يعقلون، يعقل...).

لقد وردت كلمة العقل صراحة في القرآن الكريم (٤٧ مرة) كما وردت في معظمها في معرض المدح وليس في معرض الذم، فالذين لا يستعملون عقولهم هم الذين ذمّهم القرآن الكريم ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ «البقرة:١٧١» ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢﴾ «الأنفال:٢٢» (إن سبل كسب المعرفة الإنسانية يمكن أن تكون عن طريق المعرفة الخاصة من خلال الوحي والذي ورد بصورة مختلفة في القرآن الكريم، والعلم الديني ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾ «الكهف:٦٥» والمعرفة المكتسبة التي وهبها الله لخاصة عباده وبما أوزعها الله في الإنسان من مزايا التفكير والعقل ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ «البقرة٣١ :٣٢»، لقد طلب الله من الإنسان أولا العبادة، وثانياً الخلافة، وثالثاً العمارة.

لقد نهى القرآن الكريم عن التقليد الأعمى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ «البقرة:١٧٠»والنهي عن إتباع الظنون والأوهام ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ «الأنعام:١١٦» ومخالفة الهوى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ «ص:٢٦»

أن أساليب القرآن الكريم تقوم على الحوار، والجدال والبرهان.

من المهم جداً فهم الإطار الإسلامي الأشمل للحياة والوجود حتى يمكن فهم الفكر الإسلامي والمنهجية الإسلامية ومحيط حركتهما ومفهوم الغيب والشهادة في الإسلام ووضوح هذا المفهوم وأبعاده في العقل.

والمنهج السليم له أهمية قصوى إذا أردنا فهم طبيعة الفكر الإسلامي ومنهجيته وفهم معنى الحياة الإسلامية والوجود الإنساني والعلاقات والغايات الإنسانية التي يسعى الإسلام والوجود والإصلاح الإسلامي إلى تحقيقها.

إن مفهوم الغيب والشهادة في الإسلام هو المفهوم الذي يحدد معنى الحياة والوجود، وغاية الحياة والوجود وعلاقة ذلك بما وراء الحياة وما وراء الوجود وما وراء المادة، وهو الذي يحدد معنى العقل ودوره في الحياة الإنسانية، وحدود هذا الدور ومجالاته.

عالم الغيب هو عالم يختص به الله وحده يوحي بما يشاء من أمره على من يشاء من عباده ويرسلهم بالرسالات إلى الأمم، وعلاقة الإنسان وفق مفهوم الإسلام بعالم الغيب هي علامة خيّره بناءه تهدف إلى إقامة الحق والعدل في الحياة الإنسانية وإعمار الأرض وصيانة الكائنات والأرض من الفساد.

إن من أهم مبادئ الغيب ومعطياته للإنسان أن يجعل للوجود غاية خيرة أخلاقية، وأن علاقات الوجود الكلية ومنطق هذه العلاقات هي فيما وراء طاقة العقل الإنساني والمنطق الإنساني والإدراك الإنساني، والله ووجوده وصفاته المتفردة هي من غايات عالم الغيب، والدار الآخرة والبعث والنشور، والإرادة الإنسانية من علم الله ومن أمر الله ومن إعجاز خلق الله وعظيم قدرته خلقها كما خلق كل شيء ولمشيئته ميّزها وشرفها بحرية التوجه ووهبها حرية القرار إلى الخير أو إلى الشر، إلى الإصلاح أو الفساد إلى القيام بمهمة الخلافة والرعاية والصلاح والإعمار أو إلى الشر والإفساد والغلو والإسراف والاستكبار والطغيان، إنّ الهداية والضلالة في الحياة الإنسانية، مصير فردي سبق في علم الله حين وهب الله الإرادة الحرة للإنسان.

إن الله خلق الإنسان ووهبه العقل، وأعلى منزلته بقدرة العلم وحرية الإرادة، مميزاً له، ومكرما له على الكائنات كافة فإن اهتدى بإرادته الحرة فهو الأكمل وإن ضل كان من أسفل سافلين.

وإن الله خلق الكون والكائنات والحياة والأحياء وفطرهم على سنن وقوانين وأسباب وفي طلب الأسباب تكون الأفعال والأعمال وتتحقق الغايات وتعبّر الإرادة الإنسانية عن عزمها وتوجهها ومسؤولية الإنسان هو القيام بمسؤولية الخلافة.

إن العقل الإنساني والإدراك الإنساني مؤهل للحياة على هذه الأرض وأداء الواجبات في الخلافة والإصلاح، وهذا العقل هو أداة الإنسان الأساسية وميزته الكبرى لحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه في هذه الحياة، والعقل هو أداة العلم ووسيلة في عالم الشهادة على هذه الأرض.

أما الوحي فهو المصدر الإلهي الذي يمد الإنسان والمعرفة الإنسانية بحاجتها من علم بشؤون الغيب وعلاقاته وغاياته الكلية وعلاقة الإنسان بهذه الكليات والغايات. والعقل هو أداة الإنسان ووسيلته في عالم الشهادة على هذه الأرض.

إن الوحي والعقل بهذا المفهوم يتكاملان لتحديد موقع الإنسان في عالم الشهادة وتمكين وجوده وسعيه من تحقيق الغاية منهما في عالم الشهادة، فالوحي يّمد الإنسان بالمعرفة الكلية والغايات الربانية في لا يمكن من معرفة أو إدراك من هو وراء علمه وإدراكه ليهتدي إلى الغايات والمقاصد ويحقق اليقين ويستجيب لدواعي الفطرة وتوجهاتها.

إن الوحي والعقل لا يتعارضان، فالوحي يختص بعالم الغيب وكليات الوجود وغاياته ومقاصده في الكون والحياة وذلك من أمر الله والسعي فيه على غير ما أراد الوحي ضلال وظن واستكبار - السعي والإذعان لما جاء به الوحي من الحق هو الذي يميّز بين العلم الخير والعلم الفاسد، هذا المقياس هو الذي ميّز به علم الملائكة وعلم إبليس.

إن العقل والمنطق والإدراك الإنساني هو عقل صحيح وهو عقل راشد إذا وجه سعيه نحو عالم الشهادة وسعى إلى حمل مسؤوليته في أداء دوره في خلافة عالم الشهادة على ما سدد الله به رؤيته من علم عالم الغيب بتحديد الغايات والمعايير بالمصائر والعواقب تمكيناً للإنسان في الأرض ومسؤوليته في تسخيرها وإعمارها على وجه العدل والإحسان.

في الإطار الإسلامي الأشمل - المبني على حقيقة التوحيد والوحدانية بتكامل الغيب والشهادة - وبتكامل الوحي والعقل، وبتكامل الإيمان والعمل، والتوكل والسعي، وعقيدة القضاء والقدر والثقة بالكليات الربانية والأوامر الإلهية مع تمام السعي في فهم علم السنن والفطرة والأسباب وطلبها والحرص الأكمل عليها، فذلك مسؤولية الإنسان ووسيلة إرادته في تحقيق غاية وجودها وصدق إيمانها وتسليمها لأمر الله ومشيئته.

ومن هنا نخلص إلى أن العقل المسلم عقل ينصرف إلى عالم الشهادة وشئون الحياة والكائنات يسعى إلى تسخيرها وتنظيمها ورعايتها وإصلاح شأنها على أساس من المعرفة الموضوعية بأحوالها ووقائعها وطبائعها، وما أودع الله فيها من

سنن ونواميس تحقيقاً لمعنى الخلافة وفق توجيه الوحي وأوامر الحق ومقاصد الشريعة وأحكامها المنزّلة وإن العقل المسلم يجب أن ينصرف إلى عالم الشهادة وشؤون الحياة والكائنات يسعي إلى تسخيرها وتنظيمها ورعايتها وإصلاح شأنها وفق توجيه الحق وأوامر الحق ومقاصد الشريعة.

أننا نسمي هذا النوع من المعرفة والذي يبحث من خلال العقل بالغيبيات (هدر للطاقة)، هناك فرق في التفكير بين آلاء الله، وذات الله - الله سبحانه وتعالى وجّه عقولنا كي تنصرف إلى التفكير في آلاء الله للوصول إلى وحدانيته، وبخلق الخلق - عُرف الله وعرفت صفاته.

إن قصة إبراهيم التي أوردها القرآن الكريم لا يفهم منها أن سيدنا إبراهيم كان يجهل حقيقة وجود الله، ولكنه بين لنا كيف وصل إبراهيم إلى الحقيقة - من خلال النظر إلى النجم أولاً والقمر ثانيا والشمس ثالثاً، وكيف كلما أفلت وتوارت فأيقن أن وراء كل هذه الكواكب إله خالق، وهكذا نجد اليوم عشرات بل فئات من العلماء في الغرب في صفوف المعرفة المختلفة وبخاصة المعرفة العلمية كيف يهتدون إلى الحقيقة المطلقة وجود الله ووحدانيته وتفرده من خلال عملهم في ميدان العلم الواسع، ونظرتهم في الكون الفسيح أرضاً وسماءً ونجوماً وكواكب، وهكذا أيضاً كان حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه عندما حطم الأصنام ووضع الفأس في رأس كبيرهم، وعندما سألوه، من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم أشار إلى كبيرهم، فوجدوا أنفسهم صغاراً وهم ينظرون إلى حجر، صنم، لا ينفع، ولا يضر، لا يسمع ولا يتكلم، إنه محاولة من سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه كي يصلوا إلى الحقيقة باستعمال عقولهم، العقل يصل إلى الحقيقة من خلال النظر والتفكر والتأمل والتدبر والتفقه والسمع والبصر.

ولكن في المجالات التي يمكن للعقل أن يعمل فيها أي عالم الشهادة، وليس عالم الغيب، إن الأسئلة الكبيرة التي طرحها الإنسان عبر حياته، كان من أين

وكيف، ولماذا، وإلى أين، وماذا بعد؟! والإنسان ليس مزوداً بما يمكن أن يجيب على بعض هذه الأسئلة إجابة دقيقة صحيحة وافية، هكذا كان الشغل الشاغل للفلاسفة، جاءت رسالات الوحي عبر تاريخ الرسالات لتحدد الإجابة الدقيقة على هذه الأسئلة.

إن الوحي كمصدر للمعرفة والتوجيه في حياة الإنسان يقصد به عموماً كلمة الحق التي أوحى الله بها إلى الأنبياء والرسل لكي تبلغ ما أمر الله به، وهي على لسان الرسول –صلى الله عليه وسلم- كلمة إلى كل الأمم والأمكنة.

إن الإنسان هو أكرم ما في الوجود، تم تكريمه بالإرادة وقدرة التصرف والتسخير للكون والحياة، ووهبه العقل وما أودعه فيه من فطرة للإدراك والتدبر والتدبير وتصريف الحياة والقدرات فالعلاقة علاقة إدراك وخيار، تعبيد وتذليل، خلافة وكرامة، والوحي بهذا المفهوم مصدر أساسي لمعرفة الإنسان وتبصّره بغاية وجوده ومكانته في هذا الوجود ومصيره بعد هذا الوجود، وليس هناك من وسيلة لمعرفة يقينية بغاية وجوده ومكانته في هذا الوجود وعلاقته بما وراء الوجود، وما وراء الحياة، إلا بواسطة الوحي، ففعل الإنسان وعلم الإنسان ومنطق الإنسان، لا سبيل له إلى هذا اللون اليقيني من معرفة الكليات. وبما فطر الله عليه نفس الإنسان وما وهبه من عقل، وما ركب فيه من إدراك – وما يراه في الخلائق والكون من فطرة وسنن يجعله لا يجد لنفسه من حرج في طلب معرفة كليات هذا الوجود وموقعه منها، وإلا أصبحت حركة لا دليل لها ولا غاية تسعى لها ولا معنى تحققه، مما ترفضه فطرة العقل وسنن الله في الكائنات وهو أمر يورث النفس البلبلة والاضطراب، ويتركها نهباً للحيرة والخوف.

إن الوحي الموثق الصحيح هو الوسيلة الوحيدة لهذا النوع من المعرفة – يستكمل بها الإنسان وجوده وأدواته للسير في هذا الحياة ولذلك فالوحي للعقل والإدراك وللفكر الإنساني في هذا الحياة ضروري ومكمل ولا غنى عنه،

ولا يمكن للإنسان بلوغ مرحلة اليقين دون اعتماد الوحي الصحيح مصدراً أساسياً يستكمل به معرفة العقل وعلمه في شؤون عالم الشهادة.

والعقل الإنساني للإنسان هو أداة الإدراك والفهم والنظر والتلقّي والتمييز والموازنة، والعقل بما أودع الله فيه من فطرة إلى جانب أنه الوسيلة الأساسية للإدراك فإنه يحوي في ذاته بديهات المعاني والعلاقات بين الإنسان والحياة والوجود والكائنات ويبني عليها منطقه – ومفاهيمه الأساسية في هذا الوجود، وبدون العقل لا يوجد إنسان ولا يوجد إدراك، ولا يوجد فهم ولا وعي ولا توجد مسؤولية.

والعقل هو موجّه الإنسان ودافعه ووسيلته إلى إدراك موقعه وغايته من الحياة وهو موجهه ودافعه ووسيلته في طلب علم الغيب والتلقي عن رسالات الوحي، والعقل وقدرته على الإدراك والتمييز والتمحيص هو وسيلة الإنسان إلى إدراك فحوى الوحي ووضعه موضع الإرشاد والتوجيه لعمل الإنسان وبناء الحياة ونظمها وإنجازاتها، بما يحقق غاية الوحي ومقاصده وتوجيهاته وأحكامه.

والعقل هو الذي يميّز بين الوحي الخبرْ الصحيح الموثق، والدجل والخرافة والكهانة الكاذبة الفاسدة الضالة، وهو الذي يمكّن الإرادة الإنسانية من الخيار ويضعها أمام مسؤولية المسلك والمصير.

فلا مجال لوجود الإنسان كإنسان، ولا مجال للتلقي عن رسالة الوحي كمصدر للمعرفة والتوجيه والعلم، دون وجود العقل، ودون دور العقل. أن دور العقل هو علم الشهادة بتحميص صدق الرسل وصحّة سند الوحي المبلغ وتوثيقه – ودور العقل هو إدراك مقاصد الوحي من وجود الحياة والإنسان في عالم الشهادة، ودور العقل هو تفهم عالم الشهادة، وما تحويه فطرة الكون من طبائع وعلاقات وإمكانات في ضوء معطيات الوحي بشأن غاية الحياة ومعايير حركته، ودور العقل المسلم هو بناء عالم الشهادة.

أن العقل المسلم يستمد قوته وتوازنه وثبات خطواته واستقامته بما لديه من

علم الوحي وهو يعلم علم اليقين من علم الغيب بقدر ما لديه من علم الوحي، أن دور الوحي الرّباني هو إمداد العقل المسلم بحاجة من علم الغيب، أن هناك خلطاً عبر التاريخ بين مفهومي العقل والوحي، والعلاقة بينهما وطبيعة كل منهما، ومجال أدائهما ومدى هذا الأداء والغاية منه، وموضعه من طبيعة الإنسان وأدائه وغاية وجوده من الرؤية الإسلامية الصحيحة والمنهجية الإسلامية الصحيحة، لا مجال للانحراف باسم العقل - ولا للانحراف باسم الدين، ولا مجال للاستبداد باسم العقل تجاهلاً لغايات الوحي ومقاصده وتوجهاته.

أن للشريعة الإسلامية والوحي الإسلامي تصورات كبرى وغايات ومقاصد ومفاهيم ومبادئ وقيم وأحكام أساسية يجب أن تتضح في نسق عقلي ومنهج علمي وأن تصبح مادة تربوية علمية فكرية يُربّى عليها أبناء الأمة وتقام على أساسها كياناتهم النفسية وغذاؤهم الفكري وأداتهم العقلية والعلمية.

على العقول الإسلامية أن تنطلق إلى الوحي كلاً واحداً لا يتجزأ وأن تستخلص منه التوجيهات والضوابط وتنشئ على أساسها لحاجاتها الحلول والتنظيمات والتشريعات.

إن المنطلقات الأساسية للمنهجية الإسلامية على ضوء الوحي والعقل يمكن أن تتشكل في محاور ثلاث وما يتفرع عنها.

محور الوحدانية، ومحور الاستخلاف، والمسؤولية الأخلاقية، أمّا ما يتفرع عنها فهو يندرج في إطار المفاهيم للمنهجية الإسلامية، وهي غائية الخلق والوجود، وموضوعية الحقيقة ونسبية الموقع منها، وحرية القرار والإرادة وكلية التوكل والسببية في أداء العقل الإنساني ويعد حرية العقيدة، وحرية الفكر وحرية الأداء الاجتماعي، أن هذا سيؤدي بالضرورة إلى شمولية المجال وشمولية الوسيلة.

وفي إطار التجليات المتعلقة بالعقل، عقل الإنسان - ونظرة الإسلام إلى العقل - ودوره في الوصول إلى الحقيقة نجد أن هذه العقيدة بكل مكوناتها تحث العقل

على النظر والتدبر والتأمل، ولولا ذلك لما كانت لها هذه الحضارة التي تعاملت مع كل مكونات الحياة أن العقل لا يتجاوز الحواس بل يستخدمها للوصول إلى المعلومات، ومنذ البدء كان هذا الدين يقوم على الإقناع العقلي وذلك مثبوت في الأدلة القرآنية التي توجه الناس إلى التفكير بمخلوقات الله وحكمه وتدبيره وتشريعه، فيصل الإنسان إلى الإيمان الصادق، واليقين والإحساس العميق بوجود الله وعونه، والقرآن يحرر العقل من كل ما يعطل عمله وقدراته كالتقليد الأعمى للآباء والأجداد وسيطرتهم وتحريره من الخرافات والوهم الذي يحجب الحقائق.

والقرآن الكريم قد أشار إلى وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها كما ذكرنا من تفكير وتبصر وتعقل وقد أمكن تقسيم هذه المخاطبة إلى الحقول التالية:

مرحلة التبليغ والتجريب:

وقد عاش هذا التجربة أبو البشرية آدم عليه السلام، ومن الطبيعي أن الله قد زود آدم عليه السلام بالعقل فالإنسان كما نعلم هو الإنسان، وإن اختلفت أشكاله أو صفاته أو طباعه. وقد رفض إبليس السجود وقال بصراحة منهجاً واضحاً له في التعامل مع آدم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[الأعراف١٦ :١٧] — لقد دخل إبليس من مدخل نفسي على آدم وزوجه – مشكلة الخلود – والملك الذي لا يبلى، ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف١٩ :٢٣].

لقد كان البلاغ الأول لآدم عليه السلام وزوجه بسكنى الجنّه، والجنة تعنى عدم بذل الجْهد للحصْول على الرزق، كما كان البلاغ بعدم الاقتراب من الشجرة، وكان البلاغ الأشد والتحذير من إطاعة العدو الذي رفض أن يكرم آدم عليه السلام الشيطانْ، وبما أن حكمة الله سبحانه وتعالى تتنافى مع تكرار هذه المرحلة مع بقية البشر، فإن الله سبحانه وتعالى برحمة وعطفه على الإنسان حذره ونبّهه من عدوه الأول من أن يكرّر عملية الافتتان والإغواء له بهدف إبعاده عن النهج الإلهي وإخراجه عن طاعة الله ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٧) ﴾ [الأعراف:٢٧].

إن القضية في الإطار العقلي هي إنذار لعاقل –وتحديد المسار الذي يجب أن يتبع، أنه الإنذار بتحديد العدو (الهدف)- فهل نجح الإنسان في الامتحان – وهل تجاوز العقل هذه المحنة، إن لها دلالات أيضاً أن الإنسان بالرغم من هذه الملكة التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه –وهي العقل- لا يمكن أن يكوْن المأمن والملاذ للخروج الكامل لكل البشر من دهاليز الشيطان – إنها ستبقى عملية كر وفّر، حضور وغياب، قوة وضعف – امتثال وعصيان.

٢. المرحلة الحسية:

لقد تحدثنا سابقاً عن الربط بين الحواس والعقل وعن الحواس كواحدة من وسائل المعرفة – هناك النظر والتبّصر في جميع الآيات التي تدل على الخالق وقدرته تعالت وجلّت هذه القُدْرة أن هناك مئات الآيات التي تدعو إلى استعمال الحواس لتحقيق المراد.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ (١٨٥) ﴾ [الأعراف:١٨٥]

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يوسف:١٠٩]

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [السجدة:٢٧]

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦]

وناداه الله سبحانه وتعالى أن يمعن النظر إلى ما حوله إلى طعامه

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [عبس٢٤ :٣١]

إلى خلقه ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ [الطارق:٥]

إلى خلائق الله ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ [الغاشية:١٧]

إلى النواميس ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء:٢١]

إلى الطبيعة ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [الروم:٥٠]

إلى أغصان الأشجار ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ [الأنعام:٩٩]

إلى الحياة الأولى كيف بدأت وكيف نمت وكيف ارتقت ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ﴾ [العنكبوت:٢٠]. دعاه إلى تحريك السمع باتجاه الأصوات يميز ويرفض ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنفال:٢١]

﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ ﴾ [الأنعام:١٠٤]

إن للعقل والحواس جميعاً مسؤولية لا تنفرد إحداها عن الأخرى في تحمل تبعة البحث والتمحيص والاختبار والإنسان مبتلى بهذه المسؤولية.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان:٢]

إن السمع والبصر والفؤاد هي التي تعطى للحياة الإنسانية قيمتها وتفردها وأن الإنسان بتحريكه هذه الطاقات والقوى، بفتحه النوافذ باستغلاله قدراته الفذّة سيصل قمة الانتصار العلمي والديني على حد سواء، لأن هذه الانتصارات ستبؤه مركزه المسؤول سيداً على العالمين، وخليفة له في الأرض، وأنه بتجميد هذه الطاقات يكون قد اختار لنفسه منزلة غير المنزلة التي أرادها الله سبحانه وتعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾ [محمد:٢٣]

إننا أمام حركة تربط بين مسألة الإيمان والإبداع والكشف بين التلقي عن الله والتوغل في مسائل الطبيعة، بين تحقيق مستوى روحي عالي للإنسان على الأرض وبين تسخير طاقات العالم لتحقيق هذه الدرجة نفسها من التقديم المادي.

٣. مرحلة التفكير والتفكر:

من خلال التمعّن في كتاب الله نجد كيف منحت آيات البينات العقل المسلم رؤية تركيبة للكون والحياة والإنسان والوجود تربط وهي تتأمل وتبحث وتعاني وتتفكر بين الأسباب والمسببات تسعى إلى أن تضع يدها على الخيط الذي يربط بين الظواهر والأشياء في هذا الحقل وذاك وفي هذه المساحة أو تلك إن القرآن يريد أن ينتقل بالعقل أي عقل من المرحلة التي تقع ضمن دائرة النظرة التبسيطية – المسطحة – المفككّة – التي تعاين الأشياء كما لو كانت معزولة عن بعضها البعض دون أن تملك القدرة على الجمع والمقارنة والقياس والتقاط عناصر النسبة والاختلاف لا تملك إمكانية التركيب والاختزال

والتركيب للوصول إلى الدلالات النهائية للظاهرة من خلال معاينة ارتباطاتها وعلائقها بالظواهر الأخرى إلى أن تصبح عقلية تركيبية تملك القدرة على الربط والتفكر والتفكير من خلال حشد الظواهر بحثاً عن العلائق والارتباطات ووصولا إلى الحقيقة أن القرآن يؤكد على أن هذه حقيقة يجب التأكيد عليها للوصول إلى حقيقة الخلق والخالق، إذ بدون ذلك فإن العقل لن يستطيع الوصول إليها دون ربطها ببعضها البعض معجزة الخالق وقدرة الخالق.

إن الكون الذي هو تعبير عن الخالق تحكمه قوانين واحدة وأسباب واحدة ونواميس واحدة تصدر عن إرادة واحدة.

ولن يتحقق فهمه أبدا إذا لم ينظر إليه من خلال رواية عقلية تملك التفكر والتفكير - تعرف كيف تجمع وتلم وتقارن وتختزل وتركب وصولاً إلى الحقائق التي تبغيها.

قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤]

إن الذين يصدّون عن هذه الآيات ولا يتفكرون بها رغم وجودها باستمرار وفي مختلف أمور الحياة فإنهم يسلبون العقل الإنساني الخاصية الأولى التي وهبها الله للإنسان، وهي استخدام العقل للوصول إلى سدرة الصواب فإنهم بهذا العقل المشين إمّا أن يقحموا العقل الإنساني في أمور لا يقوى عليها بهدف الالتفاف حول الطريق القويم أو أن يحدده العقل بحيث يصبح دائرة اهتمامه الأمور الطبيعة المحسوسة، وكلتا الطريقين توصلان الإنسان إلى مرتبة دنيا في سلم الرقي الحيواني، حيث يتبوأ مكانته السفلى بين ما يدبّ على الأرض.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال ٢٢ :٢٣]

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال:٥٥]

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك:١٠]

٤. المرحلة التركيبية

في هذه المرحلة تبدو الرؤيا أكثر وضوحاً في تركيب الأشياء من حيث الاستدلالات، والنظر في السببية، النظرة التي تحاول الوصول إلى الحقيقية من خلال الربط بين مكونات الأشياء، ولقد احترم القرآن الكريم الإنسان عندما طلب منه أن يستعمل هذا العقل للاستدلال والنظر في آيات الكون المختلفة، كما أن النظر إلى الأقوام السابقة ومآلها هو الآخر جزءاً من عملية الربط، وفي هذا الصدد يمكننا القول أن هناك ما يسمى القانونية التاريخية المرتبطة بالسنن الكونية ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق٣٦ :٣٧] ق ٣٦-٣٨، أن القرآن الكريم قد أكد على وجود نواميس وسنن لها الحركة التاريخية في تطورها وسيرها، إن القرآن الكريم يطرح لأول مرة على العقل البشري مسألة السنن والنواميس التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها وعبر مسالكها المقنّنة، التي هي من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثانية فطرة وغرائز وأخلاقاً وفكراً وعواطف ووجدانا، ومن قلب العلاقات والوشائج والارتباطات الظاهرة والباطنة في العامل الذي يتحرك فيه الإنسان، من خلال القيم، الثابتة الدائمة في كيان الإنسان، حتى لكأن القرآن الكريم يلفت أنظارنا أننا نستطيع أن نرتب مجموعة معينة من الوقائع التاريخية سلفاً، نتائجها تكاد تكون محتومة لارتباطها الصميم بمقدماتها اعتماداً على استمرارية السنن التاريخية ودوامها، أنها موجودة أساساً في صميم التركيب الكوني وفي

قلب العلاقات المتبادلة بين الإنسان والعالم، أن حركة أية جماعة بشرية في التاريخ ليست اعتباطية – وأنها بما ركب فيها من قوى العقل والروح والإرادة مسؤولة مسؤولية كاملة خلال حركتها تلك حيث ينتفي العبث واللاجدوى وحيث تتحرك الحرية من شكلها المهوّش المتميّع الغامض إلى عمل مدرك مخطط يقف به الإنسان أمام الله بمسؤولية تجاه العالم – أننا ننظر دائماً إلى تاريخ الإنسانية بحساب السنن لا بحساب السنين.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٢]

﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر:٤٣]

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الإسراء:٧٧]

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح:٢٣]

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٧]

﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [محمد:١٠]

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [السجدة:٢٦]

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ ﴾ [الرعد:٦]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الزمر:٢١]

أنها مقدمات تؤد إلى نتائج، هي مقدمات تبنى عليها نظريات، أنه استدلال وانتزاع إلى الحقيقة من ثنايا الوهم الذي يمكن أن يغطي عيون الإنسان غشاوة عليها من أن تصل إلى الحقيقة، أحياناً يخطئ العقل في الاستدلال وأحيانا تخطئ الحواس في الاستدلال وأحياناً يكون اليقين هو الدليل، ولكن الخطأ ليس مطلق، لا في العقل ولا في الحواس، ومن هنا كان للعقل قيمته وأهميته في التكليف وما يترتب على التكليف من مسؤولية.

٥. مرحلة الآيات والمعجزات:

أن التفكر والتبصّر والاستدلال وإن كانت تشكل الخيط الدائم لمدخل التكليف الشرعي، ومن خلال رسالة الرسل عبر تاريخ الإنسانية فإن عقولاً تتحجر وقلوباً يرين عليها – وحواّس ترى ولا تريد أن ترى وتسمع ولا تريد أن تسمع، وهنا تكون محطات التاريخ البشري مليئة بالآيات والمعجزات على يدي رسل الله تأكيدا لقدرة الخالق وتسهيلاً لمهمة الرسل، وتثبتاً لموقف مفاصلة بين رسول وحاكم، أو رسول وقومه كما عبر عن ذلك القرآن الكريم عبر تاريخ الرسل، لقد سرد القرآن هذه القصص، ولكنه عقب عليها بأنها من الرغم من وضوحها ودلالتها فقد كذب بها الأولّون ومن هنا لابد أن تتنوع المعجزات من ظرفية إلى دائمة، وهكذا كانت معجزة الرسول –صلى الله عليه وسلم- محمد خاتم الأنبياء ليست ظرفية، لأن استمراريتها من استمرارية الرسالة وهي القرآن الكريم ككتاب مُعجز، وإن كانت حياته –صلى الله عليه وسلم- لا تخلو من المعجزات. إن الآيات والمعجزات التي حققها الله على يد أنبيائه كان الهدف منها إقامة الدليل على قدرته كي يسلس الإنسان قيادته لله ويفوض أمره إليه، لقد تكررت في ثنايا القرآن الكريم قصص الأنبياء ومعجزاتهم، وما آلت إليْه الأقوام السابقة من مصائر، والقصص التي تسرد هي للعبرة، أي كي يستعملها العقل، والتاريخ مجال بحث وتمحيص، وليس تسلية،

خذ مثلاً قضية سيدنا إبراهيم عليه السلام قال تعالى ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء:٦٩] الأنبياء

يا لها من آلهة تحتاج إلى من ينصرها، لا تستطيع نصر نفسها أنها نفس الحجارة التي مرتّ عبر التاريخ حتى وصلت إلى العرب قبل الإسلام، نفس المواصفات والتفكير – بكلمة (كوني) – وهي الكلمة التي يكون أمر الله فيها بين (الكاف والنون) – بها تخلق الخلائق والأكوان، أن الكلمة التي قالت للنار أحرقي هي التي قالت لها لا تحرقي، وهي التي تقول لسكين إقطعي، وتقول لها لا تقطعي منشئ الأسباب هو نفسه الذي يأمر هو الله سبحانه وتعالى، القدرة المطلقة اللامتناهية هي التي تستقر في أذهاننا ووجودنا وكياننا وكم كان القرآن الكريم دقيقاً في التعبير ﴿بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ ولم تكن برداً وحده – إذن لتجمّد إبراهيم عندما لم يحرق، ولكنه – (سلاماً) – إن التعليل هنا لا يخضع لقضية السبب والمسبّب ولا يخضع للقياس بموازين البشر ولكنها القدرة الإلهية، وما يتكرر في زمن إبراهيم يمكن أن يتكرر في أي زمن – إذا أرادت قدرة الله أن تتحقق – وتمضي الآيات لتتحدث عن المعجزات قال تعالى ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود٧١ :٧٣]، إن الذي خلق الناموس هو الذي يخرق الناموس، المرأة الكبيرة ينقطع أملها في الإنجاب ناموس كوني – ولكن من الذي قدّر هذا – الذي قدّره هو الله سبحانه وتعالى – أن الناموس لا يتحرك آليا – صدفة – دون إرادة قاهرة – وقدرة مطلقة – وهكذا يتحول الناموس إلى ناموس آخر.

قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ «الأعراف١٠٤ :١٠٨» إنها العصا التي تحولت إلى ثعبان، وهو ليس ثعبانا كالثعابين التي خُيّل للناس أنها تسعى بفعل السحر، ولكنها ثعبان حقيقي – التهم وأكل كل هذه الثعابين، وبما أن السحرة يعرفون الفرق بين الحقيقة والخيال، فما كان منهم إلا أن آمنوا لأنهم قد استعملوا عقولهم وهزتهم المعجزة وقادتهم إلى التصديق – وفي قصص موسى عليه السلام مع نفسه وفرعون وقومه معجزات أخرى كثيرة يده التي كانت سمراء وأخرجها فإذا هي بيضاء من غير سوء إن الأقوام التي تتلبد إحساسهم، وتغلق عقولهم، وتصمّ آذانهم إمّا أن يتحولوا أو أن يبقوا في وضعهم رغم ما رأوا ولذا فإن معجزات أخرى يمكن أن تصدمهم أكثر كي يستفيقوا (قال تعالى) ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ «الأعراف١٣٣ :١٣٥»، إن الجموح الذي يعلن الإصرار على ما هو عليه – لأنه يريد الإصرار على التكذيب قبل أن يرى البرهان – حتى إذا رأى البرهان وطد نفسه على الاستمرار في هذا الإصرار، في كل مرة كانوا يسألون موسى أن يرفع عنهم الضّر – وفي كل مرة يرفع الضّر ليعودوا لما كانوا عليه هذه الحال تشبه حال الذين يكونون في البحر في سفينة تقطعت بها الأسباب – وجاءها الموج من كل مكان – فدعا ركابها ربنا أن يتوبوا إذا نجاهم، فلما وضعوا أرجلهم في البر، عادوا إلى ما كانوا عليه – والقرآن يحدثنا عن الكفار الذين يرون العذاب ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، إنها صفة الاستكبار والعنجهيّة.

ولعّل هذه الحالة هي التي دفعت فرعون أن يعلن أنه إله رغم أنه يعلم حقيقة نفسه أنه بشر – حتى إذا أدركه الغرق قال أمنت بالذي آمنت به بنو

إسرائيل، أنها حقيقة الذين يتسلطون ولا يحسبون حساباً لله في حياتهم. وقال تعالى ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف:١٦٠] إنها الرعاية التي يجب أن تقود إلى الهدى، والحصانة التي يجب أن تقود إلى الشكر، تفجير الماء من الصخر – وتظليل الغمام من الحر – والطعام الطيب، ومع ذلك استبدلوا الذي هو خير بالذي هو أدنى ﴿وَإِذ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف:١٧١] إنه ميثاق لا ينسى فقط أخذ في ظرف لا يُنسى – أخذ وقد نُتق الجبل فوقهم كأنه ظُلّه وظنوا أنه واقع بهم، ولقد كانوا متقاعسين يومها عن إعطاء الميثاق فأعطوه.

قال تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الشعراء٦٣ :٦٧]

إن موسى وهو ينفذ أمر الله لم يكن يشك لحظة واحدة بالله وقدرته بل يزداد ثقة بعد ثقة، ما كان مستحيل سيقع. البحر المتلاطم يصبح طريقاً يبساً يسلكه الناس – وهو على الجانبين كل فرق كالطود العظيم، إن الله الذي خلق السنن قادر على أن يجريها على مشيئته وفق ما يريد وعندما يريد ووقف فرعون مشدوهاً بهذا المشهد الخارق وذلك الحدث العجيب.

قال تعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ

عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١)﴾ [مريم ١٦ :٢١] أن هذا الأمر الخارق الذي لا يتصوره بشر، ومريم بشر فهي كذلك تستغرب هذا الأمر ومن حقها أن تستغرب، إنه فوق قدرة التصور والعقل البشري ولكنه أمام القدرة الإلهية التي تقول للشيء كن فيكون أمرٌ هين وسهل ولكن الله أراد منه أن يكون علامة على قدرته ظاهرة للعيان أمام البشر ورحمة لبني إسرائيل وللبشرية بإبراز هذا الحادث الذي يقودهم إلى معرفة الله وعبادته وابتغاء مرضاته قال تعالى:

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)﴾ [مريم ٢٤ :٢٦] طفل وليد ينادي أمه، ويطمئنها – ويرشدها إلى ما يجب أن تعمله أمر مخالف للمألوف البشري قال تعالى (﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)﴾ [مريم ٣٠ :٣١]مريم إنها خارقة العقل أم عذراء، تلد، من غير أب، وتشير إلى طفلها – ويتعجبون من إشارتها – ولكن عجبهم لم يستمر طويلا، بمجرد الإشارة كانت الاستجابة – ويعني مخطط مستقبله الكبير قال تعالى ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩)﴾ [آل عمران:٤٩] وقال تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ

﴿تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾ [المائدة:١١٠].

أن خلق عيسى عليه السلام معجزة – ولكن معجزة خلق آدم كانت أكبر – وخلق السموات والأرض أكبر من خلق النفس فإذا كانت يد القدرة – هي التي تخلق ما تشاء، فإن هذه المعجزات تتسق أيضاً مع خلق عيسى عليه السلام، خلق طير من طين وإبراء من مرض – فإذا كان الله قادراً على خلق ذلك الواحد من غير مثال – فلا حاجة إذن لكل الشبهات التي دارت حول خلق عيسى عليه السلام.

إن هذه الآيات والمعجزات التي أجراها الله سبحانه وتعالى كانت للدلالة على قدرته المطلقة، ولكن تستطعْ أذان وعيون من رأوها حتى يسلموا أو يستسلموا لقدرة الله ويتبعوا النبي الذي أجرى الله هذه المعجزات على يديه – النفس البشرية واحدة في تكوينها – ومنحنياتها واشتقاقها – ولذلك فتعاملها مع هذه المعجزات اختلف بين التسليم والتصديق وبين استمرار الطلب بمعجزات أخرى وهنا جاءت المرحلة السادسة وهي مرحلة تلبية الطلبات.

٦. مرحلة تلبية الطلبات:

أحياناً تكون الطلبات لتثبيت قناعة، أو لتأكيدها العبد يطلب من الله سبحانه وتعالى – والخالق يستجيب مدللاً على وجوده وقدرته اللامحدودة ليضيء السبيل للإنسان يفوّض أمره لله عن قناعة وطمأنينة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾ [البقرة:٢٦٠].

أننا لسنا أمام إنسان عاديّ – أنه الأمة بكاملها – إبراهيم الأواه الحليم – الخليل – المؤمن – العابد – القريب – الراضي – والذي مرّ بأقسى امتحان

يمكن أن يمر به إنسان سماه القرآن الكريم (البلاء العظيم) ونجح في هـذا الـبلاء - هذا النبي أراد أن يتشوف إلى سر الصنعة الإلهية - أراد أن يطمئن إلى يـد الله وهي تعمل بطلاقة القدرة وهو ليس نقاشاً في المبدأ ولكنه نقاش في الكيفية، ومـع ذلك يجيء الجواب من الله سبحانه وتعالى (بأن يأخذ أربعة من الطير ويتأكد من ميزانهّن ثم يذبحهن ويمزق أجسامهّن ويفرقنها على الجبال المحيطة ثـم يـدعوهن فترتد الحياة إليهن ويأتين سعياً، هذا هو السر الذي يعلو على التكوين البـشري إدراكه - إنه الشأن الخاص للخالق صنعة الخالق - إنه الغيب المحجـوب لعـلاّم الغيوب. وتمر المعجزات ملبيـة الطلبـات قـال تعـالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾ [البقرة:٢٥٩] أنهـا في نفـس الـسياق أحيـاء بعـد مـوت - ورواية لما حوله - بعد هذه السنين الطوال لم يتغير - ثم رأى رأيْ العـين حمـاره الذي كان جثة جامدة يتحول إلى دابة فيها الحياة فلما تبين له قـال أعلـم أن الله على كل شيء قدير.

وهذا زكريا عليه السلام يسرد لنا القرآن الكريم معجزته هـو الآخـر قـال تعـالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩)﴾ [مريم:٩] أن زوجه كانت عاقراً، وهو قد بلغ مـن الكـبر عِتيـاً -

كانت نفسه تتوق إلى ذرية ترثه وترث أبناءه من بعده – ولكن لم يطلب أية ذرية لمجرد الطلب – أرادها ذرية راضيةً – فأعطاه الله سؤله بغلام لم يجعل له من قبل سمياً – ومع الطلب والرغبة في الإجابة كان الاستغراب – وكان الجواب (هو عليّ هيّن) مذكراً بأصل خلقه هو (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً).

وهذه قصة الحورايين الذين ألهمهم الله الإيمان بالله ورسوله وضرب بهم مثلاً يحتذى لأتباع الرسل قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة ١١٢ :١١٥]

لقد عاصر الحواريّون معجزات سيدنا عيسى عليه السلام وأشهدوا عيسى على إسلامهم وها هم يطالبون بخارقة جديدة – يعلمون بها أن الله صدّقهم – وتطمئن بها قلوبهم، ويشهدون لمن وراءهم – ومع اختلاف في الروايات بين استمرارهم في الطلب – وبين وقوفهم عند قوله تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ – إن القول الفصل حتى لا تكون الخوارق بدون تبعات وبدون التزامات حتى لا تصبح مجالاً للتسلية.

٧. مرحلة المقارنة:

في هذه المرحلة – وهو طلب حقّ – وهو طلب يتناسب مع قدرة الإنسان – مع إمكاناته – مع عقله وتفكيره – هذا الطلب يتمثل في المقارنة – بين الله سبحانه وتعالى وهو الخالق – لكل شيء وبعض مخلوقاته التي اتخذها الإنسان وجرى نحوها من دون الله – بغض النظر عن وجهته شيطاناً – صنماً – إنسانا – كوكباً – هل أبعد من ذلك رحمة أن تقارن أيها الإنسان بين الخالق سبحانه

وتعالى، جلّت قدرته، ومخلوقاته – هيهات أن يفقه الإنسان هذه الرحمة – وهـذا اللطف الكريم من الخالق – في ذهننا ونحن نجرى كبـشر عمليـة المقارنـة بعـض البديهيات التي لابد من النظر إليها.

البديهية الأولى أننا أتينا من الوجود، لأن كل محدث لابـد أن يـصدر عـن وجود سابق له.

والبديهية الثانية – أن كل من لا يستطيع أن يصنع نفسه لابد له من صانع – والثالثة – أن كل صانع لابد لـه مـن علـم وإرادة ومـواد لـصنع المـصنوع – والرابعة أن الصانع لا يمكن أن يماثل المصنوع – وكيف يماثله وهـو صـورة مـن صور إبداعاته والخامسة – لابد من غائية للصنع – ولكي تتحقق الغائيـة لابـد من استمرار السيطرة على المصنوع – والمصنوعات الكـثيرة وتـسخيرها لخدمـة الإنسان تدل على أن الصانع واحد – وهذا الصانع لابد أن يكون له علـم مـن غير ذاته – ولا يصّح أن يتجدد له العلم أو يزداد أو ينقص ولـيس ثمـة معلـم ولا عالم سواه. والآن إلى بعض من هـذه الحواريـات: قـال تعـالى﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج:٧٣].

وقال تعالى ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾[لقمان ١٠ :١١].

وقـال تعـالى ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

[الفرقان٢ :٣]

وقال تعالى ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [العنكبوت:٤٢].

وقال تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف ٤ :٥].

وقال تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [فاطر:٤٠]

وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم:٤٠]

وقال تعالى ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد:١٦]

وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف ١٩٤ :١٩٧]

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: ٥٠]

٨. مرحلة التحدي

إن العاقل هو الذي يتحدّى عندما يعرف أن للتحدي نتائج ولا يتحدى الإنسان صاحب الإحسان، فما بالك إذا كان التحدي هو للخالق الذي بيده الروح والأجل، ومع أن الله سبحانه وتعالى قد بين وفصل وضرب للناس من كل الأمثال والحجج والبراهين القاطعة والمعجزات المتعددة ليعقلوا الأحداث والأمثال – ويعترفوا بعجزهم أمام قدرة الخالق تعالت وجلت قدرته ليسلموا للباري عز وجل ويفوزوا بنعيم الدارين ولكن أكثر الناس اختاروا طريق الضلالة والغواية على طريق الهدى واتجاه ودار البوار والهلاك على دار الخلود والسلام وإتباع الشيطان وأوليائه على أتباع الله سبحانه وتعالى وأوليائه قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٩]

في هذه المرحلة يبرز الخطاب الإلهي نبرة التحدي لهؤلاء الناس التحدي في كل شيء، في خلق أنفسهم، في الرزق في الماء، في الروح، في الأجل، في القرآن الكريم، كما ذكرنا في قضية الإرادة، والمشيئة، أن الله قد أعطى للإنسان حرية الاختيار حتى يكون هناك ثواب وعقاب، إن الإيمان الطوعي هو الإيمان الذي أرداه الله للإنسان، وهو غير الإيمان التكويني الذي اختاره الله للملائكة، ولعل هذه الميزة أن يأتي الإنسان مؤمنا وهو قادر على غيره، وأن يستقيم وهو قادر على غيره، هذه الميزة هي التي يستحق بها الإنسان التكريم ولو أراد الله للناس أن يؤمنوا قهراً لأراد ذلك قال تعالى ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشعراء ٣ :٤] إن الله من خلال

رسله قد وضع الإنسان أمام خيارين واضحين إمّا خيار الإيمان والتصديق بالخالق ابتداء، وعبادته كما أراد هو لا كما يريد الإنسان، والتقرب إليه بما يريده هو، وذلك من خلال منهج الرسل عبر الرسالات الممتدة عبر التاريخ، وكما تذكر الروايات أن هناك (١٢٠) ألف نبي ورسول، ذكر منهم في القرآن الكريم (٢٥) – نبع رسالتهم ومنهجهم واحد من حيث أصله لنرى الآن بعض الآيات التي تناولت هذه الصيغ من التحدّي قال تعالى ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة ٥٧ :٦٢] ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة ٨٣ :٨٧].

إن هذا أمر النفس – النشأة – الخلق – النهاية – أمر منظور ومألوف وواقع في حياة الناس، فكيف لا يصدّقون أن الله خلقهم.

أن ضغط هذه الحقيقة على الفطرة أضخم وأثقل من أن يقف له الكيان البشري أو يجادل فيه، أن دور البشر في أمر هذا الخلق واضح العيان –. كيف يكون هذا الماء المهيّن إنسانا بعد أن يمر في مراحل الخلق والتنمية وبناء الهيكل ونفخ الروح، إن هذا القدر من التأمل يدركه كل إنسان بما يكفي لتقدير هذه المعجزة والتأثر بها هذه هي البداية – أما النهاية فلا تقل عنها إعجازاً – (كل نفس ذائقة الموت) – هذا الحدث الذي ينتهي إليه كل حي، إنه القدر الذي لا يفلت منه أحداً أبداً، ويستقر في عالم أقل ما يقال فيه أنه غيب مجهول إلا بما أخبر الله سبحانه وتعالى فإذا كنتم أيها البشر بدون حساب ولا جزاء، فأنتم إذن طلقاء غير محاسبين، فدونكم إذن هذه الروح التي بين جنبيكم أرجعوها إن كنتم صادقين أو قادرين – هناك تسقط العلل والحجج، ويثقل ضغط هذه الحقيقة على الكيان البشري فلا يصمد له إلا وهو يكابر بلا حجة أو دليل. قال

تعـالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)﴾ [هود ١٣ :١٤].

وقـال تعـالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ [البقرة ٢٣س :٢٤] .

إن التحدي بقي قائماً في زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم– ومن بعده وما يزال قائما إلى يومنا هذا، وهو حجة لا سبيل إلى المماطلة فيها إن القرآن كان ولا يزال وسيبقى يتميز عن كلام كل البشر، أن التحدي هنا كان مباشرا، فلو استطاعوا أن يأتوا بآية أو سورة – لانتهى أثر القرآن ولكنهم لم ولن يستطيعوا جزم وحزم وتأكيد وتقرير الحقيقة أبدية.

إن القرآن معجزةٌ في حد ذاته، معجزة في لغته وبيانه، مُعجزة في عدم وجود اختلاف فيه، في أول سورة من سور القرآن الكريم كان التحدّي الكبير ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾ [البقرة ١ :٣] لا ريب فيه، بل وأكثر من ذلك عندما نتصفح مكنون القرآن الكريم وطريقة معالجته للنفس والروح والعلائق وتصويره لها، وتقريره للحقائق المختلفة ستجد أن هناك نمطاً آخر من المنهج، متميّز على كل المناهج التي يضعها ووضعها العقل البشري لماذا لأن الذي وضع هذا المنهج وقرره هو ربّ البشر، أنه التحدي الذي يظل قائماً عبر العصور ومع توالي الأيام والسنين قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾ [يونس ٣٧ :٣٨]

وقـال تعـالى ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾ [الإسراء:٨٨] إن الإنسان الذي

اغترّ بعقله الذي خلقه الله، وهو يدرك أن هذا الفعل وحده لا يمكن أن يشكل طريقاً للمعرفة المتكاملة، عندما فشل العقل في الإجابة عن أسئلة الوجود الكبرى التي طرحها وشهد على فشله، ولم يعد أمام الإنسان إذا كانت هذه أدواته المعرفية إلا أن يعترف بالعجز وأن يقبل بالهزيمة وأن لا يعود للتفكير بلغز وجوده المحيّر، وأن يقبل بتواضع مصيره.

يا لها من ضلالة عاتية ولجاجه ماكره، أن يخرج الإنسان من مرحلة التحدي السافره عاجزاً أن يأتي أن يعمل أي شيء من مادة التحدّي ويترك أرض المعركة مهزوماً صاغراً ويدعى بعد هذه الهزيمة أنه يبحث عن الحقيقة عن طريق العقل الذي تبين بوضوح مدى قصوره أمام المعجزات المتتالية والانسحاب من أرض المعركة ذليلاً صاغراً من مرحلة التحدي.

إن أدوات العقل في معرفة تكامل الغيب والشهادة قاصرة على أن تصل إلى المراد المطلوب كاملاً ومن هنا ذهب نفر من الناس إلى المناورة والجدال للافتئات مع الحق وأهله ليضلوا أنفسهم ومن تبعهم وعندما رجموا الغيب بلا دليل وسمّوا أنفسهم (الحكماء) ضلّوا وأضلّوا – ومنهم من أنكر الغيب بالكلية والمطلق – وقالوا إن هي الحياة الدنيا، وذلك ليصنعوا لأنفسهم من المناهج ما تساعدهم على أن يبقوا هم السادة والمتسلطين والأغنياء، ليستمتعوا باللذة والشهوة والمحسوس. والغريب في الأمر أن جميع الذين أقحموا العقل الإنساني في أمور لا يقوى عليها، في الغيب ومكنوناته أو الذين حددوه بالمحسوس، جميعهم يدعون بأنهم أكرموا الإنسان وعقله بهذه الأعمال المتضادة التي تفوح بنسائم الزيف والضلال لما فيها من مكابرة وعناد وافتراءات على الحق والحقيقة.

الإنسان وحرية الاعتقاد

الحرية معناها الواسع تعني أن يملك الإنسان جميع ما يختص به سواء في نفسه أو دينه أو وطنه، وهي تعنى أن ينطلق الإنسان في ميادين العلم يجتهد ويستنبط، وأن يناقش الآراء ويفاضل بينها ويختار ما يراه أقرب إلى الصواب وأن يشارك في الشورى والنصح والنقد والبناء ومصلحة المجتمع العامة.

وتعنى الحرية أن يمارس أصحاب المسؤوليات مسؤولياتهم التي وكلهم المجتمع بها ضمن الحدود التي تسمح بها طبيعة المسؤولية، وإن حبس الحرية أو حجرها على إنسان يعتبر ظلماً وتجاوزاً لسنن الوجود لأن الحرية أمرها فطري، ذلك أن الإسلام دين الفطرة، والإنسان أعطي حقوقاً منذ وجد ملازمة له لا يمكنه التخلي عنها، فقد خلقت العين لتبصر، والأذن لتسمع والعقل ليفكر، فكل ما هو فطري في حركات الأعضاء، والعقل منحة من الله سبحانه وتعالى، ولابد للإنسان أن يباشر ذلك لأن حقه طبيعي والإنسان حرٌّ في حدودها أن لا يؤذي الآخرين أو يعتدي على حرياتهم والحرية في الغالب لها حدوداً، وعليها قيوداً وعندما جاءت الآية الكريمة لتعطي الأمة الأفضلية ربطتها بمحددات ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠]وهذه مهمة شاقة تكفلت بها الأمة لتعديل مسار البشرية نحو الحق والخير ولا يمكن أن ينهض بهذه المهمة أناس لا رأي لهم.

إن الحرية أمر بتوجيه الشرع لا يجوز لأحد التنازل عنها أو الاعتداء عليها، فهي منحة الخالق سبحانه وتعالى كما أن الحرية مضبوطة بقواعد الشرع، نابعة عن علم ومعرفة، واحترام الاختصاصات يرتبط بمعنى الحرية والإعلان عن

الرأي بأسلوب لين كريم وغرس الثقة في قلب الإنسان المسلم من أعلى مراتب الحرية، والإنسان إذا تحرر من ضغط الخوف على حياته، وضغط الخوف على رزقه، أصبح يملك قياد نفسه وواجه الحياة بشجاعة وإقدام.

أن الحرية منحة الله للإنسان، وهي واجب بحق القادر على ممارستها ضمن ضوابطها والمبدأ مقدم على الشخص، فالشخص يعبر عن رأيه وهو معرض للخطأ والصواب أن كرامة الإنسان أساس في التعامل معه، بصرف النظر عن دينه أو جنسه أو لونه، وهذه الكرامة مقررة بنص القرآن الكريم ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء:٧٠] وأن اختلاف الناس سنة كونية، وهو واقع بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فالتفاوت في قدرات الناس الفكرية والعقلية أمر واقعي لا ينكر، لذلك تركت حرية الإنسان للاختيار في مجال العقيدة، قال تعالى ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود:١١٨]

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس:٩٩] وإن المؤمن لا يكلف بمحاسبة الخصوم إذا أنكروا الإيمان بعد مجادلتهم بالتي هي أحسن والأمر موكول إلى الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الحج ٦٨ :٦٩]فلذلك فادع واستقم كما أمرت

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى:١٥]

أن لكل إنسان الحق في أن يعتنق العقيدة التي يشاء، وليس لأحد أن يحمله على تركه عقيدته، أو تبديلها – أو منع إظهار عبادته بالصورة التي يحافظ بها المجتمع على تماسكه، فالشريعة حمت العقيدة من الخارج وحمتها من الداخل.

يقول تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة:٢٦٥]

أن الإكراه ليس من شأنه أن يفرض عقيدة أو قناعة على أحد، بل موافقة ظاهرية، ولا قيمة لإيمان مُكْره، أنها تضمن الحرية للجميع، ويحميهم من الإكراه، أن قضية حرية العقيدة قبل أن تعتمد على التشريع فإنها تعتمد على النفوس زكية مطمئنة وفكر واع يدرك أبعاد هذه الحقيقة.

أن الحرية حقيقة فطرية، وليست منحه، وليست أعطيه من أحد يمتن بها على الآخرين، فالحرية مرسومة في ضمائر الناس وجدت معهم حرّر الله بها الناس من التذلل لغيره، أو التوجه لغيره بالعبادة.

لقد وردت كلمة الحرية في القرآن الكريم عدة مرات ومنها قوله تعالى ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ﴾ [البقرة:١٧٨] وفي الحديث الشريف (من فعل كذا وكذا، فله عدل محرّر) أي أجر معتق، والمحرر هو الذي جعل العبد حراً فأعتق.

أن الحرية في القرآن والحديث هي ضد العبودية بمعنى الرق أما العبودية بالمعنى الإلهي فهي أرقى درجات الحرية، لأن الإنسان العبد لله – هو حرٌ في ذاته وسلوكياته وصفاته ولقد استعملت كلمة (عبد) لله في أرقى درجات التكريم للأنبياء لمحمد –صلى الله عليه وسلم– ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا﴾ [الإسراء:١] وعيسى عليه السلام هو عبد أنعم الله عليه وجعله مثلا لبني إسرائيل وداود وسليمان كلهم عبيد لله، والمؤمنون عباد ويضافون إلى الله فيكونون (عبادي) وهكذا، نجد أن مفهوم العبودية في القرآن الكريم يختلف عن المعنى المتداول بمعنى العبد الذليل للناس بل هو العبد الذليل للخالق، ومتى تحرر الإنسان من عبادة الناس ووحدّ العبودية لله كان حراً، والدين الحقيقي كما يقول ربعي عن عامر هو لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهّار وفي اللغة الحر نقيض العبد،

والحُرُّ من الناس أخيارهم وأفاضلهم والحرة الكريمة من النساء، وهي نقيضه الأمة ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [آل عمران:٣٥].

وقد ربط سقراط فكرة الحرية بالمصير والصدق، وقابلت كلمة الأسير وقال أنها فعل الأفضل، واعتبر ضبط النفس من شروط الحرية الأخلاقية ويربطها أرسطو بالاختيار، والاختيار اجتماعي العقل مع الإرادة وفي الفكر الغربي، الحرية هي قدرة الإنسان وسلطته في التصرف بينما ترى أخرى أنها حكم العقل، وهي القدرة على التصرف حسبما تمليه الإرادة، أو هي حكومة العقل والضمير.

وهي بالمعنى النفسي حالة المرء الذي يستطيع التمييز بين الخير والشر في كل عمل، وهي في أقصى ما تحققه الإرادة من الاستقلال وفي الإطار القانوني، الحرية ليست مطلقة وإنما تظهر بجميع أشكالها لا بمعنى مفرد، ومنها الحريات العامة، والسياسية، ومنها حرية العقيدة، والعبادة، والتفكير، والكتابة، والعمل – إلى هنالك من أنواع الحريات.

وفي الغرب قالوا أن حرية العقيدة، هي حق الأفراد في أن يعتنقوا ما يطيب لهم من المبادئ والعقائد دونما تدخل من الدولة. ومن تعريفاتها أن يختار الإنسان الدين الذي يشاء، بل وأن يختار أن لا يكون مؤمنا بأي دين، وهذا يعني أن تكون الدولة على الحياد، وأن العالم يجب أن تسوده حريات أربع حرية التعبير، وحرية العبادة، والتحرر من الحاجة، والتحرر من الخوف، وهي جزء من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وكذلك نصت الدساتير العربية على حرية العقيدة وأن الدولة تكفلها.

أن المستعرض لأساسيات الدين يجد أن الحرية ركن أساسي فيه، والمسلم يدرجها في دستور حياته، فهي واجب لا مطلب، واجب فرضه الله على عباده ليكونوا مؤمنين، وبذلك تنغرس في نفسه، وتعشعش في وجدانه، يجمّل بها حياته، ويعيش مُعلنا بها على رؤوس الأشهاد.. هي صفاء في النفس يتوجه

الإنسان بها لعبادة الله سبحانه وتعالى، تتجلى بأسمى معاني العبودية، وبما أن تعامل المسلم مع العبادة دائم، إذن تعامله مع الحرية لا ينقطع.

أن حرية العقيدة في الإسلام تدور حول معنى أساسي، وهو ممارسة الإنسان لاختياراته ومراداته دونما إكراه، والإسلام دين الفطرة يحمي في الإنسان حريته واختياره – وأشرف ما يكرم العقل هو تبني عقيدة سليمة، وإن قصر عقل الإنسان عن ذلك فليس لأحد أن يجبره على تبديله أو تغييره.

إن الواقع التاريخي يشهد بأن الإسلام كفكر وعقيدة قد دافع عن حرية الاعتقاد، وقد فرض الإسلام على المسلمين أن يحترموا أصحاب العقائد الأخرى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)﴾ [الأنعام:١٠٨] ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)﴾ [العنكبوت:٤٦]

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾ [الممتحنة:٨]

أن غير المسلم له الهدف أن يختار بين العقائد ما يشاء، ومن هنا قرر الإسلام ضمان حرية المعتقد للأمم التي تحت لوائه، ولكن سلامة النظام العام وأمن المجتمع والأمة الإسلامية يجب أن يكونا حاضرين في الذهن عند ذلك. إن هناك تلازم بين حرية الرأي والتعبير وحرية العقيدة، كما أن إكمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أحد المبادئ التي تتفرع من حرية لرأي وأساس من أسس المجتمع الإسلامي.

أن الاختلاف في الآراء حقيقة ملازمة لحياة الإنسان الاجتماعية حيث نجد هناك فروقاً في التصورات العقلية حتى للمفاهيم الأساسية، ولكن شعور

الأفراد بحريتهم يجب أن لا يكون مطلقاً، لأن ذلك يمكن أن يحطم الفرد كما يمكن أن يحطم المجتمع.

أن للحرية شروطاً وتتميز بأمور عدة، فلا يجوز أن تسلب حرية إنسان مادامت ضمن الحدود المعتبرة في مصلحة المجتمع، ولابد من تبصير الإنسان بحقوقه وواجباته، ولا يجوز أن تمارس الحرية إلا في إطار المصلحة العامة وأن لا تكون وسيلة هدم في المجتمع، وأن تقوم على المشورة والمساواة وتكافل الفرد والمجتمع ضمن مفهوم الحرية، أن حرية العقيدة أوّل من فتح بابها في تاريخ التشريع فهو الإسلام.

أن العقيدة حقيقة ثابتة في الوجود منبعها فطري، ويرفدها الوحي والعقل والفكر، ولكونها في كل حقبة زمنية اعتورتها التواءات وخضعت للاجتهادات والخرافات، لذلك وجدنا تصوّرات مختلفة حول مفهوم العقيدة.

أن العقيدة مشتقة من العقد وهو الربط بين أطراف الشيء ويستعمل في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء وقال تعالى ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾ [المائدة:٨٩] وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١]

فالعقيدة إذن بمعنى ألزم، يقال عقد قلبه على الشيء أي ألزمه واعتقد بمعنى صدّق، وقيل أنها العهد المشدود والعروة الوثقى المستقرة في القلب، الراسخة في الأعماق، أو هي التصديق اليقيني بما جاء من أخبار الغيب مع اقتران ذلك بالعمل.

أما الدين فهو يعني في اللغة القهر والسلطة والحكم والأمر والإكراه على الطاعة واستخدام القوة القاهرة فوقه من دنيا إلى ملكه وحكمه وساسه ودبره وقهره وأذله واستعبده وحاسبه وكافأه، وهو الإطاعة والخدمة والعبدية والتسخر لأحد والائتمار بأمره، ودان له، أي أطاعه وخضع له أو ذل واستكان

أو عبد، وهو الشيء، والقانون والطريقة والمذهب والملّة والعادة والتقليد، وهو الجزاء، والمكافأة والقضاء والحساب قال تعالى ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الصافات:٥٣]

أي مجزيون ومحاسبون.

إن الدين هو وضع إلهي وليس من إيحاء النفس أو تخيل العقل أو تنظيم الإنسان قال تعالى ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى:١٣] وقال تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨]، والدين هو عقيدة وشريعة، ولا تناقض بين الدين الصحيح والعقل القويم.

أن التقديس الذي يتجه إليه الدين والمتديّن، إنما يكون لذات مستقلة قائمة بنفسها، وتكون بين ذات وذات، لا بين ذات وفكرة مجردة، وهذه الذات تتصف بالكمال، فعاله مؤثرة، عاقله، مدبرة، وهب قوة علوية سبحانية قاهرة يخضع لها المتدين، ويقف منها موقف العابد المتواضع يطلب منها الرضا، ويشفق من سخطها وغضبها، والخضوع هنا خضوع حرية وطواعية واختيار، ويؤدي العبادة لها دونما إكراه.

إن العقيدة مغروسة في أعماق النفس الإنسانية بدأت معه منذ وجوده في عالم الذر يوم الميثاق حيث قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]

وقال ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم:٣٠]

وبما أن الدين وحرية الاختيار فيه قضية الدنيا الكبرى وقيمة الحياة الأولى لذلك كان البحث فيه من أشرف مطالب النفس وأعلاها، وأشباع هذا الجانب بالبحث يحقق رغبة سامية لدى النفس الإنسانية.

ما من أمة في التاريخ إلا وكان لها دين، أو إله، ومهما كانت نوعية الدين، بكل خرافاته أو تفاصيله، فإنه يمثل عبر التاريخ واحدة من أقدم وأقدس ما يعتقد به الناس ويمارسوه.

القرآن الكريم يتحدث عن أمة واحدة قال تعالى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة:٢١٣] ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس:١٩] ثم بين القرآن الكريم التحريف الذي طرأ على الدين وتزويره وأسباب ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠]

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص:٤]

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه:٧٩]

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس ٦٠ :٦١]

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣]

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة:٧٥]

لقد اقتضت حكمة الله تعالى ألا يكون خلق آدم، وذريته على هذه الأرض عبثاً، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥]

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١] ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]

لقد بين القرآن الكريم أن العقيدة الأولى السليمة القائمة على عبادة الله وحده نشأت مع نشأة آدم عليه السلام وهو أول مخلوق بشري وأن آدم لم يُسرْ إليها فيطلبها بل سارت إليه فحملها، وإن لم يعرف ربه بنور التفكر المجردبل بنور الوحي والاصطفاء والاجتباء والعهد ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ [آل عمران:٣٣] ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه:١٢٢]

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧]

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]

إن حرية الاعتقاد السليم، المرتبطة بالفكر السليم، لابد أن تتجه الإيمان بالله سبحانه وتعالى وهو الأصل الأول من أصول الاعتقاد وهو لب العقيدة ومحور البيان.

أن الفطرة السليمة تشهد بوجود الخالق، وأنه سبحانه وتعالى حقيقة ثابتة غرست في النفس الإنسانية وجبلت عليها، ﴿ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [إبراهيم:١٠].

﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم:٣٠]

وكما أن الفطرة السليمة تدل على حرية الاختبار لخالق واحد، فإن الإدراك الحسي والاستنتاج العقلي والبحث المنطقي لابد أن تؤدي إلى نفس الاتجاه.

أن العقيدة السليمة لها أثر في استقامة النفس الإنسانية، وفي حل ما يطرأ من إشكالات نفسية، وفي بعث القيم الإنسانية السامية وتحقق عزته وترسخ كرامته، وتحرره من الطغيان، وتقوي الإرادة وتشعره بالحرية.

فالعقيدة تحرر الإنسان في ضميره ووجدانه، وهي تحقق السعادة النفسية.

إن العقيدة توجه رغائب الإنسان نحو الخير، وتروض غرائزه بما يحفظ له نفسه، وتصون علاقاته الاجتماعية وتزوده بدوافع التفاعل مع معطيات الوجود، اعماراً للحياة واستغلالاً في الوقت نفسه بعبادة الله.

أن الأخلاق في الإسلام موجه تعتمد على أسس تشريعية ومنهجية منضبطة مستمدة من مصدرها الأول القرآن الكريم ومن سنة الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

إن مسألة العقيدة – مسألة متعلقة بالوعي قبل كل شيء، وهذا الوعي له حقيقة متصلّة بالوجود، والعقيدة حقيقة فطرية، يجدها الإنسان مستقرة في قرارة نفسه، محتاجاً إليها، وإذ انحرف بعض الناس بالفطرة عن مسارها الصحيح، فلا يعنى ذلك أن وجه الحقيقة قد تغير، فالكون له جمال ونظام، فإذا احتجب الجمال عن الناس، وأسفر لأناس، فليس ذلك بقارح في وجود الكون وجماله ونظامه.

إن تغلغل العقيدة في عمق الإنسانية، ونعلّق موضوعها بالقناعة، يجعلها أمراً متعلقاً بذات الشخص وحده، منفصلاً عن تأثير ما حوله تأثيراً كاملاً فلكل إنسان كيانه الخاص به، وعلى هذا الأساس يكون الحساب في الآخرة وهذا أمر يجعل من العقيدة بطبيعتها، بعيدة عن الغرض على النفوس والعقول عن طريق الإكراه والإلزام، لاستقلالية هذا الشأن في كل إنسان على حدة من هنا نعرف سرعة توجه النداء القرآني بشأن العقيدة إلى العقل والفكر ثم أمر الناس أن يسرّحوا أنظارهم في هذا الوجود بما فيه من دلائل وبينات وآيات عظيمة تدل على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

أن الإكراه ليس من شأنه أن يفرض عقيدة أو قناعة على إنسان ما، فهل يوافق الإنسان أو يسلم دونما قناعه.

أن الحرية بمعناها الواسع تعنى أن يملك الإنسان جميع ما يختص به سواء في نفسه أو دينه أو وطنه، ومن هنا كانت الحرية أصلاً من أصول الفهم الإسلامي لمسار الحياة، وإذا رجعنا إلى الفترة الزمنية أو الترتيب الزمني لآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، وجدنا أنه في سياق التاريخ الإسلامي قام الرسول -صلى الله عليه وسلم- أولاً بإرسال رسائل إلى ملوك الأرض في حين يدعوهم إلى الإسلام، إذن الرسالة الأولى كانت إلى الحكام، أما أن يسلموا أو أن يخلوّا بين الدعاة والقيام بمهمة التبليغ للناس، وعندما يقوم الحكام بتنفيذ ذلك، لا توجد مشكلة معهم، إذ لابد من عرض الإسلام على الناس عرضاً صحيحاً يُترك بعد ذلك حرية الاختيار، وعندما يمتنع الحكام عن ذلك لابّد من إيجاد طريقة لمنعهم من ذلك، ومن هنا كان الجهاد ليس لفرض عقيدة وإنما لفتح الطريق أمام عرضها ثم ترك الناس بعد ذلك أحراراً يختارون ما يشاءون ويعتنقون ما يريدون.

الإنسان منذ أن خلق تركت له حرية الاختيار، وذلك لإنه أعطي العقل القادر على التميز والذي به تفضل على سائر المخلوقات ولكن الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان ليجتهد بالطريقة التي يراها مناسبة لعبادته والتقرب إليه، من هنا كان دور الرسل منذ آدم عليه السلام وحتى محمد -صلى الله عليه وسلم- وظيفتهم بتصير الناس بما يفعلون ولا يفعلون، ليس لهم سلطان إلا الإقناع والبلاغ، وكان الناس يتمادون أحياناً في طلب المعجزات من أجل الإيمان، وكانت تستجاب، ولكنها أحياناً تكون مشروطة عند تنفيذها كما طُلبت، أن تكون نتائجها في حالة عدم الإيمان، على الإنسان نفسه، عذاباً أو وبالاً، والنفوس السوّية تقبل الحق عندما يعرض عليها، وأحيانا يمكن أن يصل الناس أصحاب العقول والألباب إلى الإيمان بوجود خالق منطقاً وعقلا وحساً واستنتاجاً.

حرية الاختيار في الإسلام يترتب عليها قناعات، والتزامات وحتى لا يكون أمر الدين لعبة سهلة، ودخول وخروج، فإن الإسلام قد رتب التزامات على من يدخل فيه، حتى يصان الدين وبنية المجتمع من محاولات العبث التي يمكن أن تؤدي به أحياناً عن تخطيط وقصد، إيمان بأول النهار، وكفر به آخره لعلّ الناس يرجعون عن الدين.

حرية الاختبار، أي حرية اختيار العقيدة والمنهج، أمر متروك للإنسان في الحياة الدنيا، ولكن الله يفصل يوم القيامة بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، دار العمل، متروك للإنسان فيها حرية الاختيار، أما دار الجزاء فهي الدار التي يجازي فيها الإنسان على فعله، وعلى ما قدمت يداه.

أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان والجان دون سواهما تشريعاً لا تكوينا لعبادته، وفيهما الاستعدادات المتساوية نحو الخير والشر، والهداية والضلال ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١)﴾ [البلد ٨ :١١].

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا (٢)﴾ [الإنسان:٢]

أن الحرية الإنسانية صفة يحملها كل بني البشر.

إن الإنسان مسؤول عن اختيار عقيدته، ومسؤولية واضحة في الهدى والضلال وما يترتب عليهما من تبعات، ولقد حرم الإسلام على المسلمين إجبار الآخرين كرهاً على الدخول في الدين ومن مهمات الرسل الأساسية البلاغ ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٢٠)﴾ [آل عمران:٢٠].

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٩٢)﴾ [المائدة:٩٢]

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ [هود:٥٧]

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات ٥٤: ٥٥]

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة:٦]

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن:١٢]

إن الذين يتولى الناس على اختيارهم هو الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران:٣٢]

أن دور الداعية إلى الله ينتهي بعد عملية التبليغ، دونما إجبار أو إكراه على ما اختاروه بإرادتهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤]

إن الهداية للإنسان تتحقق باختياره هو للإيمان، لا بإجبار الآخرين له على الإيمان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس:٩]

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل:٨٢]

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩]

إن حرية الاختيار يترتب عليها التبعات التي تتلوها إيمانا وكفراً، هداية أو ضلالة ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩]

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء:٨٤]

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإنسان:٢٩]

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ [عبس ١١ :١٢]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التكوير ٢٧ :٢٨]

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون ١ :٦]

إن الإرادة الإنسانية إرادة حرة، تنبعث من داخل النفس، والذي يوجهها غائية النفس الإنسانية، فإذا حددت غايتك بالحياة الدنيا، رتبت أمورك على هذا الاختيار، وإذا حددت غايتك الحياة الأخرى والدنيا مطيّه لها، رتبت أمورك على هذا الاختيار.

أن كل الخيارات متاحة أمام النفس الإنسانية، لتنتقي منها ما تشاء ولتتحمل مسؤولية هذا الاختيار، وهناك مجالات كثيرة تظهر فيها حرية الإرادة والاختيار، وحرية العقيدة والاعتقاد مثلاً ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الروم ٣٨ :٣٩]

ومنها اختبار طريق الإصلاح بين الناس، وهو وجه من أوجه الحرية، ومنها الإرادة في الإعداد للجهاد (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) ومنها الإرادة الإنسانية

والفجـــور ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾﴾ [القيامة:٥]، ومنهـــا الإرادة الإنـــسانية والضلال (ألم تروا إلى الذين أوتوا نصيباً مـن الكتـاب يـشترون ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء:٤٤]

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء:٢٧]

أن الزعم بالإيمان، لا يعنـى الإيمـان ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء:٦٠]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ [النساء:١٥٠]

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى:٢٠]

هناك إرادتان واحدة لحرث الدنيا، والإجابة نزوله في حرثة، والثاني يريـد حرث الآخرة، وهذه إرادته والله يوفقه لذلك.

وفيمـا يتعلـق بخضوع الإرادة الإنـسانية لإرادة الله تعـالى فـإن الإرادة إذا خرجت من دائرة النية والقصد والتوجه إلى دائرة النفـاذ والعقـل والتـأثير فـلا يمكنهـا ذلـك في حـال تعارضـها مـع إرادة الله سـبحانه وتعـالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٢]

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى هديه من خلال رسله إلى النـاس كافـة ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ

فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤].

إن هذه الهداية المنزلة من الله سبحانه وتعالى على عباده هي حجته على خلقه يوم القيامة، وأن بمقدور النفس الإنسانية أن تختار الهداية بإرادتها وحريتها، وأن الهداية قرار إنساني ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران:١٠١]

وقد نسب الحق الهداية إلى الإنسان وذلك من خلال اختياره لها قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة:١٠٥]

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس:١٠٨]

﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء:١٥]

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل:٩٢]

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الزمر:٤١]

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس:٩]

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧]

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم:٧٦]

إذن الهداية قرار إنساني وحرية الاعتقاد قرار إنساني وكذلك الضلالة قرار إنساني.

إن النفس الإنسانية تتمتع بمشيئة حرة ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾ [الكهف:٢٩]

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (١٩)﴾ [المزمل:١٩]

وهناك أمر لابد من مناقشته ولو بشكل مختصر وهو فهم المشيئة الإنسانية في الهدى والضلال وحرية الاعتقاد والمشيئة الإلهية الكبرى.

أن كل ما يحدث في الكون لا يخرج عن حدود المشيئة الإلهية مثلاً ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٥٦)﴾ [المدثر ٥٤ :٥٦]

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠)﴾ [الإنسان ٢٩ :٣٠]

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾ [يونس:٩٩]

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾ [الأنعام:١٤٩]

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨)﴾ [هود:١١٨]

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)﴾ [السجدة:١٣]

والمشيئة الإنسانية تتبلور في قوله تعالى

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥)﴾ [المدثر٥٤ :٥٥]

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزّمل:١٩]

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير:٢٨]

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس:٨]

إن المشيئة الإنسانية يمكن أن تظهر في العبادة ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزُّمَر:١٥]

ومشيئة الإنسان في الهداية ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام:١٠٤]

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣]

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الزُّمَر:٤١]

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف:٣٥]

وهناك مشيئة للإنسان في الكسب، ومشيئة الإنسان في الحياة الزوجية ومشيئة في الطعام والعمل والتصرف بالأموال والقول ومشيئة في الهداية والضلال ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس ٧ :١٠]

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود:١١٨]

إن الإنسان وهو أكرم ما في الوجود، له موقع في نظام الوجود، فهو يملك نوعاً من الحرية والاختيار، وله إمكانات في فعالياته، وتلك الإمكانات ليست متوفرة للموجودات الأخرى منها الحيوانات ولأن النظام العيني يستمد وجوده من النظام العلمي، ومنبع العالم الكياني هو العالم الرباني، أن الله يعلم من الأزل من هو الذي سوف يطبع باختياره، وحريته، ومن هو العاصي كذلك،

والذي يوجه ذلك العلم هو أن يطيع ذلك المطيع بإرادته، وأن يعصى ذلك العاصي بإرادته وهذا معنى قول القائلين -كما قلنا سابقاً- أن الإنسان (مختار بالأجبار) فلا يمكنه إلا أن يكون مختاراً، فليس للعلم الأزلي أي دخل في سلب الحرية والاختيار، وأن يجبره على الطاعة أو المعصية).

إن الإنسان خلق مختاراً حراً، أعطى فكراً وإرادة، فهو ليس جماد يتدحرج، أو نبات له طريق واحدة، أو حيوان غريزي، وهنا تبرز مقوماته الشخصية، وصفاته الأخلاقية، ومسبقاته التربوية والوراثية ومقاييسه العقلية، ونظراته البعيدة، فيعلم إلى أي حد يكون القرار إيجابياً وسلبياً في اتجاه الاختيار الصحيح.

أن هناك أمور لا دخل للإنسان فيها، لقد أتى أولاً إلى الحياة بغير إرادة منه، وسيذهب أيضاً بغير إرادته، ولا دخل بلونه وشكل جسمه، كما لا دخل له أن يكون ذكراً أو أنثى، ولكن الاختيار وهي الدائرة الثانية تدخل في دائرة خلق الإنسان تشريعاً للعبادة وليس تكويناً، ومعنى التكوين أن المخلوق من طبيعته أن يكون طائعاً لأنه لا يقوى إلا على ذلك، وهؤلاء هم الملائكة أما الذي خلق تشريعاً للعبادة، فالله أودع فيه من ملكات تجعله إما يتبع الشرع أو يعصي الله قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه ١١٦ :١١٧]

واضح أن الجن والإنس عندهما القدرة التي جسدها الله على الإقبال على الطاعة أو الإدبار عنها، ولو خلقا تكوينا للطاعة، لما كان بإمكانهما أن يعصيا الله سبحانه وتعالى.

لم يترك الله سبحانه وتعالى الإنسان يختار، حرية الاعتقاد، ضلالة أو هدى، إيمانا أو كفراً، دونما بلاغ، حتى يكون هناك حساب وثواب ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ

وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ (١٣٠)﴾ [الأنعام:١٣٠].

وأن مهمة الرسل للبشر لا تتعدى دائرة البشر لمن آمن والنذير لمن كفر ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨)﴾ [الأنعام:٤٨]

ولقد ركب الله سبحانه وتعالى في النفس الإنسانية الملكة العقلية والتي يستطيع من خلالها أن يميز بين الخير والشر ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾ [الإنسان ٢ :٣]

أن جانب الفجور موجود في الإنسان، وجانب التقوى موجود فيه، فالجانب الأول يقوده إلى أتباع الشيطان والثاني إلى أتباع الحق بإرادته؛ وعبادته، في كل ما يريده.

إن الذي يقرأ كتاب الله سبحانه وتعالى من أوله إلى آخره يعلم علم اليقين أن هذا الكتاب يخاطب إنسانا عنده القدرة على الاختيار بين الحق والباطل، بين أتباع النهج الإلهي، والنهج الشيطاني، ولو لم يكن بمقدور المخاطب في هذا الكتاب القدرة على الاختيار، لبطل جميع ما في هذا الكتاب من آيات وما احتوت عليه من حكم وعلوم، وأوامر ونواه.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾ [الكهف:٢٩]

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾ [يونس:٩٩]

لقد شاء الله للإنسان أن يمارس حرية الاختيار، ولكن ذلك في ظلال المشيئة الإلهية، يعني السماح له أما بالإيمان أو بالكفر، وقد خلط بعض الناس بين مشيئة الله، وعلمه الأزلي لكل ما يجري في ملكوته، وقضاء الله وقدره، إن الذي يريد الدنيا على حساب الآخرة يعطيه منها ويزيده طالما هو رغب في ذلك وأراد والعكس كذلك، إذا أراد الآخرة وسعى لها سعيها، فأولئك كان سعيهم مشكوراً وأحيانا يتذبذب الإنسان خيراً ثم شراً ثم خيراً، أو شراً ثم خيراً، ثم شراً يقول تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران:٩٠]

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُّمر ٥٣ :٥٤]

إن أعمال الإنسان التي يقوم بها في الحياة الدنيا بمحض إرادته هي التي ستقوده إلى جنة الفردوس، وإما إلى نار جهنم وبئس المصير.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة ٦ :٨]

إن علم الله سبحانه وتعالى الأزلي أي معرفة الأحداث قبل وقوعها فهو لا يفاجأ بشيء يجرى في ملكوته، هذا لا يؤثر على حرية الاختيار، فالإنسان يسعى نحو هذه الأمور التي تدخل مناط التكليف بحرية كاملة، لا تتأثر بعلم الله سبحانه وتعالى وتقديره للأمور، لأنها تعد غيباً بالنسبة للإنسان، في الوقت الذي تكون معلومة منذ الأزل لله سبحانه وتعالى، وهذا هو الفرق بين الخالق والمخلوق ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فصلت:١٨] إن أكبر ربح أو خسارة للإنسان، في هذه الحياة الدنيا وهو الكفر أو الإيمان، أي حرية

الاعتقاد، جعله الله اختياراً من الإنسان بما ركب فيه من ملكات، فما بالنا نضيق إذا اختلفنا في رأي دنيوي، أو أسلوب حياة، أو تنوع حضارة، فإذا كان الاختلاف في العقيدة أمر قد صانه الله سبحانه وتعالى عن الجبر والإكراه، فإن الاختلاف في الرأي وهو اجتهاد بشري محض، في أمور دنيوية حياتية بحته، أو تنوع وسائل معيشته وما سواها، أدعى إلى القبول، حتى يعيش الناس في ظلال قوله تعالى (لتعارفوا).

وقفات مع النفس الإنسانية

النفس في القرآن الكريم

لقد تكررت كلمة النفس ومشتقاتها في القرآن الكريم (٢٩٥) مائتان وتسع وخمسين مرة. بالاسم المجرد ٦١ مرة ونفساً ١٤ مرة ونفسك (١٠) مرات ونفسه (٤٠) مرة ونفسها مرتين ونفس ١٣ مرة والنفوس مرة واحدة ونفوسكم مرة واحدة والأنفس ٦ مرات وأنفسكم ٤٩ مرة وأنفسنا ٣ مرات ونفسهم ٩١ مرة وأنفسهم ٤ مرات هذا النفس وهي الكل المركب من الجسد والروح – والتي ينظر إليها القرآن الكريم نظرة كاملة متكاملة، وهي مجموع سمات الجسد والروح، وصفات الكل شيء، وصفات الأشياء المكون منه هذا الكل شيء آخر، فضلاً على أن الكل كوحدة هو غير مجموع عناصره وأجزائه.

لقد تعامل القرآن الكريم مع النفس الأمارة ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾ [يوسف:٥٣] وتعامل مع النفس اللوامة لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة ١ :٢] وتعامل مع النفس المطمئنة ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر ٢٧ :٣٠]، وتعامل مع النفس الزكية ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ۝٧٤﴾ [الكهف:٧٤]

وتعامل مع النفس الحوازية حيث قال تعالى ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾ [المجادلة:١٩] وتعامل مع النفس الظالمة وقد ورد لفظ الظلم ومشتقاته في

القـرآن الكـريم (٢٨٩) مـرة. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص:١٦]

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل:١١٨]

وتعامل مـع الـنفس المجاهـدة ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩]

وقد وردت لفظة الجهاد ومشتقاتها في القـرآن الكـريم ٢٨ مـرة وأكثرهـا مرتبط بجهاد النفس.

وتعامل القرآن الكريم مع النفوس المريضة وهي الـتي تنعمـي عـن روايـة الحقيقة، لدى صاحبها عقل لكنه لا يفيده في الإدراك وفي أوائل سـورة البقـرة آيات متصلة تتحـدث عـن هـؤلاء النـاس وفيهـا قولـه تعـالى ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة:١٠]

أكدت الآيات أولاً أن النفس هي الإنسان "جـسم وروح"، كمـا أكـدت أن النفس فيها جانبان "خيّر وشرير" فإذا اختارت جانـب الخـير كانـت مـن ثمارهـا الصفات الإيجابية وإذا اختارت جانب الشر كان من ثمارها الصفات الـشريرة، أما الروح فهي من علم الله والغيب التي استأثر الله سبحانه وتعالى بها، والهداية والضلال قرار إنساني بشري، والإنسان هو الذي يختار، أي أنه حر الإرادة، حر الاختيار، ولم تكن هذه الحرية بمعـزل عـن وضـوح الهـدف والـسبيل ومجريـات الحياة، فالمتتبع لآيات الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، سيجد ما ينبغي فعلـه، وما ينبغي تركه، كل معروض بإيجابياته وسلبياته، وما على الإنسان إلا أن يختار بحرية وإرادته وكل عناصر التكليف التي بينها الله سبحانه وتعالى إنما هي ضـمن الطاقة والوسع، وليست خارجة عنهما، ولكي يكون الإنسان على بينة من أمره فقد حدد الله له ابتداء من هو العدو الأول، وما هي أساليبه ومتطلباته وأهدافه، ألا وهو "إبليس" أو "الشيطان" كل هذا يكون في المرحلة العمريـة في الحيـاة الـدنيا، والتي سيموت بعدها الإنسان أو ستموت هذه النفس، في حياة برزخية مفصولة

عن الحياة الدنيا، ومفصوله عن الحياة الأخرى، لها شواخص حددها القرآن الكريم وليس لنا من سبيل إلى معرفة كنهها إلا من خلاله وبما أن الإنسان بهذه الكيفية التي ذكرناها من حرية واختبار فإن الانعكاسات التربوية تنطلق من إمكانات التغيير سواء جرى هذا التغيير في اتجاه إيجابي أو اتجاه سلبي، لأن عملية التغيير جاءت في القرآن الكريم بصيغة عامة دونما الإشارة إلى أي من الاتجاهين، كما أنها عامة وغير مرتبطة بإنسان محدد أو دين محدد أو فلسفة محددة، كما أنها جاءت بصيغة (القوم) – لتدل على نفس المعنى العام. فإرادة التغيير مرتبطة بقرار الإنسان أو القوم، وهذا يتطلب حرية الإرادة في اختيار القرار.

أن الاعتماد على العقل وحده في فهم الطبيعة الإنسانية كما فعل الفلاسفة اليونانيون، أو ممن تأثر بهم من الفلاسفة المسلمين – جعلهم ينطلقون من فرضيات لا من حقائق، ومن نظريات لا من بديهيات، وتراوحت النظرة بين كون هذا الإنسان حيوانا ناطقاً – كما عبر عن ذلك أرسطو، وبين كونه مكون من عقل وجسم، فالعقل هو المكلف بالاتصال بالأفكار الثابتة في عالم الروح بينما الجسم متغير ومصيره إلى الفناء – وبين كون الإنسان شراً مطلق وخيراً مطلق كما قال هوبز وروسو. وقد سار كثير من الفلاسفة المسلمين وراء الفلاسفة اليونانيين في تصورهم لطبيعة الإنسان.

إن قضايا النفس الإنسانية تمتد إلى ما وراء عالم المحسوس إلى غيب الخلق الأول، والروح – والفطرة – ومن ثم الموت والبرزخ والبعث والجنة والنار – ومن هنا تأتي أهمية دراسة النفس والروح والإنسان – من خلال القرآن الكريم.

هذا الإنسان المتوازن – الذي خلق ليكون خليفة في الأرض – خلق تشريعاً لا تكوينا في علاقته مع الخلافة – وأنيطت به مهمة عمارة الأرض – هي نفس مبصرة – وبصيرة – ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ «القيامة:١٤»

الإنسان مميز بنوعه – كإنسان وليس من خلال تطوره من جنس آخر، منذ آدم عليه السلام، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها – الإنسان هو الإنسان – بخلقه وتكوينه – بنفسه وروحه، خلق ويموت ويبعث إنساناً.

وعليه فإن النفس الإنسانية تحمل من القدرات ما يجعلها قادرة على التمييز وأول هذه القدرات وأهمها قدرة العقل، ومن هنا كانت حرية الإرادة والاختيار والتمييز والقدرة على اتخاذ القرار ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨]

هذه النفس جبرية في إطار القضايا التي لا دخل لها فيها وأهمها نهاية النفس وما يؤدي إليها، ولكنها مسيّرة في اتخاذ قراراتها وأهمها قرارات الهداية والضلال.

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣]

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة:٢٦٥]

أن النفس الإنسانية مخلوقة، وهي مخلوقة لهدف محدد هو عبادة الله سبحانه وتعالى والذات الإنسانية مفطورة على عقيدة التوحيد، وهي مركب فيها من جانبي الخير والشر، والفجور والتقوى، ولكنها تتمتع بحرية الاختيار، فهي إما تختار طريق الحق وهي النفس اللوامة أو جانب الشر وهي الأمارة بالسوء، وقدرات النفس الإنسانية ليست مطلقة وإنما هي مقيدة ومحدودة، وهي مجبولة على حب الشهوات، وستخوض تجربة الموت، وستتعرض يوم القيامة للحساب، فإما على الجنة أو إلى النار، حيث لا موت، ويكون الخلود الأبدي بعد مرحلة الحياة الدنيا.

سنستعرض تالياً الآيات التي تحدثت عن النفس في القرآن الكريم مرتبة حسب السور ثم نستعرض محوري الخير والشر في هذه النفس.

١. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٩ النفس تُخْدع

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة:٩]

٢. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٤٤ لا تنسى نفسك

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٤]

٣. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٤٨ النفس لا تجزي عن غيرها

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨]

٤. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٥٤ الإنسان يظلم نفسه

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة:٥٤]

٥. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٥٧ الإنسان يظلم نفسه

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧]

٦. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٧٢ (القتل للنفس) يعنى للجسم

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [البقرة:٧٢]

٧. سورة البقرة – سورة ٢ آية ٨٤ (الخروج عن أمر الله)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة:٨٤]

٨. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٨٥ (تقتلون أنفسكم)

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة:٨٥]

٩. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٨٧ (النفس عندما لا تهوى وتحب تقتل)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧]

١٠. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٩٠ (التجارة الخاسرة)

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة:٩٠]

١١. سورة البقرة – سورة ٢ آية ١٠٢ (التجارة الخاسرة)

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا

يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[البقرة:١٠٢]

١٢. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ١٠٩ (الحسد)

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة:١٠٩]

١٣. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ١١٠ (ما تقدموا لأنفسكم)

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة:١١٠]

١٤. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ١٢٣ (النفس لا تجزى عن نفس)

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة:١٢٣]

١٥. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ١٣٠ (اختبار النفس)

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة:١٣٠]

١٦. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ١٥٥ (النقص والابتلاء)

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة:١٥٥]

١٧. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ١٨٧ (خيانة النفس)

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة:١٨٧]

١٨. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٠٧ (شراء النفس هو الحياة)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة:٢٠٧]

١٩. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٢٣ (ما يقدم هو الأساس)

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٢٣]

٢٠. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٢٨ (أي بذاتهم)

﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٢٨]

(النفس هي الجسم) (والمطلقات يتربصن بأنفسهم)

١. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٣١ (ظلم النفس)

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)﴾ [البقرة:٢٣١]

٢. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٣٣ (النفس لا تكلف إلا وسعها)

﴿ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)﴾ [البقرة:٢٣٣]

٣. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٣٤ (النفس تنتظر)

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)﴾ [البقرة:٢٣٤]

٤. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٣٥ (النفس تخفى)

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)﴾ [البقرة:٢٣٥]

٥. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٤٠ (تعمل المعروف)

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾ [البقرة:٢٤٠]

٦. سورة البقرة – سورة ٢ آية ٢٦٥ (تثبيت النفس)

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة:٢٦٥]

٧. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٧٢ (ما تنفقوا من خير فهم لكم)

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة:٢٧٢]

٨. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٨١ (كل نفس ما كسبت توفى يوم القيامة)

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١]

٩. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٨٤ (النفس تبدي وتخفي)

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة:٢٨٤]

١٠. سورة البقرة – سورة ٢ – آية ٢٨٦ (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦]

١١. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ٢٥ (توفّي الأجور)

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [آل عمران:٢٥]

١٢. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ٢٨ (تحذير الله)

﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران:٢٨]

١٣. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ٣٠ (النفس تجد الخير والشر يوم القيامة)

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران:٣٠]

١٤. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ٦١ (الأنفس تعنى ذوات الأشخاص)

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران:٦١]

١٥. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ٦٩ (النفس تضلّ)

﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [آل عمران:٦٩]

١٦. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ٩٣ (التحريم على النفس)

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران:٩٣]

١٧. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١١٧ (النفس تظلم ذاتها)

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧]

١٨. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٣٥ (الإنسان يظلم ذاته)

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران:١٣٥]

١٩. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٤٥ (موت النفس)

﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران:١٤٥]

٢٠. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٥٤ (أنانية النفس)

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران:١٥٤]

١. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٦١ (توفى ما كسبت)

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [آل عمران:١٦١]

٢. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٦٤ (من انفسهم اي من بينهم)

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٤]

٣. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٦٥ (المصيبة من النفس)

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٥]

٤. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٦٨ (النفس لا تحمى ذاتها من الموت)

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٨]

٥. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٧٨ (هل هناك خير للنفس في حالة الكفر)

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٨]

٦. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٨٥ (النفس تمدح)

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥]

٧. سورة آل عمران – سورة ٣ – آية ١٨٦ (ابتلاء النفس)

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٦]

٨. سورة النساء – سورة ٤ – آية ١ (الخلق من نفس واحدة)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١]

٩. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٤ (النفس تطيب عن الشيء)

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾

[النساء:٤]

١٠. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٢٩ (لا تقتلوا انفسكم) بالمعاصي

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء:٢٩]

١١. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٤٩ (لا تزكي النفس)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾

[النساء:٤٩]

١٢. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٦٣ (قل لهم في انفسهم) (أي عظهم)

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء:٦٣]

١٣. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٦٤ (ظلم النفس وارد والاستغفار وارد)

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾ [النساء:٦٤]

١٤. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٦٥ (تسليم النفس لله)

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [النساء:٦٥]

١٥. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٦٦ (الإنسان يقتل نفسه)

﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ ﴾ [النساء:٦٦]

١٦. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٧٩ (الحسنة من الله والسيئة من نفسك)

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ [النساء:٧٩]

١٧. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٨٤ (لا تكلف إلا نفسك)

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ ﴾ [النساء:٨٤]

١٨. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٩٥ (الجهاد بالنفس)

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ ﴾ [النساء:٩٥]

١٩. سورة النساء – سورة ٤ – آية ٩٧ "ظلم النفس" سبب رئيسي لسؤال الملائكة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء:٩٧]

٢٠. سورة النساء – سورة ٤ – آية ١٠٧ "خيانة النفس"

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ [النساء:١٠٧]

١. سورة النساء – سورة ٤ – آية ١١٠ (الظلم والمغفرة)

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠]

٢. سورة النساء – سورة ٤ – آية ١١١ (الأثم يكسب على النفس)

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾ [النساء:١١١]

٣. سورة النساء – سورة ٤ – آية ١١٣ (الإنسان يضل نفسه)

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء:١١٣]

٤. سورة النساء – سورة ٤ – آية ١٢٨ (النفس بخيله)

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء:١٢٨]

٥. سورة النساء – سورة ٤ – آية ١٣٥ (العدل ولو على النفس)

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء:١٣٥]

٦. سورة المائدة – سورة ٥ – آية ٢٥ (لا أملك إلا نفسي)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة:٢٥]

٧. سورة المائدة – سورة ٥ – آية ٣٠ (النفس طوّعت له)

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة:٣٠]

٨. سورة المائدة – سورة ٥ – آية ٣٢ (قتل النفس تساوي قتل الناس)

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة:٣٢]

٩. سورة المائدة – سورة ٥ – آية ٤٥ (النفس بالنفس)

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾ [المائدة:٤٥]

١٠. سورة المائدة – سورة ٥ – آية ٥٢ (النفس تحتفظ بالسر)

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾ [المائدة:٥٢]

١١. سورة المائدة – سورة ٥ – آية ٧٠ (النفس قد لا تهوى الحق)

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)﴾ [المائدة:٧٠]

١٢. سورة المائدة – سورة ٥ – آية ٨٠ (النفس تخضع للإغراءات)

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)﴾ [المائدة:٨٠]

١٣. سورة المائدة – سورة ٥ – آية ١٠٥ (المطلوب هداية النفس أي ذات الإنسان)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾ [المائدة:١٠٥]

١٤. سورة المائدة – سورة ٥ – آية ١١٦ (الله يعلم ما في النفس)

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦]

١٥. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ١٢ (الله يكتب على نفسه الرحمة)

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام:١٢]

١٦. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ٢٠ (الخسارة هي خسارة الآخرة)

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنعام:٢٠]

١٧. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ٢٤ (الإنسان يكذب على نفسه)

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام:٢٤]

١٨. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ٢٦ (الإنسان يهلك نفسه)

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام:٢٦]

١٩. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ٥٤ (الله يكتب على نفسه الرحمة)

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام:٥٤]

٢٠. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ٧٠ (النفس تُجازي إما بالخير أو الشر)

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنعام:٧٠]

١. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ٩٣ (النفس عند الموت، وموقف الملائكة منها)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام:٩٣]

٢. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ٩٨ (أصل الخلق من نفس واحدة)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنعام:٩٨]

٣. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ١٠٤ (النفس المُبصرة)

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٤]

٤. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ١٢٣ (الإنسان لا يمكر إلا على نفسه)

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٣]

٥. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ١٣٠ (اعتراف النفس يوم القيامة)

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام:١٣٠]

٦. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ١٥١ (النهي عن قتل النفس التي حرم الله)

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١]

٧. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ١٥٢ (النفس لا تكلف إلا وسعها)

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام:١٥٢]

٨. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ١٥٨ (الإيمان المرتبط بالنفس (أي الإنسان) له وقت معلوم محدود)

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام:١٥٨]

٩. سورة الأنعام – سورة ٦ – آية ١٦٤ (المسؤولية الفردية)

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام:١٦٤]

١٠. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ٩ (الإنسان يخسر نفسه)

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

[الأعراف:٩]

١١. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ٢٣ (الإنسان يكلم نفسه)

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

[الأعراف:٢٣]

١٢. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ٣٧ (الإنسان يشهد على نفسه)

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف:٣٧]

١٣. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ٤٢ (النفس لا تكلف إلا وسعها)

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف:٤٢]

١٤. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ٥٣ (الإنسان إذا اختار غير منهج الرسل يخسر نفسه)

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف:٥٣]

١٥. سورة الأعراف – سورة ٧ آية ١٦٠ (الناس جزء منهم يتبع الرسل)

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ

أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف:١٦٠]

١٦. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ١٧٢ (شهادة الإنسان على الوحدانية منذ الخلق الأول)

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢]

١٧. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ١٧٧ (الإنسان يظلم نفسه)

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف:١٧٧]

١٨. سورة الأعراف – صورة ٧ – آية ١٨٨ (النفع والضرر بيدي الله)

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف:١٨٨]

١٩. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ١٨٩ (أصل الخلق من نفس واحدة)

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف:١٨٩]

٢٠. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ١٩٢ (الإنسان لا يستطيع نصر نفسه)

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف:١٩٢]

١. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ١٩٧ (الإنسان أحياناً لا يستطيع نصر نفسه)

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف:١٩٧]

٢. سورة الأعراف – سورة ٧ – آية ٢٠٥ (الذكر أساس في عبادة النفس)

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥]

٣. سورة الأنفال – سورة ٨ – آية ٥٣ (منهج التغيير والإصلاح مرتبط بتغيير ما في النفس)

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال:٥٣]

٤. سورة الأنفال – سورة ٨ – آية ٧٢ (أنواع الجهاد)

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال:٧٢]

٥. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ١٧ (الشهادة على النفس/ صدقاً وعدلاً وكفراً)

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة:١٧]

٦. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٢٠ (الجهاد في سبيل الله)

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة:٢٠]

٧. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٣٥ (قضية النفس وحبّها للمال)

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة:٣٥]

٨. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٣٦ (الظلم وحرمته على النفس)

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة:٣٦]

٩. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٤١ (الجهاد بالنفس)

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة:٤١]

١٠. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٤٢ (هلاك الإنسان نفسه بابتعاده عن نصرة منهج الرسول)

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [التوبة:٤٢]

١١. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٤٤ (صفات المؤمنين)

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [التوبة:٤٤]

١٢. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٥٥ (النفس قد تزهق وهي على الكفر)

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥]

١٣. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٧٠ (الإنسان يظلم نفسه)

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة:٧٠]

١٤. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٨١ (الجهاد بالنفس أساس، والفرح بالتخلف صورة)

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة:٨١]

١٥. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٨٥ (نفس الكافر تعذب)

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة:٨٥]

١٦. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ٨٨ (صفات الرسول والمؤمنين الجهاد في سبيل الله)

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [التوبة:٨٨]

١٧. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ١١١ (شراء النفس في سبيل الله يعني بيعها لله)

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة:١١١]

١٨. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ١١٨ (النفس تضيق على الإنسان)

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة:١١٨]

١٩. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ١٢٠ (لا يجوز تفضيل الإنسان نفسه على الرسول -صلى الله عليه وسلم-)

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة:١٢٠]

٢٠. سورة التوبة – سورة ٩ – آية ١٢٨ (الرسول من جنسنا ويتكلم لغتنا)

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]

١. سورة يونس – سورة ١٠ – آية ١٥ (الرسل يتبعون أوامر الله وليس أوامر النفس)

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس:١٥]

٢. سورة يونس – سورة ١٠ – آية ٢٣ (البغي يكون من الإنسان على نفسه)

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

[يونس:٢٣]

٣. سورة يونس – سورة ١٠ – آية ٣٠ (النفس تبلوا بما أسلفت)

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس:٣٠]

٤. سورة يونس – سورة ١٠ – آية ٤٤ (الإنسان يظلم نفسه)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس:٤٤]

٥. سورة يونس – سورة ١٠ – آية ٤٩ (النفع والضرر بيد الله)

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس:٤٩]

٦. سورة يونس – سورة ١٠ – آية ٥٤ (حساب الدنيا للنفس غير حسابها للآخرة)

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يونس:٥٤]

٧. سورة يونس – سورة ١٠ – آية ١٠٠ (الإيمان بعلم الله)

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس:١٠٠]

٨. سورة يونس – سورة ١٠ – آية ١٠٨ (بعد مجيء الرسالة، الهداية ربح للنفس)

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس:١٠٨]

٩. سورة هود – سورة ١١ – آية ٢١ (خسارة النفس تكون بخسارة الإيمان)

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [هود:٢١]

١٠. سورة هود- سورة ١١ – آية ٣١ (الرسول لا يعلم ما في أنفس الناس أو الغيب)

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود:٣١]

١١. سورة هود – سورة ١١ – آية ١٠١ (الله لا يظلم الناس، ولكن الناس يظلمون انفسهم)

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [هود:١٠١]

١٢. سورة هود – سورة ١١ – آية ١٠٥ (أمر النفس بيد الله)

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [هود:١٠٥]

١٣. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ١٨ (النفس تسوّل)

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف:١٨] (النفس المسوّلة)

١٤. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٢٣ (النفس هي الكل)

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف:٢٣]

١٥. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٢٦ (النفس هي الكل)

﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يوسف:٢٦]

١٦. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٣٠ (النفس هي كل الإنسان)

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف:٣٠]

١٧. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٣٢ (النفس كل الإنسان)

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف:٣٢]

١٨. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٥١ (النفس كل الإنسان) (الجسم والروح)

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف:٥١]

١٩. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٥٣ (النفس أمّارة بالسوء)

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف:٥٣]

٢٠. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٥٤ (استخلصه لي)

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف:٥٤]

١. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٦٨ (أكثر الناس لا يعلمون)

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف:٦٨] (في نفس يعقوب أي ذاته)

٢. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٧٧ (النفس تخفي)

﴿۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف:٧٧]

٣. سورة يوسف – سورة ١٢ – آية ٨٣ (النفس تسوّل)

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف:٨٣] (النفس المسوّلة)

٤. سورة الرعد – سورة ١٣ – آية ١١ (إرادة التغيير مرتبطة بالنفس)

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد:١١] (التغيير من الداخل - من النفس)

٥. سورة الرعد – سورة ١٣ – آية ١٦ (الضر والنفع بيد الله)

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد:١٦]

٦. سورة الرعد – سورة ١٣ – آية ٣٣ (كل نفس بما تكسب)

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرعد:٣٣]

٧. سورة الرعد – سورة ١٣ – آية ٤٢ (كل نفس بما تكسب)

﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الرعد:٤٢]

٨. سورة إبراهيم – سورة ١٤ – آية ٢٢ (النفس تلوم ذاتها)

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٢]

٩. سورة إبراهيم – سورة ١٤ – آية ٤٥ (الإنسان يظلم ذاته)

﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٥]

١٠. سورة إبراهيم – سورة ١٤ – آية ٥١ (كل نفس بما تكسب)

﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم:٥١]

١١. سورة النحل – سورة ١٦ – آية ٧ (بصعوبة الحال)

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [النحل:٧]

١٢. سورة النحل – سورة ١٦ – آية ٢٨ (الإنسان يظلم ذاته)

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النحل:٢٨]

١٣. سورة النحل – سورة ١٦ – آية ٣٣ (الإنسان يظلم ذاته)

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النحل:٣٣]

١٤. سورة النحل – سورة ١٦ – آية ٧٢ (المرأة خلقت من الرجل/ حواء من آدم)

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل:٧٢]

١٥. سورة النحل – سورة ١٦ – آية ٨٩ (رسولاً من بني جنسهم)

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

[النحل:٨٩]

١٦. سورة النحل – سورة ١٦ – آية ١١١ (النفس تجادل عن ذاتها)

﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [النحل:١١١] (كل نفس توفى ما عملت).

١٧. سورة النحل – سورة ١٦ – آية ١١٨ (النفس تظلم ذاتها)

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [النحل:١١٨]

١٨. سورة الإسراء – سورة ١٧ – آية ٧ (إن أحسنتم أحسنتم لذاتكم)

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإسراء:٧]

١٩. سورة الإسراء – سورة ١٧ – آية ١٤ (كفى بذاتك)

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء:١٤]

٢٠. سورة الإسراء – سورة ١٧ – آية ١٥ (الهداية والضلالة إرادة)

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء:١٥]

١. سورة الإسراء – سورة ١٧ – آية ٢٥ (الله يعلم ما في النفس)

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾

[الإسراء:٢٥]

٢. سورة الإسراء – سورة ١٧ – آية ٣٣ (قتل النفس أي قتل الإنسان)

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء:٣٣]

٣. سورة الكهف – سورة ١٨ – آية ٦ (أي تذهب نفسك عليه)

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾

[الكهف:٦]

٤. سورة الكهف – سورة ١٨ – آية ٢٨ (أي تصبر مع المؤمنين)

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

٥. سورة الكهف – سورة ١٨ – آية ٣٥ (النفس تظلم ذاتها)

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الكهف:٣٥]

٦. سورة الكهف – سورة ١٨ – آية ٥١ (خلق الإنسان)

﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف:٥١]

٧. سورة الكهف – سورة ١٨ – آية ٧٤ (النفس الزكية)

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الكهف:٧٤]

٨. سورة طه – سورة ٢٠ – آية ١٥ (النفس تجزي بما تعمل)

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [طه:١٥]

٩. سورة طه – سورة ٢٠ – آية ٤٠ (قتلت إنساناً)

﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [طه:٤٠]

١٠. سورة طه – سورة ٢٠ – آية (أي الذاتي)

﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ﴾ [طه:٤١]

١١. سورة طه – سورة ٢٠ – آية ٦٧ (أسر في نفسه)

﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ [طه:٦٧] (النفس تسوّل)

١٢. سورة طه – سورة ٢٠ – آية ٩٦ (النفس تموت)

﴿ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ ﴾ [طه:٩٦]

١٣. سورة الأنبياء – سورة ٢١ – آية ٣٥ (الإنسان لا يستطيع نصر نفسه)

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

[الأنبياء:٣٥]

١٤. سورة الأنبياء – سورة ٢١ – آية ٤٣

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء:٤٣]

١٥. سورة الأنبياء – سورة ٢١ – آية ٤٧ (الله لا يظلم/ وميزان القيامة للنفس هو العدل)

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧]

١٦. سورة الأنبياء – سورة ٢١ – آية ٦٤ (مراجعة الذات)

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنبياء:٦٤]

١٧. سورة الأنبياء – سورة ٢١ – آية ١٠٢ (النفس تشتهي)

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء:١٠٢]

١٨. سورة المؤمنون – سورة ٢٣ – آية ٦٢ (الله لا يكلف الإنسان فوق طاقته)

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون:٦٢]

١٩. سورة المؤمنون – سورة ٢٣ – آية ١٠٣ (خسران النفس يوم القيامة أكبر خسران)

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

[المؤمنون:١٠٣]

٢٠. سورة النور – سورة ٢٤ – آية ٦ (النفس بمعنى الإنسان)

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [النور:٦]

١. سورة النور – سورة ٢٤ – آية ١٢ (النفس بمعنى الإنسان)

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

[النور:١٢]

٢. سورة النور – سورة ٢٤ – آية ٦١ (النفس هي الذات)

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[النور:٦١]

٣. سورة الفرقان – سورة ٢٥ – آية ٣ (الآلهة المزيفة لا تملك لنفسها شيئاً)

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان:٣]

٤. سورة الفرقان – سورة ٢٥ – آية ٢١ (النفس تستكبر)

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ [الفرقان:٢١]

٥. سورة الفرقان – سورة ٢٥ آية ٦٨ (قتل النفس يعني قتل الذات)

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨﴾ [الفرقان:٦٨]

٦. سورة الشعراء – سورة ٢٦ – آية ٣ (الأسف من النفس على عدم الإيمان) (والخطاب موجه للرسول -صلى الله عليه وسلم-)

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الشعراء:٣]

٧. سورة النمل – سورة ٢٧ – آية ١٤ (القناعة الداخلية للنفس)

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل:١٤]

٨. سورة النمل – سورة ٢٧ – آية ٤٠ (الشكر يعود بالخير على النفس)

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [النمل:٤٠]

٩. سورة النمل – سورة ٢٧ – آية ٤٤ (الإنسان يظلم نفسه/ بلقيس ظلمت نفسها)

﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾

[النمل:٤٤]

١٠. سورة النمل – سورة ٢٧ – آية ٩٢ (الهداية فضل ومنّه للنفس)

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل:٩٢]

١١. سورة القصص – سورة ٢٨ – آية ١٦ (الاعتراف بظلم النفس)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص:١٦]

١٢. سورة القصص – سورة ٢٨ – آية ١٩ (النفس تُقتل)

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص:١٩]

١٣. سورة القصص – سورة ٢٨ – آية ٣٣ (قتل النفس أي قتل الذات)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص:٣٣]

١٤. سورة العنكبوت – سورة ٢٩ – آية ٦ (الإنسان يجاهد نفسه)

﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت:٦]

١٥. سورة العنكبوت – سورة ٢٩ – آية ٤٠ (الإنسان يظلم نفسه)

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٤٠]

١٦. سورة العنكبوت – سورة ٢٩ – آية ٥٧ (النفس تذوق الموت)

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [العنكبوت:٥٧]

١٧. سورة الروم – سورة ٣٠ – آية ٨ (التفكير في خلق الإنسان)

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الروم:٨]

١٨. سورة الروم – سورة ٣٠ – آية ٩ (الإنسان يظلم نفسه)

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الروم:٩]

١٩. سورة الروم – سورة ٣٠ – آية ٢١ (خلق المرأة من الرجل/ حواء من آدم)

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم:٢١]

٢٠. سورة الروم – سورة ٣٠ – آية ٢٨ (أول درجات الأمثال من النفس)

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الروم:٢٨]

١. سورة الروم – سورة ٣٠ – آية ٤٤ (من عمل صالحاً لنفسه)

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الروم:٤٤]

٢. سورة لقمان – سورة ٣١ – آية ١٢ (الشكر يعود بالخير على الإنسان)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان:١٢]

٣. سورة لقمان – سورة ٣١ – آية ٢٨ (قدرة الله في الخلق والإعادة)

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان:٢٨]

٤. سورة لقمان – سورة ٣١ – آية ٣٤ (النفس لا تعلم الغيب)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان:٣٤]

٥. سورة السجدة – سورة ٣٢ – آية ١٣ (حرية الاختيار للنفس)

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة:١٣]

٦. سورة السجدة – سورة ٣٢ – آية ١٧ (النفس لا تعلم الخفايا والمستقبل)

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧]

٧. سورة السجدة – سورة ٣٢ – آية ٢٧ (النفس هي الذات)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة:٢٧]

٨. سورة الأحزاب – سورة ٣٣ – آية ٦ (النفس هي الذات)

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ [الأحزاب:٦]

٩. سورة الأحزاب – سورة ٣٣ – آية ٣٧ (النفس تخفي)

﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ [الأحزاب:٣٧]

١٠. سورة الأحزاب – سورة ٣٣ – آية ٥٠ (للإنسان الحق في التصرّف بالخير في نفسه)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾ [الأحزاب:٥٠]

١١. سورة سبأ – سورة ٣٤ – آية ١٩ (النفس تظلم)

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾ [سبأ:١٩]

١٢. سورة سبأ – سورة ٣٤ – آية ٥٠ (الشر والخير يعود على الإنسان)

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سبأ: ٥٠]

١٣. سورة فاطر – سورة ٣٥ – آية ٨ (النفس تتحسر)

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر: ٨]

١٤. سورة فاطر – سورة ٣٥ – آية ١٨ (النفس تتزكى)

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر: ١٨]

١٥. سورة فاطر – سورة ٣٥ – آية ٣٢ (أنواع النفس منها النفس الظالمة)

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾

[فاطر: ٣٢]

١٦. سورة يس – سورة ٣٦ – آية ٣٦ (النفس هي الإنسان)

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس: ٣٦]

١٧. سورة يس – سورة ٣٦ – آية ٥٤ (ميزان الحق والعدل للنفس)

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يس: ٥٤]

١٨. سورة الصافات – سورة ٣٧ – آية ١١٣ (أنواع الأنفس)

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾

[الصافات:١١٣]

١٩. سورة الزمر – سورة ٣٩ – آية ٦ (أصل الخلق نفس واحدة)

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦﴾ [الزُّمَر:٦]

٢٠. سورة الزمر – سورة ٣٩ – آية ١٥ (الخسران للنفس يوم القيامة)

﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾ [الزُّمَر:١٥]

١. سورة الزمر – سورة ٣٩ – آية ٤١ (الهداية والضلال مرتبطة بالحرية)

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ٤١﴾ [الزُّمَر:٤١]

٢. سورة الزمر – سورة ٣٩ - آية ٤٢ (الموت الأصغر للنفس هو النوم)

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الزُّمَر:٤٢]

٣. سورة الزمر – سورة ٣٩ – آية ٥٣ (النفس المسرفة)

﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزُّمَر:٥٣]

٤. سورة الزمر – سورة ٣٩ – آية ٥٦ (النفس تتحسر)

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزُّمَر:٥٦]

٥. سورة الزمر – سورة ٣٩ – آية ٧٠ (النفس تجزى)

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزُّمَر:٧٠]

٦. سورة غافر – سورة ٤٠ – آية ١٠ (المقت للنفس يوم القيامة)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غافر:١٠]

٧. سورة غافر – سورة ٤٠ – آية ١٧ (النفس تجزى يوم القيامة)

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر:١٧]

٨. سورة فصلت – سورة ٤١ – آية ٣١ (النفس تشتهي)

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصِّلَت:٣١]

٩. سورة فصلت – سورة ٤١ – آية ٤٦ (الخير والشر يعودان على الإنسان يوم القيامة)

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصِّلَت:٤٦]

١٠. سورة فصلت – سورة ٤١ – آية ٥٣ (خلق الإنسان معجزة تستدعي التفكر)

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٥٣]

١١. سورة الشورى – سورة ٤٢ – آية ١١ (التذكير بأصل الخلق)

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]

١٢. سورة الشورى – سورة ٤٢ – آية ٤٥ (النفس الخاسرة يوم القيامة)

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورى:٤٥]

١٣. سورة الزخرف – سورة ٤٣ – آية ٧١ (النفس تشتهي)

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّخرُف:٧١]

١٤. سورة الجاثية – سورة ٤٥ – آية ١٥ (الصلاح والسوء على النفس)

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

[الجاثية:١٥]

١٥. سورة الجاثية – سورة ٤٥ – آية ٢٢ (ميزان الحق والعدل)

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية:٢٢]

١٦. سورة محمد – سورة ٤٧ – آية ٣٨ (البخل إنما يعود اثره على النفس)

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:٣٨]

١٧. سورة الفتح – سورة ٤٨ – آية ١٠ (الوفاء وعدمه يعود بالخير والشر على الإنسان)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح:١٠]

١٨. سورة الحجرات – سورة ٤٩ – آية ١١ (الحط من القدر/ من الإنسان)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١]

١٩. سورة الحجرات – سورة ٤٩ – آية ١٥ (الجهاد بالنفس)

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥]

٢٠. سورة ق – سورة ٥٠ – آية ١٦ (الله يعلم وسوسة النفس)

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

[ق:١٦]

١. سورة ق – سورة ٥٠ – آية ٢١ (كل إنسان)

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق:٢١]

٢. سورة الذاريات – سورة ٥١ – آية ٢١ (دعوة للتفكر في النفس)

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢١]

٣. سورة النجم – سورة ٥٣ – آية ٢٣ (النفس والهوى)

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾ [النجم:٢٣]

٤. سورة النجم – سورة ٥٣ – آية ٣٢ (الإنسان لا يزّكي نفسه)

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم:٣٢]

٥. سورة الحديد – سورة ٥٧ – آية ١٤ (الإنسان يحتال على ذاته)

﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾ [الحديد:١٤]

٦. سورة الحديد – سورة ٥٧ – آية ٢٢ (المصيبة على الإنسان مكتوبة في علم الله)

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ [الحديد:٢٢]

٧. سورة المجادلة – سورة ٥٨ – آية ٨ (النفس تخفى)

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨﴾ [المجادلة:٨]

٨. سورة الحشر – سورة ٥٩ – آية ٩ (من صفات النفس المؤمنة)

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر:٩]

٩. سورة الحشر – سورة ٥٩ – آية ١٨ (النفس يجب أن تنظر إلى الأمام)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨]

١٠. سورة الحشر – سورة ٥٩ – آية ١٩ (نسيان الله يؤدي إلى نسيان النفس)

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٩]

١١. سورة الصف – سورة ٦١ – آية ١١ (الجهاد بالنفس)

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف:١١]

١٢. سورة المنافقون – سورة ٦٣ – آية ١١ (النفس لها أجل في الحياة الدنيا)

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:١١]

١٣. سورة التغابن – سورة ٦٤ – آية ١٦ (الانفاق في مصلحة النفس)

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن:١٦]

١٤. سورة الطلاق – سورة ٦٥ – آية ١ (تعدي حدود الله ظلم للنفس)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ [الطلاق:١]

١٥. سورة الطلاق – سورة ٦٥ – آية ٧ (النفس لا تكلف إلا طاقتها)

﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾ [الطلاق:٧]

١٦. سورة التحريم – سورة ٦٦ – آية ٦ (الإنسان يقي نفسه وأهله النار بالإيمان)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]

١٧. سورة الزمر – سورة ٧٣ – آية ٢٠ (ما يقدمه الإنسان من خير يجده)

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ [المزمل:٢٠]

١٨. سورة المدثر – سورة ٧٤ – آية ٣٨ (النفس تحاسب على ما تقدم)

﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر:٣٨]

١٩. سورة القيامة – سورة ٧٥ – آية ٢ (النفس لوامّة)

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ [القيامة:٢]

٢٠. سورة القيامة – سورة ٧٥ – آية ١٤ (النفس بصيرة على ذاتها حتى ولو اعتذرت يوم القيامة)

﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤﴾ [القيامة:١٤]

١. سورة النازعات – سورة ٧٩ – آية ٤٠ (الإنسان ينهي نفسه عن الهوى)

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠﴾ [النازعات:٤٠]

٢. سورة التكوير – سورة ٨١ – آية ٧

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾ [التكوير:٧]

٣. سورة التكوير – سورة ٨١ – آية ١٤ (النفس ترى ما تقدم)

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ [التكوير:١٤]

٤. سورة التكوير – سورة ٨١ – آية ١٨

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ [التكوير:١٨]

٥. سورة الإنفطار – سورة ٨٢ – آية ٥

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾ [الانفطار:٥]

٦. سورة الانفطار – سورة ٨٢ – آية ١٩ (النفس لا تملك شيئا يوم القيامة)

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار:١٩]

٧. سورة المطففين – سورة ٨٣ – آية ٢٦ (عليها حافظ)

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين:٢٦]

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤﴾ [الطارق:٤]

٨. سورة الفجر – سورة ٨٩ – آية ٢٧ (النفس المطمئنة)

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾ [الفجر:٢٧]

٩. سورة الشمس – سورة ٩١ – آية ٧ (النفس فيها جانبا الخير والشر)

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧﴾ [الشمس:٧]

أن طبيعة النفس الإنسانية في القرآن تقوم على أساس تفرد الإنسان في هذا الكون من حيث طبيعة التكوين والتركيب والغاية والمصير، هذا المخلوق خلق بطريقة خاصة ومقصودة حددت وظيفته وجعلت هناك غاية لوجوده، وهذا التصور للنفس الإنسانية لا يمليه ظروف زمانية أو مكانية، مادامت تستمد تصورها من الله سبحانه وتعالى خالق هذه النفس.

إذن هناك فرق بين أخذ التصور من القرآن الكريم بشكل متكامل وبين تداخل هذا التصور مع الفكر الفلسفي المبني على التصورات غير إسلامية بدءاً من الفلسفة اليونانية وحتى الوقت الحالي.

وعندما خلط الفلاسفة المسلمون بين الفلسفة اليونانية والفكر الإسلامي – جاءت التصورات مشوّهة، وأحياناً بعيدة عن التصور الإسلامي. فقد نظر بعضهم إلى النفس الإنسانية بأنها شيء مستقل عن الجسم الإنساني، وأنها أقرب ما تكون إلى مفهوم الروح (فهي منفردة عن هذا الجسم ومباينة له) كما يقول الكندي والجاحظ حيث يريا أن النفس والبدن وجهان لعملة واحدة (النفس من جنس الجسم) والفارابي يرى أن النفس غير الجسم، ويخلط بين الجسم والروح وكذلك فعل ابن حزم الذي رأى النفس منفصلة عن الجسم

وأخوان الصفا يقتربون من النظرة الفلسفية اليونانية والتي ترى النفس فيض إلهي (والأنفس الجزئية فاضت عن النفس الكلية). والغزالي يقسمها إلى أربعة أقسام (نباتية وحيوانية، إنسانية وفلكية) والغزالي يراها جوهر ثابت، تعاقب من خلال البدن والعقاب مادي ومعنوي، ويتفق الرازي تقريباً مع الغزالي في تقسيم النفس الإنسانية إلى نباتية وحيوانية وإنسانية.

وفرق ابن تيمية بين النفس والروح، وكذا ابن القيم الجوزية الذي قال إن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس والعقاد يقول (إن النفس هي القوة التي تعمل وتريد، مهتدية بهدي العقل أو منقادة لنوازع الطبع والهوى، وتوضع لها الموازين القسط ليوم القيامة)، والنفس الإنسانية كما يقول د. حسن الحياري هي ذات الإنسان بأكمله، ومخلوقه من قبل الحق سبحانه وتعالى، يدركها الموت، وتمثل للحساب والعقاب أمام الحق سبحانه وتعالى.

إن معظم الذين تناولوا النفس الإنسانية توصلوا إلى أنها أمر معنوي لا يخضع للحواس، وهي مباينة للجسم الإنساني، ولكنها مسيطرة عليه موجهة لكل أوجه النشاط الإنساني، وقد افترضوا أن هناك علاقة ما بين النفس والجسد، ولكنهم قالوا أيضاً أن النفس الإنسانية وحدة واحدة لا تتعدد، ومع أن الإنسان (نفس، وروح، وعقل) فهو واحد.

إذن هذه النفس هي ذات الإنسان (بجانبيه الروحي والمادي) وقد وهب الله سبحانه وتعالى لهذه النفس حرية الاختيار، وبالتالي فهي مكلفة، تقوم أولا تقوم بما يطلب منها، يدركها الموت، تمثل الحساب، لا تعلم الغيب، يلازمها حَفَظَة يكتبون، ثم تستنتخ هذه الكتابة يوم القيامة، وبغض النظر عن التقسيمات لهذه النفس فهي في النهاية (أما نفس هداية، أو نفس ضلالة)؛ وفيما تعرض له القرآن الكريم وجدنا (النفس اللوامة، النفس الأمارة بالسوء، النفس المسؤولة، النفس المطمئنة، النفس الزكية، النفس المخفية، المشتهية، المستكبرة، المستيقنة، المتفكّرة، محدودة القدرة، المتصرّفة، المتحسّرة، المُحسنة، المسرفة،

المشتهية، البخيلة، المعترفة، الذاكرة، الشاهدة، الضائقة، الباغية، المهتدية، المسوّلة، المجادلة، الظالمة، الحوازة، المُقسطة، المُبتلاة، الخوّانة، المُخيفة، المتحكّمة، المثبّتة، المُبدية، الضّالة، الأنانية، الخيّرة، الفائزة، الطيّبة، المسلّمة، المجاهدة، الآثمة، المطوّعة، المُسِرّة، المغربة، الخاسرة، الهالكة، الماكرة، الموسوسة، الناسية، البصيرة) وكل هذه الصفات مثبتة في الآيات التي ذكرنا أيضاً، وهي تمثل للحساب والعقاب بعد الموت في اليوم الآخر، تجزى وتكلف تكسب وتجادل، تقول، وتنتظر، تلمز، مركب فيها جانبا الفجور والتقوى، فالتي تختار الفجور بإرادتها، وكذا التي تختار التقوى بإرادتها.

إن النفس الإنسانية هادئة ومخلوقة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان:١] ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم:٦٧]

وقد بدأ ذلك الخلق بآدم عليه السلام، ثم بحواء من نفس آدم والناس خلقوا في عالم الشهادة من خلال التناسل الجنسي بين ذرية بني آدم، والنفس الإنسانية تعنى الإنسان بكل مكوناته من حيث أنه مادة وروح. ولقد تعرضنا في فصل خاص إلى مراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم.

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١] فخلق الرجال والنساء كان من نفس واحدة. وهي آدم عليه السلام. وقد حرّم الله سبحانه وتعالى قتل النفس الإنسانية ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء:٣٣] أن الذي يقع عليه القتل هو الإنسان المشاهد، ولا يقع القتل على جزء غير مشاهد عيني.

لقد عبر القرآن الكريم عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالنفس عندما قال تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف:٦]

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف:٢٣] أي تدل على جماع شخصية يوسف عليه السلام.

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ [الأحزاب:٥٠]

فالمرأة هنا دالة على النفس

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف:١١]

الجهد هنا جهد النفس بكل مكوناتها

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم:٨] فعدم التفكر بالنفس مدعاة للاستغراب.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة:٢١]، فالنفس الإنسانية هنا هي كل الإنسان.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران:٦١] فالأنفس هنا تدل على أشخاص بعينهم

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨] أي من بينكم كبشر.

أي أن النفس الإنسانية تدل على الإنسان (بكل مكوناته المادية والروحية) وليس جزءاً منه.

أن النفس الإنسانية كما أشار إليه القرآن الكريم في الآيات السابقة نفس مخلوقة، تموت، تمتع بحرية الاختيار، مكلفة تجادل، لوامة، أمارة بالسوء،

عندما خلق الله سبحانه وتعالى هذه النفس الإنسانية ممثلة بآدم عليه السلام كان هناك احتفال كبير، بهذا المولود الجديد، بهذا الخلق الجديد، وهو احتفال ما بعده من بين الأطراف التي شهدت هذا الاحتفال. كان أولاً سجود الملائكة لآدم، ثم كان ثانياً التحذير من المخلوق الذي أعطى أيضاً حرية الاختيار من الجن وهو إبليس بأن هذا العدو، وهذا التكريم استلزم وجود خصائص متميزة لهذا المخلوق الجديد، وهو مخلوق في أحسن تقويم، ليكون خليفة الله في الكون، وتحقيق المعنى الشامل للعبودية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

أن العبودية لله هي أسمى درجات القرب، ولقد استعملها القرآن الكريم للأنبياء للدلالة على قربهم لله سبحانه وتعالى، وفي مواضع التكريم ويمكن القول أن درجة الحرية للإنسان تتناسب طردياً مع مستوى العبودية لله سبحانه وتعالى، فلما زادت العبودية زادت الحرية، والله أضاف إلى نفسه، كلمة (عباد) وسماهم (عبادي)

لقد اختص الله هذا المخلوق الجديد ابتداء بالمعرفة والعلم، وأرسل لهم الأنبياء استمراراً لفضله وتحقيق تكريمه وتجنيب هذا الإنسان مما يمكن أن يقع فيه.

أن الأنفس البشرية تتفاوت في قدراتها واستجاباتها، ولكن الله لا يكلف النفس الإنسانية، إلا وسعها وقدر طاقتها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (البقرة:٢٨٦).

إن المسؤولية الإنسانية، هي مسؤولية فردية، لا علاقة للقربى أو النسب فيها وضح القرآن ذلك من خلال نماذج كثيرة، نموذج نوح وابنه عليه السلام، إبراهيم وأبيه عليه السلام، امرأة فرعون أبو لهب، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزُّمَر:١٢].

فلا يحسب للنفس الإنسانية إلا ما كسبت في حياتها الدنيا أو ما تركت خيراً، أو نسبة حسنة بعد موتها.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة:١٤١]

كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور:٢١]

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم:٥١]

﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر:١٧]

ومع ذلك فإن النفس الإنسانية محدودة القدرات، وتحدى القرآن للإنسان على أن يأتي بمثل هذا القرآن ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس:٣٨]، والنفس تمر بمراحل مختلفة من الضعف والقوة ثم العودة إلى الضعف وعدم القدرة في السيطرة أحياناً على المشاعر ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء:١٢٩] وضعفها أحياناً أمام وشائج القربى ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة:٤]وضعفها أمام الشهوات ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ وشعورها أحيانا بالضيق والضجر، وعجزها عن سماع الحق ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ [الكهف:١٠١]

وعجزها عن جلب النفع والضرر ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩﴾ [يونس:٤٩]

والعجز عن الطاعة المطلقة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن:١٦].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه:١١٠]

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠﴾ [النحل:٧٠]

﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠﴾ [البقرة:١٤٠]

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [آل عمران:٦٦]

﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٧]

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾ [يس:٣٦]

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة:٢١٦]

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:٨٥]

﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة:١١٦]

﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١﴾ [يونس:١١]

وأن النفس تأمل بأن ما تستعجل به يكون خيراً لها، ولكن ربما يكون ذلك شراً لها ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [الرعد:٦]

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [النحل:٤٦]

والعجلة في النفس الإنسانية صفة مذمومة ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤]

أن النفس الإنسانية مفطورة على حب الخير مما يدفعها إلى الإلحاح للحصول عليه ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس:١١]

وأن النفس تأمل بأن ما تستعجل به يكون خيراً لها، ولكن ربما يكون ذلك شراً لها ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الرعد:٦]

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [النمل:٤٦]

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤]

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾ [الأحقاف:٣٥]

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإنسان:٢٧]

النفس الإنسانية وجانبا الخير والشر

يعتبر موضوع الخير والشر، هو محور حياة الإنسان على ظهر هذه الأرض وهو الذي يحدد وجهته في التعامل بكل صوره، وهذا الجانب من الجوانب التي تعرضت لكثير من الخلط والتشويش، لأنها تناولت في الأصل طبيعة النفس الإنسانية هل هي شريرة، أم هي خيرة، أم هي حيادية بين الخير والشر.

وتحدد طبيعة المنهج الذي يعتنقه الإنسان - سواء كان منهجاً إلهياً أو بشرياً، أو منهجاً اعتراه الخلط بين أهواء الناس، وحقيقة المنهج، من المسائل التي تحدد تصنيف الخير والشر لدى الناس ناهيك عن فرز منظومات الخير والشر تبعاً لأتباع المنهج وعلاقتهم بالآخرين، فما هو خير يصبح شراً، وما هو شر يصبح خيراً وهكذا، ولذا كان من الضرورة بمكان أن نتعرف على هذا الجانب كما صوره القرآن الكريم وربطه بالنفس البشرية، ومن ثم ماذا يضيف المنهج إلى هذه النفس من تصورات خيره أو شريرة.

وفي غياب المنهج الإلهي وبعيداً عن الرسالات المستمرة بحث كثير من الفلاسفة في هذا الموضوع، كما بحثوا فيه لاحقاً، وأضاف كلّ منهم من تفسيره لهذا المنهج، وأطلق عليه الفلاسفة المسلمون ألواناً من التفسير قد تختلف أو تتفق مع المنهج الإلهي كما أثبته القرآن الكريم.

فمن الفلاسفة غير المسلمين من قال أن الخير كله يكمن في إشباع الشهوات للنفس الإنسانية دون الالتفاف إلى أي قانون يحول دون إشباع هذه الشهوات. ولعلنا نرى تطبيق هذا في كثير من شعوب العالم وحتى من الذين

يعيشون ضمن منظومة من المفروض أن تكون إسلامية، حسب الهوية والتعرفة، فإشباع الشهوات هو الشغل الشاغل لهؤلاء الناس، دونما رادع من منهج أو قانون، بل إن كل الهم هو كيف يمكن أن نستحوذ على أوسع مساحة وأوفى وقت لتلبية هذا الجانب، ومن هنا أغرق الإنسان في ابتكار الوسائل التي تساعده على الإشباع، وعندما وصل الإنسان إلى مرحلة الإشباع تجاوزها إلى مرحلة الشذوذ، ولعلّ زواج المثلين، وما نراه من وسائل منافية للطبيعة البشرية قد انتشرت لأن الناس تجاوزوا حدود الإشباع، وعندما تجاوز المرحلة الثانية وهي مرحلة الشذوذ لم يكن أمام البعض إلا الانتحار سبيلاً إلى الخلاص من مرحلة ما بعد الإشباع أو الشذوذ إن السعادة في نظر هؤلاء هو عدم الخضوع للقانون، لأن الذي يخضع للقانون هو الضعيف، وأن التفوق للقوي سمة من سمات القوانين الموجودة في الحياة – عن الإنسان وعند الحيوان – على حد سواء، والعفّة عن الشهوات عند الكثيرين هي ليست لقناعتهم بها، وإنما لعجزهم عن الوصول إليها، إذ لو قدر لهم أن يصلوا لفعلوا كما فعل الآخرين.

أن هذا المنطق هو حكم على النوايا، والنوايا أمور مخفية لا يستطيع أحد من الحكم عليها، إلا الله سبحانه وتعالى فهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وهناك نفر من الفلاسفة اعتبروا أن النفس الإنسانية خيّره بطبعها والإنسان يريد الخير ويهرب من الشر، فالإنسان الذي عرف حقيقة نفسه هو الذي عرف عنصر الخير فيها، والذي جهل حقيقة نفسه هو الذي مال انب الشر في حياته، وهم يرون أي الفلاسفة اليونانيون من سقراط إلى أفلاطون أن الشر يكمن في عالم الحس أما الخير فيكمن في عالم المثل والأفكار.

وحتى عندما يتعامل الإنسان مع جانب الخير في عالم الحس فإنه يتحقق بإتباع النظام ورؤية الأشياء كما هي دون الانتقاص منها، وهو يرى أن النظام يتحقق في البعد عن الإسراف والنافع هو ما يجلب الخير والضار هو ما يجلب

الشر، وبما أن القضية نسبية وشخصية، فإن تحديد الخير والشر هو أمر نسبي أيضاً، فما هو خير بالنسبة لك قد يكون شراً بالنسبة للآخرين وما هو شر بالنسبة للبعض قد يكون خيراً بالنسبة للبعض الآخر. وهذا الأمر ما سنناقشه في تحديد ما هو الخير والشر في ضوء المنهج الإلهي، وحتى عندما نرى الأشياء بمنظاره قد نراه خيراً، وهو شر عند التطبيق، أو نراها شراً، وهو خير في النتيجة كما وضحت آيات القرآن الكريم التي سنتناولها فيما بعد.

وقد حددت الفلسفة الأمريكية على لسان جون ديوي جوانب من هذه العلاقة عندما قال بأن ما هو خير في بعض الظروف قد يكون شراً في ظروف أخرى، أي أنه لا يوجد فصل تام بين الخير والشر ولكن الظروف وطبيعتها هي التي تحدد ذلك.

إن تحديد مصدر الخير ومصدر الشر، وكيفية التعامل معها وتصنيف الأعمال الخيرة والشريرة لهو من الأهمية بمكان حتى تستقيم حياة الإنسان وهو يتعامل في كل الظروف والأحوال والمجتمعات إذ أننا في المحصلة النهائية بشر، (أناس)، مطلوب منا أن نتعامل مع بعضنا البعض في ظلال التعارف والتعاون.

والآن نحن نجد قادة في العالم يصنفون الدول والشعوب محاور فيقولون (محور الخير) و (محور الشر) كما ذكرنا، وهم يبيحون لأنفسهم أن يصنفوا أنفسهم ضمن محور الخير، فأي خير هم يقصدون، أهو الخير في قتل الناس وسلب ثرواتهم، وتشريد أطفالهم، وتسويد قانون القوة بدلاً من قوة القانون. أم هو تعاون البشرية لمكافحة الجهل والمرض والجوع والظلم والطغيان والتسلط. هذا المنحى يكون عندما يبيح الإنسان لنفسه أي يحدد (الخير والشر) تبعاً لمصلحة أهواءه.

وعندما تناول الفلاسفة المسلمون موضوع الخير والشر في الإنسان والنفس الإنسانية ذهبوا أيضاً مذاهب شتى منهم من وصفها بأنها مصدر الحسد والحقد، وهي محل الأخلاق المعلولة وهي إمارة بالسوء ظالمة جاهلة، والعدل

والعلم طارئ عليها، ولولا فضل الله ورحمته ما زكى من نفس أبداً، فإذا أراد الله بها خيراً جعل فيها ما تزكوا فيها وتصلح من الإرادات والتصورات وإذا لم يرد تركها على حالها التي خلقت عليها من الجهل والظلم أما جبّله أو حاجة. وبما أنها أعدى أعداءك – وخلقت أمارة بالسوء فقد مرت بتقويمها وتزكيتها وفطامها عن مواردها وأن تقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها.

أن هذا الرأي يكاد يساير الاتجاه الذي يرى النفس الإنسانية وقد ولدت تحمل خطاياها، ولعلّ في المسيحية ما يؤكد هذا الاتجاه، حيث أكدت على ولادة الإنسان يحمل خطيئة أبيه، ويسوع المخلص هو الذي تحمل عن بني البشر خطاياهم ومن هنا استحق الإتباع والمحبة. ولن نناقش هذا الرأي الآن والذي نرى ابتداء أن يتعارض مع تكريم الإنسان، وخلقه في أحسن تقويم، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وذلك يأتي في سياق الآيات القرآنية.

وهناك من قال بحيادية النفس الإنسانية تجاه الخير والشر فالنفس لا توصف بالمطلق بإنها خيرة – أو شريرة، وإنما تكتسب ذلك من خلال الصفات والمنهج الذي تتبعه ولعل تغليب جانب الشهوات أو الهوى على جانب العقل ومخافة الله سيؤدي بالنفس إلى إتباع جانب الشر، فالجانبان (الخير والشر) موجودان متقابلان يتنازعان، والعكس صحيح في حالة تغليب جانب العقل ومخافة الله فإن النفس هنا ستوصف بأنها مطمئنة وفي المقام الشرير توصف بأنها (أمارة بالسوء).

أن بداية بذرة الشر كانت في إتباع النفس – وسوسة الشيطان للحصول على درجة الخلود – وكان الشيطان قد رفض أوامر الله بالسجود لآدم متذرعاً بأفضلية عليه في أصل الخلق، فآدم مخلوق من طين، وإبليس مخلوق من نار ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢)﴾ [الأعراف ١١ : ١٢].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤]

إن الله لم يترك آدم عليه السلام دون تحذير واضح وبين، فالعليم الخبير يعلم ضعف النفس البشرية، ويعلم قدرة الشيطان على الغواية، وهذا دليل أولي للبشرية، دليل لآدم الرسول، كي يستقيم أمره، ولم يترك الله البشر لاحقاً دونما رسالات توجه ورسلٍ يتذرون ويبينون معالم الطريق الخيرة للبشرية، ويحددون مناطق الألغام المزروعة في طريق الحياة.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه ١١٦ :١١٧]

لقد كانت معرفة الشيطان فاتحة التمييز بين الخير والشر، ولم يكن بين الشر والخير تمييز قبل أن يعرف الشيطان بصفاتها وأعماله وضروب قدرته وخفايا مقاصده ونياته.

أن الإنسان عندما ميز النور عرف الظلام، ولما استطاع أن يدرك الصباح عارضه بالليل والمساء وهكذا، لم يكن يعلم ما يُسّر وما يسوء، ما هو حسن وما هو قبيح ما هو جائر وما هو غير جائز في الذهن والوجدان. أن تاريخ الإنسان في أخلاقه الحسية لم ينفصل ولن ينفصل عن تاريخ الشيطان وأوله التمييز بين الخير والشر والذي هو من صفات النفس الإنسانية التي ستتعامل مع هذا الشيطان ويتعامل هو معها.

أن الخير هو القدرة على الحسن مع القدرة على القُبح وهو الاختيار المطلوب بعد التمييز بين القدرتين، ولهذا عرفنا من تاريخ الشيطان أن سقط لأنه انف من تفضيل آدم عليه وعلى الجان وعلى الملائكة، وإنما فضل آدم عليه وعلى الجان وعلى الملائكة، لأنه عرضة للخير والشر، ولأنه مطالب بالخيرات وهو ممتحن بالشرور.

فضّل على الملائكة الذين لا يضعون الشر لأنهم بمنجاة من غوايته وفضل على الجان الذين لا يختارون بين نقيضين، ومن تلك اللحظة عرفت وظيفة الشيطان في هذا العالم وعرفت معها فضيلة الإنسان، لقد أصبحت من مهمات الشيطان أن يثبت عجز النفس الإنسانية أمام الغواية والفتنة وأن يمتحن مشيئته وهو يتردد بين الخير والشر، والحلال والحرام. أن الأخلاق ممتحن بمحنة المعرفة والجهل والخير والشر والفضيلة والرذيلة، وليس بقادر على أن يميز ويستقيم أو ينتكس غير النفس الإنسانية. أن القداسة ليست أنك تكون ناراً وأنت نور، أو نوراً وأنت نار، أنما القداسة أن تكون ناراً أو نوراً وأنت تراب، وأن تسبح وتقدس وأنت قادر على الفساد والعدوان، أن النوع البشري وجد بصفاته وأخلاقه ليحياها ويعيش بين حقائقها ويعطيها الأسماء التي تدله على تلك الحقائق كما يستقبلها بحسه وشعوره ويواجهها برجائه وخوفه وبإقباله ونفوره. لقد سمعنا عن الصفات الإلهية والصفات الملائكية والشيطان - والإنسانية والبهيمية والسبعية، فمن لم يفهم هذه الصفات بمدلولاتها الحية، فما هو بفاهم شيئاً من فوارق الأخلاق يشرحها لها ألف عالم وعالم ويسجلها له ألف كتاب أن يفهمه الصفات الإلهية أنها أعلى الصفات، ويتشوف لها بقلبه، ولا يعرفها على أنها مادة في معجم أو عنوانا على مذهب فحسب، ولأول مرة يسمع الصفات الملائكة فيفهم أنها الطيب والطهارة والحب والسلامة، ويعرف الصفات الإنسانية فيعرف منها ما يناقض البهيمية والسبعية ويقابل الصفات الإلهية والملائكية ويعرف أن الإنسان قابل للطموح إلى ما يعلو عليه والهبوط إلى ما ينحدر من دونه من صفات.

ولأول مرة يسمع الصفات الشيطانية فيفهم أنه في موقف احتراس وحذر، ولا يضطر إلى مراجعة اللغة أو الحكمة ليفهم ما يحذره الشيطان وما يستقبله منه بالفكر والوجدان وقسر على ذلك ما يفهمه من الصفات البهيمية والسبعية.

وإذا استطردنا وقلنا ما هي (الشيطنة) – اشتقاقاً من الـشيطان وصـفة لمـن يتبعه، فإن في الذهن البشري أفكار كثيرة عن الـشيطنة، أنهـا فكـرة عـن الـشر، والكبرياء والعصيان والحسد والكراهية والباطل والخداع، وهي صفات تحـسب من لوازم الشيطان بعد يقينية العلم بوجود الإله المتصرف في المقادير والأكـوان فالكبرياء افتئات على مقام الآلة، والعصيان خروج على شريعته والحسد إنكار لنعمته واعتراض على تقديره، والكراهية السلبية صفة هادمة تناقض الحب، أما الباطل والخداع فهو نقيض الحق ونقيض الاستقامة.

أن كلمة الشيطان فيها مادة (شط) (وشاط) و (شوط) و (شطن) وفي هذه المواد معاني البعد والضلال والتلهب والاحتراق. فالـشطط يعـني مقابلـة الخـير بالشر، وشاط بمعنى احترق وتلف، وأشاطه بمعنى أهلكه وأتلفه، وانطلق شوطاً أي ابتعد واندفع في مجراه، وشـطن أي ابتعـد، وكـان العـرب يـسمون الثعبـان الأكبر بالشيطان – وأشهر أسماء الشيطان في اللغة العربية هـو (إبلـيس)، أنهـا الكلمة التي عندما نطلقها نضع تحت دائرتها كل معاني الدس والفتنـة والـدهاء والسعي بالفساد.

لقد عرف إبليس أن فتنته جاءت من هذا المخلوق الجديـد، ولـذا لابـد أن يقتص منه، ويقلل من جانب التكريم الذي حظي به في محاولة لإثبات أنه لـيس أهلاً لها، وهكذا بدت المعركة من جانب إبليس الذي يعـرف تمامـاً مـاذا يريـد، ومن أين يدخل، وكيف يعمـل، أي أنـه يعمـل وفـق خطـة مدروسـة بأبعادهـا النفسية والجسمية، ولم يكتف وعيده لآدم فقط، وإنما للذرية من بعـده – وكـان ذلك مقابل وعد الله له ليجعله من المنظرين

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف ١٦ : ١٧]

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء ٦١: ٦٤].

إن التعبير القرآني في غاية الدقة عندما قام إبليس (لأحتنكن) – وهي صورة للاستحواذ بأقصى الطاقة فأصبح واضحاً الآن أن هناك معسكرين واضحين بينهما عداوة لا صلح فيها، مهّما كانت النتائج وتوالت الأيام والسنين، معسكر إبليس وهو ما يمكن أن نطلق عليه معسكر الشر، إذ أنه كان صرح هو بذلك لن يكون منه إزاء هذا المخلوق إلا الشر، ومعسكر الإيمان الذي يقف في مواجهة إبليس وأعوانه من شياطين الإنس.

قال تعالى ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر ٣٢ : ٤٠]

أن الغواية والتزيين، وهي تحسين مظهر الأشياء حيث يبدو الشر خيراً، والخير وشراً هي واحدة من طرق إبليس، وهنا يلتبس الأمر على الإنسان ويحسب أنه على طريق الهداية والحق ولا يدري أنه بإتباع أوامر الشيطان وأحابيله يسير على طريق الشر والهلاك، وقد استثنى إبليس نفسه فئة من بين الفئات الكثيرة ميدان العمل وهم عباد الله المخلصين.

ولكي تكون المعركة واضحة المعالم ليسير الإنسان فيها على هدى من الله إن أراد، كمثل القائد الذي يعد جنده للمعركة ويدربهم على كل الاحتمالات، وتمحينهم بالصبر حتى إذا جاء يوم المعركة كانوا على أحسن استعداد لها وهكذا ولله المثل الأعلى لم يترك الإنسان دونما توجيه وإرشاد وعلى مرّ العصور

بل حذر في كل أكثر من موقع من كتابه الكريم، وأرسل الرسل تترى تنذر ويتبني بجلاء ووضوح منهج الله، وبذلك تقام الحجة على الإنسان يوم القيامة أن الذي خلق النفس البشرية يعلم أن لها متطلبات – ومن هذه المتطلبات الشهوات، وهي ليست مذمومة في أصلها، وإنما المذموم هو كيف يتم إشباعها، وعندما نقول الشهوات فإننا نقصد الشهوة بكل أشكالها وصورها، وليست فقط شهوة الجنس التي هي واحدة في شهوات الحياة. وعندما يتحدث القرآن الكريم عن الجنة ويقول عنها أن أهلها يجدون فيها ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾، والمباينة هنا واضحة بين ما هو موضع الشهوة من النفس، وما هو موضع اللذة بالحس.

أن النفس الأمارة بالسوء هي التي تمثل الحد السلبي للنفس الشهوانية، ولقد اعترفت امرأة العزيز عندما راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، بأن نفسها أمارة بالسوء ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف:٥٣]

وعندما جاءت الآية الكريمة بكلمة (أمارة) جاءت على وزن صيغة من صيغ المبالغة المعروفة التي تدل في اللغة العربية على كثرة وقوع الفعل، من هنا كانت خطورة هذه النفس بأنها تستثري الشر وتجدّ تحقيقاً لشهواتها فيه فيكون صاحبها قد بدأ خط الانحراف إلى الشر من تدبير للدسائس والفتن، وتهديد للأبرياء، وتعدّ على الضعفاء، وسلب للأموال، وترويع للآمنين ومناصرة للمجرمين، وهتك لحرمات الناس، ورمي للمحصنات الغافلات، لأن جرثومة الشر في دمه تعمل عملها بدون انقطاع.

يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم- كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فموبقها أو معتقها) رواه جابر بن عبدالله.

وعندما تحدث القرآن الكريم عن النجدين وقال ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [البلد١٠ :١١] هنا نجد الخير ونجد الشر، والنجد في اللغة المكان

المرتفع وبه سمي المكان في الجزيرة العربية، ما ارتفع من الأرض، والنجدان (الخير والشر)، هما بارزان ظاهران لكل من أراد التمييز.

وإذا استعرضنا تاريخ البشرية وواقع مجتمعاتنا الحالية واستعرضنا كلمة (أكثر) في القرآن الكريم وجدنا أن الغلبة لهذا النوع من النفوس، التي تأمر بالسوء والإنسان كما جاء في سورة العصر ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ وكان هناك الاستثناء، ولولا فضل الله ورحمته، بإنارة طريق الهداية لهذه النفس لسارت في طريق الجهل والظلم وعندما جاءت الآية ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ في اللغة المستثنى يكون عادة أقل عدداً من المستثنى منه، ومن هنا كما ذكرنا جاءت كلمة أكثر به ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الإسراء:٨٩] ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:١١٦] ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف:١٠٣] ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف:١٠٢].

إن اعتراف الإنسان بخطئه مقدمة للتصحيح، وإن تحول النفس الأمارة بالسوء من خانة الشر إلى خانة الخير ممكن، ولكن الإشكالية هو أن الذين تنطبق عليه مواصفات الشر، يعتقدون أنهم هم الأخيار ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة١١ :١٢]

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف ١٠٣ :١٠٥]

إن عقد التحالف مع الشيطان كان ولا يزال جزءاً من واقع النفوس الشريرة – والتي لا يستقر لها قرار وهي ترى الطهر يشيع في المجتمع، هو يذكرها بواقعها الذي لا تريد أن يصدمها وهي تمارس كل دروب الشهوة والغواية والطغيان حتى أصبح شعار قوم لوط ﴿أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ

يَتَطَهَّرُونَ ﴾، فالفاسدون في كل المجتمعات بينهم حلف واتفاق، وإن لم يدخلوا فيه بتنظيم واحد أو بمشورة واحدة، ولكنها الصفات تتجمع فتشكل تياراً كل يدافع عنه من طرفه، وقيادتهم هنا هي التي أخبر الحق عز وجل عنها وهي قيادة إبليس أو الشيطان.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾

[الكهف:٥٠]

وهناك حقيقة لابد من التنبيه لها والإشارة عليها، إن إبليس ليس له سلطة وقدرة وملكةٌ إلاّ على الذين استجابوا له، من خلال اقتناعهم بزينة الحياة الدنيا المفرغّه من الضوابط الإلهية وإقدامهم على اقتران الذنوب والخطايا واجتياز الحدود الأخلاقية والضوابط الاجتماعية التي حددها الحق عز وجل، من خلال ذلك استطاع الشيطان أن يحتنكهم كما ورد في الآيات السابقة وأن يضمّهم إلى حزبه، ويتحولوا من ضالين إلى مضلين، ومن فاسدين إلى مفسدين، أما الصنف الخير فهو الذي لم يستطع الشيطان إغوائه ولم يجد له على نفسه سبيلاً

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحجر:٤٣]

وقال تعالى ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الإسراء٦٢ :٦٥]

إن الله قد وضّح لنا صفات الشيطان، وهي صفات تكتسب في النفس البشرية الشريرة، فتشترك مع الشيطان في نفس الصفات، فالمداهنة والمراوغة،

ونقض العهود والمواثيق، والمؤامرات، والدسائس كلها من صفات الشيطان التي أوضحها القرآن الكريم وهي أيضاً من صفات الناس الذين رضوا أن يكونوا من جند الشيطان والقرآن الكريم يوضح لنا أنه أي الشيطان سيتخلى عن أتباعه في ساعة الشدة، تماماً كما يتخلى البشر عن بعضهم البعض ويتلاومون كل يرمي سبب الشقاء على الآخر، فكان وعد الشيطان باطلاً.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال:٤٨]

أما التخلي يوم القيامة فيظهر واضحاً من قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم:٢٢]

إن الأشرار يتلاومون كما يتلاومون مع إبليس، ويصطرخون في النهار، وكل يتمنى لو لم يتبع من أضله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

[البقرة ١٦٥ :١٦٧]

أي شر هذا الذي يقود إلى إتباع سيد الأشرار وحاديهم إلى الضلال إبليس، وإن أهم الشهوات التي تنزع إليها النفس الإنسانية وتكون مدخلاً للشر هي شهوات حب النفس والمال والبطن والفرج، يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن

يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)﴾

[النساء:٢٧]

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١)﴾

[الأعراف:٨١]

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾

[مريم:٥٩]

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾ [الأعراف:١٧٦]

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)﴾ [البقرة:٨٧]

وقال تعالى

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)﴾ [النساء:١٣٥]

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩]

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)﴾ [المائدة:٧٠]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)﴾ [المائدة:٧٧]

وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[الشورى:١٥]

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [محمد:١٤]

أن النفس بهذه المواصفات البشرية السلبية تبتعد عن آدميتها الحقيقية والتي هي آدمية الفطرة، المنعقد عقدها مع التوحيد الخالص منذ أن أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وقالوا (بلى) لتنزل إلى مواصفات الحيوانات العجمى يقول تعالى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤]

قلنا إن حب النفس تجعل الناس يميلون إلى ممارسة سلوكيات لا أخلاقية – من أجل تحقيق ما يسعون إليه تلبية للرغبات والأهواء، ولعلّ مقاومة الرسالات عبر التاريخ كانت من أولئك النفر من الناس الذي اعتقدوا أن إتباعهم للرسالات سيحط من قدر نفوسهم، وسيعيدهم عن المكانة الاجتماعية التي وصلوا إليها، وعندما طاطأت رؤوسهم لقوة الرسالة تحولوا من المواجهة المباشرة إلى النفاق ولو كان ذلك يلبس مسوح الدين والستر وراء شعارات الإصلاح والتقى، ورفع رايات لا يعتقدون بها، وإنما لاعتقادهم أنها تساهم في حفظ مكانتهم، كما كان المنافقون في المدينة في زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وكما كان أصحاب مسجد الضرار الذين بنوا مسجداً، ولكن كان إرصاداً لمن حارب الله ورسوله وكفراً وتفريقاً بين المسلمين.

أن حب النفس يمكن أن يؤدي إلى الكبر والتعالي على الناس والترفع عن قبول الحق، وكما يصيب هذا السلوك الأفراد فإنه يمكن أن يصيب الجماعات أيضاً ولقد كان إبليس أول المستكبرين ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]

ولقد عرف القرآن الكريم أنموذجاً لإنسان تكبر على الأرض حتى وصل به الكبر أن يقول أنه هو الله ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ [القصص:٣٨]

إن الكبر قد أدى إلى قتل الأنبياء ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ [البقرة:٨٧] والكبر يؤدي إلى الانصراف عن عبادة الله، والقيام بالعمل الصالح والتكذيب بآيات الله والتشكيك وعدم التصديق والكفر بما أنزل الله والعدوان ومصادرة الحرية وعدم الاتعاظ بآيات الله وإتباع الحق والرشد واليوم باليوم الآخر وقول كلمة التوحيد وادعاء الفوقية والعظمة وعدم التوبة والاستغفار وعدم سماع دعوة الحق.

قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ [النساء:١٧٢] وقال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ [النساء:١٧٣] وقال تعالى ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ [الزُّمر:٥٩].

وقال تعالى ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ [الأعراف:٧٥]

وقال تعالى ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ [الأعراف:٧٦] وقال تعالى ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ [الأعراف:٨٨]

وقال تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ [الأعراف:١٣٣]

وقال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) ﴾ [الأعراف:١٤٦]

وقال تعالى ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢) ﴾ [النحل:٢٢]

وقال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) ﴾ [الصافات:٣٥]

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (٥٦) ﴾ [غافر:٥٦]

وقال تعالى ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) ﴾ [فصلت:١٥]

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) ﴾ [المنافقون:٥]

وقال تعالى ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا (٧) ﴾ [نوح:٧]

لقد فصّلنا قليلاً في الآيات التي تتحدث عن (ألكِبْر) ذلك أن أصل المشكلة بين آدم وإبليس هي قضية استكبار إبليس أن يسجد لآدم ليس سجود وعبادة وإنما سجود احترام بناء على أمر الله، وكان اعتقاده أنه أفضل منه واستعمل القرآن الكريم لفظ (استكبرت) في معرض الحديث عن إبليس وهو يجادل الله سبحانه وتعالى في سبب عدم السجود.، وهكذا يدخل إبليس من هذا المدخل الذي يعظم النفس كثيراً لدى صاحبها ويجعلها تنحرف وراء الرذائل والشرور، والأهواء والشهوات، وتدمير كل منها يتعارض مع مصالحها وأهوائها.

ولعلنا إذا انطلقنا من الأفراد إلى الجماعات ومن الجماعات إلى الدول لفظ الاستكبار يعظم ويتعاظم حتى أصبحت هناك جماعات مستكبرة ودول مستكبرة، لا ترى إلا مصالحها وتدمر كل ما يقف في طريقها، وبذلك تنتقل صفات النفس الفردية إلى صفات النفس الجماعية وتصبح سلوكا لدى الدول يسمى سلوك دول الاستكبار ينطبق عليها ما ينطبق على الأفراد المستكبرين من الصفات.

ومن شهوات حب النفس المرتبط بدائرة (النفس الأمارة بالسوء والتي تدور في فلك النفس الشريرة – الرياء والنفاق)، ولن تدخل في تفاصيل الرياء والنفاق، كثيراً بل ستشير إلى بعض الآيات التي تدل على ذلك، ولقد كان النفاق موجوداً منذ عهد الرسالة موجوداً في صفوف من تبع عبد الله بن أبي سلول في المدينة ومن نكص يوحد أحد، ومن مرد على النفاق، ومن عاش في المدينة ومن البادية.

عشرات الآيات التي تحدثت عن ذلك والأحاديث التي نوهت إليه.

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢]

ومنها الإعجاب بالنفس وحب المدح من الناس – وبخاصة عندما لا يكون الإنسان قد قدم شيئاً على الإطلاق قال تعالى ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران:١٨٨]

قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء:٤٩]

ومن قبيح صفات النفس الشريرة (الشح والبخل)

قال تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن:١٦]

وقال تعالى ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء:١٢٨]

وقال تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران:١٨٠]

وقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾

[الليل٨ :١٠]

أما شهوة حب المال والتملك بغير وجه وحق فهي من مداخل الشيطان لتوكيد صفات النفس الشريرة قال تعال ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه:١٢٠]

وقال تعالى ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر:٢٠]

وقال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات:٨]

أننا عندما نقرأ قصة قارون وموسى، ذلك الرجل الذي كان من قوم موسى وصرفته شهوة حب المال عن طريق الله ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

[القصص٧٦ :٧٨]

إن شهوة المال قد أدت في الجاهلية إلى النسيئة، وإلى الربا: واليوم تعاني البشرية من الآثار المدمّرة للربا – وهي الزيادة في المال بغير وجه حق، قال تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم:٣٩]

وتؤدي شهوة المال إلى أكل أموال أضعف الناس وهم (اليتامى)

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء:١٠]

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون:٩]

إن جعل المال غاية الرجاء، والاستحواذ عليه بحق وبدون وجه حق أنها القيم الأرضية – قيم الأهواء والشهوات مما يدفع من اختار هذا الطريق إلى سلوك كل السبل للحصول على المال قال تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة:٣٤]

وستتعرف بإذن الله حال الفريق الثاني وهم الذين استجابوا لله وللرسول وكانت أنفسهم مطمئنة، إزاء نظرتهم إلى قضية المال والتملك.

ومن مداخل الشر مع النفس الإنسانية شهوة البطن وهناك فرق بين أن تتحول شهوة البطن من وسيلة إلى غاية يشبعها الإنسان بأي طريق يراه، فيصبح أسيراً لهواه، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة:١٦٨]

ومن مداخله أيضاً شهوة الفرج، والتي جعلها الله تعالى غريزة بها يستمر النوع الإنساني، وقد أباح الله للإنسان تصريفها ضمن ضوابط وثوابت على مدار التاريخ البشري وعندما انحرفت البشرية عنها أصابها الشذوذ والانحراف.

لقد أشار القرآن الكريم إلى الزنى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور٢ :٣]

لقد ظهرت عداوة إبليس للإنسان في وقت مبكر، وحدّد القرآن الكريم ملامح الشر التي يتبعها الشيطان ضد هذه النفس البشرية ففي مرحلة الصراع مع آدم قال ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف١٦ :١٧]

أنها الإحاطة الكاملة بالإنسان لجره إلى طريق الشر والنفس الإنسانية بما ركب فيها من خصائص تمكين أن تستجيب بل أكثر من ذلك فلقد وجدنا بمر التاريخ ولغاية الوقت الحاضر طوائف اسمهم (عبدة الشياطين) ومن طرق الجر إلى الشر طرق الوسوسة وذلك من مدخل يحب الإنسان فمثلاً النفس تسعى عبر تاريخها لتجنب الموت ومعرفة سر الخلود وهو ما سنناقشه لاحقاً عند حديثنا عن النفس والموت والنفس والخلود فقال لآدم عليه السلام ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه:١٢٠]

وعندما تصل درجة الاستحواذ على الإنسان درجة متقدمة ينسى الإنسان ذكــــــر الله ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة:١٩]

أن الشخصية الشريرة – والتي تتبع طريق الشيطان- شخصية قلقة محتارة تتجاذبها الأهواء والشهوات – وهو متردد في إتباع سبيل الخير ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام:٧١]

إن الخوف من الموت من سمات النفوس التي يدخلها الهلع والرعب والخوف ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥]

إن النفس الشريرة تستجيب لدعوة الشيطان بالخوف من الفقر، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة:٢٦٨]

والغواية مستمرة بما فيها إتيان السبع الكبائر ومنها شرب الخمر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة٩٠ :٩١]

أن إثارة روح العصبية والعرقية هي عناوين يعمل الشيطان من خلالها لتثبيت الشر في النفس التي تستجيب له، كما أنه يركز على صفات الكيد والحسد في النفس البشرية ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف:٥]

والنجوى من الشيطان والنفس التي تستجيب له تقع في المحظور ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة:١٠]

إن الدعاء هو مدخل النفس الخيرة للتواصل مع الحق تبارك وتعالى – والشيطان يحاول أن يحول بين الإنسان والدعاء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام٤٢ :٤٣]

أن الكافرين هم المرتع الخصب لما في نفوسهم من إمكانات لاستقبال وسوسة الشيطان لبعدهم عن مخافة الله ومنهج التوحيد ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا

﴿ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم:٨٣] – وتكون المجادلة بالباطل وليس بالحق من صفات النفس الشريرة ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام:١٢١]. أن الخطوة الأولى في إتباع الشيطان تتبعها خطوات أخرى والقدم عندما تزل لا يعرف الإنسان أين ستكون السقطة الأخيرة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة:١٦٨] إن ذلك يورث قسوة القلب ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام:٤٣]، والنفس الشريرة تبتعد عن منهج الرسل ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف:١٧٥]، إن الدنيا هي الهم الوحيد للذين لا يرجون لقاء الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء:٣٨] وتنعكس هذه على صفات سلوكية معايشة اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٥]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء:٦٠]

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فصلت:٢٥]

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف:٣٠]

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف:٣٦]

إن جانب الشر تمثله النفس الأمارة بالسوء، والتي تنتهز كل فرصة وتقتنص كل سانحة كي تلبي أكبر قدر ممكن من الشهوات وتبحث بكل الوسائل وتخترع من الأساليب ما يساعدها على ذلك وهي بعكس النفس الخيرة، التي يتمثل فيها جانب الخير والتي يمكن أن تكون إما في (النفس اللوامة) أو (في النفس المطمئنة) كما بين القرآن الكريم.

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة:٢]

وعنده تنحسر النفس على صاحبها وتلوم نفسها بنفسها فمعنى ذلك أنها قد أحسّت بذنب كبير، وتبغي رأب الصدع والعودة إلى مسيرتها الخيّرة، تريد أن تعود إلى سكينتها، تريد أن تقلل من التوتر الذي حدث لها. أن النفس اللوامة هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الطاعة، وإن المؤمن لا تراه إلا لائماً نفسه – ونلاحظ هنا (صيغة اللوامة) (الفعالة) مما يدل على أن عملية اللوم مستمرة مع الإنسان والتقابل واضح بين النفس اللوامة والأمّارة بالسوء – أنهما يقفان على طرفي نقيض – ولأن هذا الجانب من النفس هو الجانب النظيف الشريف الرابح للنفس الأمارة بالسوء فقد أقسم الله تعالى به بعد أن أقسم بيوم القيامة – والمناسبة بين القسمين واضحة فيوم القيامة هو يوم الحساب، والنفس اللوامة هي حساب النفس في الحياة الدنيا ويوم القيامة هو حساب النفس بالآخرة.

والإنسان الذي يفتأ يلوم نفسه إنسان فيه صلاح، لأن لوم النفس علامة على أن الإنسان غير راض عن أفعاله، منكر لها، وعندئذ يكون اللوم أول مراحل العدول عن مواطن الخسة واللواذ بالتقوى ومن الواضح أن النفس اللوامة تمثل القوة التي تنصب ميزان الحساب للإنسان في داخله، وهي عملية سرية في داخل النفس لا يطلّع عليها أحد، أنها تمثل انفعالاً داخلياً – تستعيد به النفس الإنسانية توازنها المعنوي الذي فقدته عندما انحدرت إلى الشر.

وإلى جانب النفس اللوامة هناك النفس المطمئنة الداخلية المرضية، النفس التي اطمأنت في الحياة الدنيا بذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

أن تحقيق السعادة النفسية لابد لها من قاعدة صلبة لها صفة الثبات والديمومة وهذه القاعدة أنما تتحقق بالإيمان بالله، وعندما تقول الإيمان لا نقصد به مجرد الاعتقاد فقط بل مشفوعاً بالعمل، فالخشية من الله تقويّ جانب الخير في النفس الإنسانية فيقبل على العمل الصالح، ومن عمل صالحاً اطمئن ورضي، حتى ولو جاء الإنسان بنفسه وماله وهما أغلى ما يملك.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [الفجر٢٧ :٣٠]، هذا هو جزاء النفس الخيّرة، التي لامت واستقامت فاطمأنت فحصدت الأجر. إن هذه النفس تبتعد عن أحابيل الشيطان وتلتجىء إلى الله ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)﴾ [الأعراف:٢٠٠] وهي لا تخاف من الشيطان لأنها تخاف من الله ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران:١٧٥]. وهي تبتعد عن مجالس السوء وعمى نهى الله عنه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)﴾ [الأنعام:٦٨] ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام:١٤٢]

إن الأمر لا يحتاج إلى كثير من عناء، ولا يحتاج إلى تقسيمات كثيرة لا طائل تحتها، ولا يحتاج إلى فلسفة لا تستند على منهج سليم، الحياة ميدان فيها معسكران أراد الله أن تتقابل، وقسّمها حسب إتباعها للمنهج الذي رسمه وحسب إتباعها لمنهج الشيطان. في المحصّلة النهائية لابد من انتصار منهج الله، حسب وعد الله فالله متم نوره ولو كره الكافرون ولكن الله يريد لهذا المنهج أن ينتصر ونحن جنود له حتى يكون الجزاء عادلاً لمن اتبع والحساب عادلاً لمن ضل وتنكبّ وحارب الله ورسوله، بل حارب منهج الرسل على مر الأيام، وإن كل

المدارس التي حاولت رسم طريق السعادة ربما يكون في منهجها جزءاً من الخير، ولكنه ليس الخير كله، لأنها تبقى مناهج تتعامل مع النفس البشرية ليس بالحيادية المطلقة التي رسمها الله سبحانه وتعالى لأنه خالق هذا النفس ويعلم مكنونها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤]

النفس الإنسانية والموت

كل نفس بشرية لابد أن تخوض تجربة الموت، وسيخوض هذه التجربة أيضاً كل من وهبه الله الحياة. الموت حقيقة وواقع ولعلنا عندما نقرأ قوله تعالى ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك١ :٢] أن نقف عند تقديمه سبحانه وتعالى لحقيقة الموت على الحياة، هل هو تجاوز لمرحلة الحياة الدنيا باعتبارها لا تساوي زمنياً مرحلة ما بعد الموت، أم أن الحياة الحقيقية هي التي تأتي بعد الموت مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت:٦٤]. إن حقيقة الموت حاضرة في القرآن الكريم حتى تكون حاضرة في نفس الإنسان قال تعالى ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران:١٨٥] ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء:٣٥] ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾ [العنكبوت:٥٧] وقال تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾ [النحل:٧٠] ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [المؤمنون:١٥]

إن الإنسان لا يستطيع دفع الموت عن نفسه قال تعالى ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [النساء:٧٨]

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٦﴾ [الأحزاب:١٦].

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨]

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [نوح:٤]

وقال تعالى ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص:٨٨]

وقال تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧] والرسل كغيرهم من البشر يصيبهم الموت ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر:٣٠]

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء:٣٤]

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾
[آل عمران:١٤٤]

لقد تناول الفلاسفة بمعزل عن الرسالة السماوية المتصلة منذ آدم عليه السلام وحتى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم- قضية الموت بعضهم أصاب وبعضهم أخطأ، كما تناوله الفلاسفة المسلمون الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية، وبينوا موقف النفس الإنسانية من قضية الموت، أن سقراط مثلاً استقبل الموت بهدوء عندما تجرع السم وقال (عندي أمل عظيم بأن هناك شيئاً بعد الموت) والكندي مثلا يقول في رسالة الحيلة لدفع الأحزان الموت ليس برديء وإنما خوف الموت رديء، فإن لم يكن موتاً لم يكن إنسان وكذلك فعل الرازي في كتابه الطب الروحاني حيث قال (أن هذا العارض – الموت- ليس يمكن دفعه عن النفس إلاّ بأن تقتنع أنها تصير بعد الموت إلى ما هو أصلح مما كانت فيه. وهذا مكتوب في كتابه تهذيب الأخلاق يقول (إن الذي يخاف من الموت هو الجاهل به). وابن سينا يضع رسالة بعنوان الشفاء من خوف الموت (إن الخوف من الموت ليس يعرض إلا لمن لا يدريَ ما الموت على الحقيقة) إن الخوف من الموت قد لا يكون مبعثة الموت نفسه وإنما الخوف مما

وراءه وهذا ما سنحاول تبيانه كيف يستقبل المؤمن الموت أو صاحب النفس المطمئنة وبين صاحب النفس الأمارة بالسوء أو الشريرة فالذي يخشى الموت هو الذي ثقلت ذنوبه، فالمؤمن حالة موته حالة سعادة والكافر حال موته شقاء قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠]

فخوف الإنسان من الموت إذن لا يرجع إلى خوفه من الموت ذاته وإنما خوف من العقاب التالي على الموت، فالموت كمال للإنسان وليس نقصاً منه، وإن كل من يخشاه إنما يخشاه بسبب نقصه عن إكمال ذاته.

ولكن هذا الشعور لا يدعو الإنسان إلى إهلاك نفسه فهو وإن أقر بحقيقة الموت وبأنه التطور الطبيعي للإنسان والخير المخزون له إلا أنه لا يدعو الإنسان إلى إهلاك نفسه لأن الغرض من وجود الإنسان في هذه الحياة الدنيا هي عبادة الله وإعمار الحياة على شرط الاستخلاف، ووجوده وخروجه ليس باختياره إن الله هو خالق البنيه الإنسانية وهو المالك الوحيد لاقتنائها والإنسان الصالح هو من دام صبره على التقرب إلى الله، باحتمال الحق.

إن حالة الهلع التي تصيب المنافقين كما صورها القرآن الكريم من الموت مختلفة تماماً عن حالة الرضا التي تصيب المؤمنين ويصور الحالة بأنها محاولة للفرار ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب:١٦] إنه الحسرة التي تملأ قلوبهم قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران:١٥٦]

أن الحدث لا يعني بحال من الأحوال نهاية أبدية للنفس الإنسانية وإنما هو نهاية مرحلة من مراحل الوجود الإنساني وبناء عليه لا يعتبر الموت مفزعاً ولا مرعباً لمن فهم غاية وجوده وعمل على تحقيق الهدف الذي خلق

من أجله والمتتبع للنماذج البشرية قديماً وحديثاً لمن فهموا حقيقة الموت نجدهم يحرصون عليه ويبذلون أرواحهم رخيصة في سبيل الله دون خوف أو تردد قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران:١٦٩] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة:١٥٤]

ويخبر الحق عز وجل أن الملائكة تتنزل على المؤمنين في حال احتضارهم لتذهب عنهم الخوف والحزن وتبشرهم بما ينتظرهم من الجنة ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل:٣٢] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت:٣٠] أما الوجه الآخر فيصوره الحق سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام:٩٣].

وقال تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد:٢٧]

وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان:٢٢]

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة:٣٢].

من خلال عرضنا السابق لطبيعة النفس وعلاقتها بالموت – نجد أن هناك اختلافاً حسب زاوية البحث في أمرين مهمين، هل النفس شيء مستقل عن الكيان الظاهري للإنسان، وأنها لا يدركها الموت، والزاوية الثانية أن النفوس تموت باعتبار الإنسان كياناً واحداً، وقد حاولوا أن يجدوا تفسيراً لمعنى (ذائق)

حيث قالوا أن النفوس لا تموت بموت البدن، لأن الذائق لابد وأن يكون باقياً حال حصول الذوق، والنفس تذوق موت البدن، والنفوس لا تموت بموت البدن، وقالوا إن النفس تخرج من البدن وأنها تبقى كذلك إلى يوم القيامة ثم تعاد إلى الجسد ليتكامل معها.

لقد بين الحق سبحانه وتعالى كل ما يحيط بظاهرة الموت سواء من حيث كيفيته أو الأجل المتعلق بكل نفس أو ما يواجه الإنسان من مواقف مؤلم أو سعيدة أثناء الاحتضار أو ما سيؤول إليه بحسب عمله في الدنيا – وما إلى ذلك من أخبار غيبية لا سبيل إلى معرفتها إلا من خلال الوحي الإلهي، وقد غيّب الحق سبحانه وتعالى عن الإنسان وقت انتهاء أجله وذلك حتى يبقى على الدوام مستعداً للقاء الله سبحانه وتعالى أن النفس إذا انتهى أجلها فليس بمقدور أحد أن يمد في عمرها أو ينقصه تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل:٦١]

أن القتل يقع ضمن القدرات الإنسانية، وذلك بدءاً من قصة هابيل وقابيل ابني آدم ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ [المائدة:٣٠] والنتيجة ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء:٣٣]

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾

[الأنعام:١٣٧]

ولذلك طلب من المسلمين أن يأخذوا حذرهم، ومع ذلك فهو واقع ضمن إرادة الله سبحانه وتعالى.

أن قضية الموت لا تعطل عمل الحياة، بل إن من تمام إدراك حقيقة الموت وما بعده إدراك حقيقة مهمة الإنسان في الحياة، وذلك أمر ينعكس على الأبعاد النفسية والتربوية والإجتماعية والاقتصادية والأمنية فحقيقة أن النهاية محتومة، تحتم على الإنسان أن يستغل هذه الحياة بما هو نافع ومفيد، ولعلّ ما نلاحظه اليوم من شحناء وبغضاء من قتل وتدمير وتشريد، من صراع مؤجج على مستوى الأفراد والجماعات والدول، ليس وارد في الحساب – ما سيترتب على هذا من عقاب في اليوم الآخر. ولعلّ قضية التوبة ومقدماتها ونتائجها هي مدخل من المداخل الأولى التي تم التعامل معها لتصحيح الأخطاء، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧]

إن استقرار أن هناك موت – حساب، وبعث ونشور.

إن استقرار أن هناك ميزان عدل في اليوم الآخر كما أخبر القرآن الكريم يعدل كثيراً من السلوكيات على كل المستويات.



السيرة الذاتية للمؤلف

أولاً: المعلومات الشخصية

- الاسم: د. فايز الربيع
- الجنسية: الأردنية
- الحالة الاجتماعية: متزوج ست أولاد ٤ بنات وولدان
- تاريخ الولادة: ١٩٤٦ – السلطة
- الرتبة الأكاديمية: أستاذ مساعد
- العنوان الشخصي: ص ب ٢٦٢ عمان – الجبيهة. ت ٠٧٩٥٠٢١١١٠

ثانياً: المؤهلات العلمية

- الدراسة الثانوية ١٩٦٣ – الثاني على المملكة.
- بكالوريوس آداب – قسم تاريخ – جامعة بغداد ١٩٦٧-١٩٦٨ تقدير امتياز.
- دبلوم تربية – الجامعة الأردنية ١٩٧٣ الأول على الدفعة – ماجستير تربية.
- ماجستير تاريخ إسلامي – جامعة عين شمس تقدير امتياز.
- دكتوراه تاريخ إسلامي – مع مرتبة الشرف الأولى جامعة عين شمس.
- دورة الإدارة العليا – معهد الإدارة العامة الأول على الدفعة.
- دورات تربوية داخل الأردن وفي الولايات المتحدة وبريطانيا.

ثالثاً: الخبرات الوظيفية

- سفير ومفوض فوق العادة لدى الجمهورية اليمنية وجمهورية جيبوتي.
- الأمين العام المساعد للشؤون الثقافية مجلس التعاون العربي.
- الأمين العام المساعد للشؤون العلمية – وزارة التعليم العالي.
- مدير عام كليات المجتمع والمعاهد – الأردن.
- مستشار ثقافي في جمهورية مصر العربية.
- مستشار ثقافي في المملكة المغربية.
- مدير معهد معلمين.
- مدير التأهيل التربوي – والإشراف – والمناهج – التدريس.
- مدير العلاقات الثقافية والعامة – الجامعة الأردنية.
- مدير ومستشار في الجامعة – لوزارة التربية ولرئيس الجامعة.
- أستاذ جامعي – الجامعة الأردنية – جامعة الزرقاء الخاصة.
- عضو مجلس أمناء – جامعة الزرقاء الخاصة.

رابعاً: الخبرات الأخرى:

- سكرتير تحرير المجلة الثقافية ومؤسسها الجامعة الأردنية.
- رئيس تحرير – مجلة أنباء الجامعة و (campus) – باللغة الإنجليزية / وصوت الطلبة.
- عضو للجنة الاستشارية لمجلة الكاتب الأردني – اتحاد الكتاب والأدباء.
- عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين ورئيس الهيئة الإدارية المؤقتة للاتحاد.
- عضو مجلس إدارة لجريدة صوت الشعب.

- كاتب صحفي وإعلامي منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

- رئيس اتحاد الدراجات الأردني – وعضو اللجنة الأولمبية.

- عضو اليونسكو والاسيسكو والأليسكو.

- عضو لجان البعثات المركزية.

- عضو لجان الجامعة والمجتمع.

- عضو اللجنة الاستشارية العليا للدراسات العليا في الجامعة الأردنية (الآن).

- رئيس لجنة الكتاب السنوي للجامعة الأردنية.

- رئيس تحرير مجلة (الدبلوماسي) النادي الدبلوماسي الأردني (الآن).

- أمين سر النادي الدبلوماسي الأردني (الآن).

- نائب رئيس جمعية المؤرخين الأردنيين (الآن).

- نائب رئيس منتدى الوسطية للفكر والثقافة (الآن).

- عضو الشبكة التأسيسية للديمقراطيين العرب (الآن).

- عضو مؤسس المنتدى العالمي للوسطية (الآن).

- عضو في مجموعة لجان ثقافية عاملة على الساحة الأردنية.

- الإشراف على اليوبيل الفضي للجامعة الأردنية.

خامساً: المؤلفات:

- الوسيط في الحضارة الإسلامية.

- الديمقراطية بين التأصيل الفكري والمقاربة السياسية.

- حصاد الفكر.

- الإسلام والدولة الحديثة.

- وسطية الإسلام في ضوء الفقه الحضاري.

- خواطر في ذكرى الهجرة النبوية.

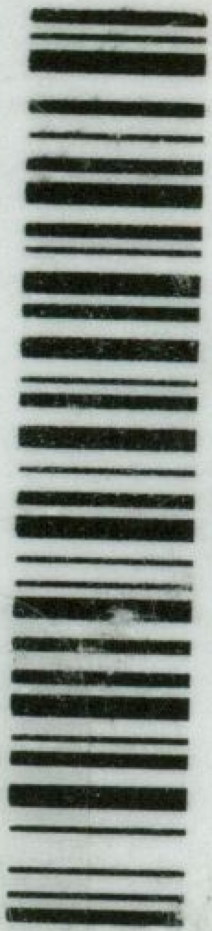
سادساً: الأوسمة:

- وسام الاستقلال.

- وسام الوحدة اليمنية.

طباعة وإخراج: صفاء نور الابصار
safa_nimer@hotmail.com 00962796507997

وقفات مع الإنسان
في القرآن







دار كنوز المعرفة العلمية
للنشر والتوزيع

الأردن - عمان
وسط البلد - مجمع الفحيص
هاتف : 877 4655 6 962+
فاكس : 875 4655 6 962+
خلوي : 494 795525 962+
ص.ب : 712577
Dar_konoz@yahoo.com